

الكتاب: لأكون مع الصادقين
المؤلف: الدكتور محمد التيجاني

الجزء:

الوفاء: معاصر

المجموعة: من مؤلفات المستبصرين

تحقيق:

الطبعة:

سنة الطبع:

المطبعة:

الناشر: مؤسسة أنصاريان - قم - ايران

ردمك:

ملاحظات:

لأكون مع
الصادقين

(١)

الدكتور محمد التيجاني السماوي
بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين
التوبة " ١١٩ "
لأكون
مع
الصادقين

بسم الله الرحمن الرحيم
* (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) *
(التوبة: ١١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، المتفضل علينا بالهداية والعناية والتمكين، والمنعم
على عبادة بكل خير وسعادة ليكونوا صالحين، من توكل عليه كفاه وحفظه من
كيد الشياطين، ومن تنكب عن صراطه فهو من المخذولين.
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ناصر المستضعفين
والمظلومين، وحبیب المساكين الذين آمنوا بالله رغبة فيما أعده سبحانه لعباده
الصادقين..
وعلى آله الطيبين الطاهرين، الذين أعلا الله مقامهم على سائر
المخلوقين، ليكونوا قدوة العافين، ومنار الهدى وسفينة النجاة التي من تخلف
عنها كان من الهالكين..
.. ثم الرضا والرضوان على أصحابه الميامين الذين بايعوه وناصروه ولم
يكونوا من الناكثين، وثبتوا بعده على العهد وما بدلوا وما انقلبوا وكانوا من
الشاكرين.. وعلى من تبعهم بإحسان وسار على هديهم من الأولين والآخرين إلى
قيام يوم الدين.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقه قولي.
رب وافتح بصيرة كل من يقرأ كتابي على الحقيقة التي تهدي بها عبادك
المخلصين.

أما بعد، فقد لقي كتابي " ثم اهتديت " قبولا حسنا لدى القراء الأعزاء
الذين أبدوا بعض الملاحظات الهامة حول موضوعات متفرقة في الكتاب المذكور
وطلبوا المزيد من التوضيح في المسائل التي اختلف في فهمها كثير من المسلمين سنة
وشيعة، ومن أجل رفع اللبس والغموض عن ذلك لمن أراد التحقيق والوقوف
على جلية الأمر فقد ألفت هذا الكتاب بنفس الأسلوب الذي اتبعته هناك،
ليسهل على الباحث المنصف الوصول إلى الحقيقة من أقرب سلبها، كما وصلت
إليها من خلال البحث والمقارنة، وقد أسميته - على بركة الله - " مع الصادقين "
اقتباسا من قوله تعالى: * (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) *.
ومن من المسلمين يرفض أو يزهّد في أن يكون مع أولئك الصادقين؟!
هذا ما اقتنعت به شخصيا، وما أحاول توضيحه لغيري ما استطعت إلى
ذلك سبيلا، دون فرض لرأيي بل ومع احترامي لرأي غيري، فالله وحده
الهادي وهو الذي يتولى الصالحين..

وقد اعترض البعض على عنوان الكتاب السابق " ثم اهتديت " لانطوائه
على غموض قد يبعث على التأمل والتساؤل حول ما إذا كان الآخرون على
ضلالة، وما مدلول تلك الضلالة إن قصد هذا المعنى؟ وعلى هذا الاعتراض
أجيب موضحا:

أولا: جاء في القرآن الكريم لفظ الضلالة بمعنى النسيان، قال تعالى:
* (قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) * (١). وقال عز وجل:
* (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) * (٢). كما ورد القرآن الكريم

(١) طه ٥٢.

(٢) البقرة ٢٨٢.

لفظ الضلالة تعبيراً عن حالة التحقيق والبحث والتفتيش، قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: * (ووجدك ضالاً فهدى) * (١) أي وجدك تبحث عن الحقيقة فهذاك إليها، المعروف من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم أنه قبل نزول الوحي عليه كان يهجر قومه في مكة ليختلي في غار حراء الليالي العديدة باحثاً عن الحقيقة.

ومن هذا المعنى أيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم:
" الحكمة ضالة المؤمن أين ما وجدها أخذها "

فعنوان كتابي الأول يتضمن هذا المعنى..

ثانياً: وعلى فرض أن العنوان يتضمن معنى الضلالة التي تقابل الهداية فيما نقصده على المستوى الفكري من إصابة المنهج الإسلامي الصحيح الذي يضعنا على الصراط المستقيم، كما عقب بعض القراء بذلك، فليكن كذلك، وهو الواقع الذي يتهيب مواجهته البعض بروح رياضية بناءة، ونفس موضوعي خلاق.. ينسجم في الفهم مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:
" تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً "

فالحديث واضح وصريح في الإشارة إلى ضلال من لم يتمسك بهما معا (الكتاب والعتره).

وعلى كل حال فأنا مقتنع بأنني اهتديت بفضل الله سبحانه وتعالى إلى التمسك بكتاب الله وعتره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق. فكتابي الأول والثاني يحملان عناوين من القرآن الكريم وهو أصدق الكلام وأحسنه، وكل ما جمعته في الكتابين - إن الحق لم يكن الحق فهو أقرب ما يكون إليه -

لأنه مما اتفق عليه المسلمون سنة وشيعة وما ثبت عند الفريقين أنه صحيح. فكانت النتيجة ولادة هذين الكتابين بحمد الله " ثم اهتديت ولأكون مع الصادقين " والله أسأل أن يهدي أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أجمعهم حتى يكونوا خير أمة ويقودوا العالم بأسرة إلى النور والهداية تحت لواء الإمام المهدي المنتظر الذي وعدت به جده صلى الله عليه وآله وسلم ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً وليتم نور الله ولو كره الكافرون.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فإن الدين يعتمد بنحو أساسي على العقائد التي تكون منه مجموعة
الأصول والمرتكزات التي يؤمن بها معتنقو هذا الدين أو ذاك. والتي لا بد أن يقوم
إيمانهم بها على الدليل القاطع والبرهان الجلي الذين ينطلق من المسلمات العقلية
التي يؤمن بها جميع الناس، ليتسنى له إقناعهم بما يدعوهم إليه، ورغم ذلك فإنه
ثمة أفكار يصعب على العالم تفسيرها.. مثلما يصعب على العقل التصديق بها
عند الوهلة الأولى، من ذلك مثلا أن تكون النار " بردا وسلاما " في حين أن
العلم والعقل يتفقان على أنها حرارة مهلكة، أو أن تقطع الطير إلى أجزاء متناثرة
فوق الجبال ثم تدعى فتأتي تسعى، في حين أن العلم والعقل يستبعدان ذلك، أو
أن يشفى الأعمى والأبرص والأكمه بمجرد مسح عيسى (ع)، بل وإحياء
الموتى، في حين أن العلم والعقل لا يجدان تفسيراً لهذا.. وهي أمور تدرج في
باب المعجزات التي أجرها الله تعالى على أيدي أنبيائه (عليهم السلام)، وهي
موجودة لدى المسلمين واليهود والنصارى..

وإنما أجرى الله سبحانه وتعالى تلك المعجزات والخوارق على أيدي أنبيائه
ورسله عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، ليفهم العباد بأن عقولهم قاصرة عن
الإدراك والإحاطة بكل شئ، لأنه سبحانه لم يؤتهم من العلم إلا قليلا، ولعل في
ذلك صلاحهم وكمالهم النسبي، فقد كفر الكثير بنعمة الله وأنكر الكثير وجوده
سبحانه، واعزز الكثير منهم بالعلم والعقل حتى عبدوهما من دون الله، هذا مع
قلة العلم وقصور العقل، فكيف لو أعطاهم علم كل شئ؟!
ونظرا لأهمية العقيدة ومركزيتها في إيمان المسلم فإن كتابي هذا قد تناول جملة
من العقائد الإسلامية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة،
والتي كانت مسرحا لاختلاف فرق المذاهب الإسلامية، فعقدت فصلا خاصا
بمعتقدات أهل السنة والشيعة في القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم تطرقت بعد
ذلك لسائر المسائل التي اختلفوا فيها وشنع بعضهم على البعض الآخر بدون
مبرر، هادفا من ذلك بيان ما رأته الحق، راغبا في مساعدة من يريد البحث
عنه، آملا أن يساهم ذلك في قيام الوحدة الإسلامية على أساس فكري متين،
والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى ويجمع كلمة المسلمين على الصواب إنه
عزيز قدير..

القرآن الكريم عند أهل السنة والجماعة وعند الشيعة الإمامية الاثني عشرية

هو كلام الله المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المرجع الأعلى للمسلمين في أحكامهم وعباداتهم وعقائدهم، من شك فيه أو أهانه فقد برئ من ذمة الإسلام، فهم - المسلمون كافة - متفقون على تقديسه واحترامه والتعبد بما ورد فيه..

ولكنهم اختلفوا في تفسيره وتأويله، ومرجع الشيعة في التفسير والتأويل يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشر وحات الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، ومرجع أهل السنة والجماعة يعود إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضا ولكنهم يعتمدون على الصحابة - دون تمييز - أو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة في نقل الأحاديث وشرحها وتفسيرها.. وبطبيعة الحال نشأ من ذلك اختلاف في العديد من المسائل الإسلامية وخصوصا الفقيهية منها، وإذا كان الاختلاف بين المذاهب الأربعة من مدرسة أهل السنة والجماعة ظاهرا، فلا غرابة في أن يكون بينهم وبين مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أظهر..

وكما ذكرت في مستهل الكتاب فإنني سوف لن أتطرق إلا إلى بعض الأمثلة بغية الاختصار، وعلى من يريد البحث والاستزادة أن يغوص في أعماق البحر لاستخراج ما يمكنه من الحقائق الكامنة والجواهر المنخفية!

يتفق أهل السنة مع الشيعة في القول بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين للمسلمين كل أحكام القرآن وفسر كل آياته، ولكنهم اختلفوا فيمن ينبغي الرجوع إليه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بغية التعرف إلى ذلك البيان والتفسير، فذهب أهل السنة إلى الاعتماد على الصحابة - دون تمييز - ومن بعدهم الأئمة الأربعة وعلماء الأمة الإسلامية، أما الشيعة فقالوا: أن الأئمة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم المؤهلون لذلك وصفوة من الصحابة المنتجبين، فأهل البيت (عليهم السلام) هم أهل الذكر الذين أمرنا الله تعالى بالرجوع إليهم في قوله عز وجل: * (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) * (١) وهم الذين اصطفاهم الله تعالى وأورثهم علم الكتاب في قوله عز وجل: * (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) * (٢)، ولكل ذلك جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدل القرآن والثقل الثاني الذي أمر المسلمين بالتمسك به فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

" تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا " (٣).

وفي لفظ مسلم كتاب الله أهل بيتي - أذكركم الله في أهل بيتي قالها ثلاث مرات (٤).

(١) النحل: آية ٤٣، تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠٩ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٠.
(٢) فاطر آية ٣٢.
(٣) أخرجه الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٣٢٩ والنسائي والإمام أحمد.
(٤) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٢ باب فضائل علي بن أبي طالب.

ومن المعلوم أن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا أعلم الناس وأورعهم وأتقاهم وأفضلهم، وقد قال فيهم الفرزدق:
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم* أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
وأسوق هنا مثالا واحدا للتذكير بطبيعة الرابطة بين أهل البيت
(عليهم السلام) والقرآن الكريم، فقد قال تعالى: * (فلا أقسم بمواقع
النجوم. وإنه لقسام لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لا
يمسه إلا المطهرون) * (١)

فهذه الآيات تشير بدون لبس إلى أن أهل البيت (عليهم السلام) - وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - هم الذين يدركون معاني القرآني الغامضة، لأننا لو أمعنا النظر في القسم الذي أقسم به رب العزة والجلالة لوجدنا ما يلي: إذا كان الله تعالى يقسم بالعصر وبالقلم وبالتين وبالزيتون فعظمة القسم بمواقع النجوم بينة لما تنطوي عليه من أسرار وتأثير على الكون بأمره سبحانه، ونلاحظ تعزيز القسم في صيغة النفي والإثبات، فبعد القسم يؤكد سبحانه: أنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون، والمكنون ما كان باطنا ومستترا، ثم يقول عز وجل: * (لا يمسه إلا المطهرون) *، و (لا) هنا للنفي، ويمسه تعني يدركه ويفهمه وليس المقصود بها لمس اليد، فهناك فرق بين اللمس والمس. قال تعالى: * (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) * (٢)، وقال أيضا عز من قائل: * (والذي يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) * (٣)، فالمس هنا يتعلق بالعقل والإدراك لا بلمس اليد، وكيف يقسم الله سبحانه وتعالى بأن لا يلمس القرآن (باليد) إلا من تطهر، والتاريخ يحدثنا بأن بعض الجبارين قد عبثوا به ومزقوه، وقد شاهدنا الإسرائيليين يدوسونه بأقدامهم - نستجير بالله - ويحرفونه عندما

(١) الواقعة: آية ٧٥ - ٧٦.

(٢) الأعراف: آية ٢٠١.

(٣) البقرة: آية ٢٧٥.

احتلوا بيروت في اجتياحهم سئ الصيت، وقد نقلت أجهزة التلفزة عن ذلك صوراً بشعة ومذهلة. فالمدلول لقوله تعالى هو أنه لا يدرك معاني القرآن المكنون إلا نخبة من عباده الذين اصطفاهم وطهرهم تطهيراً، والمطهرون في هذه الآية اسم مفعول أي وقع تطهيرهم، وقد قال عز وجل: * (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) * (١).

فقوله تعالى: * (لا يمسه إلا المطهرون) * معناه: لا يدرك حقيقة القرآن إلا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (عليهم السلام)، ولذلك قال فيهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

" النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس " (٢).

وما يذهب إليه الشيعة في ذلك يستند إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المروية حتى في صحاح أهل السنة كما وجدنا.

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدرک ج ٣ ص ١٤٩ عن ابن عباس وقال هذا حديث صحيح الإسناد.

السنة النبوية الشريفة عند أهل السنة والجماعة وعند الشيعة الإمامية هي كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو فعله، أو أقره. وهي المرجع الثاني عندهم بعد القرآن الكريم في أحكامها وعباداتهم وعقائدهم.

يضيف أهل السنة والجماعة إلى السنة النبوية سنة الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر وعمر وعلي وذلك لحديث يروونه:

"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ" (١).

وليس أدل على ذلك من اتباعهم سنة عمر بن الخطاب في صلاة التراويح التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢). والبعض منهم يضيفون إلى سنة الرسول سنة الصحابة بأجمعهم (أي صحابي كان) وذلك لحديث - يروونه:

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ص ١٢٦.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٩٩ باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله.

" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " وحديث " أصحابي أمانة لأمتي " (١)

أما حديث أصحابي كالنجوم فهو لا ينسجم مع العقل والمنطق والحقيقة العلمية إذ أن العرب لم يكونوا يهتدون في مسيرهم الصحراوي لمجرد اقتدائهم بأي نجم من النجوم وإنما كانوا يهتدون باتباع نجوم معينة محددة معروفة لها أسماؤها، كما أن هذا الحديث لا تؤيده الأحداث اللاحقة والممارسات التي بدت من بعض الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن منهم من ارتد (٢)، كما أنهم اختلفوا في كثير من الأمور التي سببت الطعن (بعضهم في بعض) (٣)، ولعن بعضهم بعضا (٤)، وقتل بعضهم بعضا (٥)، وأقيم الحد على بعض (الصحابة)، لشرب الخمر والزنا والسرقة وغير ذلك، فكيف يقبل عاقل بهذا الحديث الذي يأمر بالافتداء بمثل هؤلاء؟ وكيف يكون من يقتدي بمعاوية الخارج على إمام زمانه أمير المؤمنين في حربة للإمام علي (عليه السلام) مهتديا؟ وهو يعلم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سماه إمام الفئة الباغية (٦)؟ وكيف يكون من المهتدين من يقتدي بعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وبسر بن أرطاة وقد قتلوا الأبرياء لتدعيم ملك الأمويين. أنت أيها القارئ اللبيب إذا قرأت حديث أصحابي كالنجوم يتبين لك أنه موضوع لأنه موجه إلى الصحابة فكيف يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يا أصحابي اقتدوا بأصحابي؟! ..! أما حديث يا أصحابي عليكم بالأئمة من أهل بيتي فهم يهدونكم من بعدي فهو أقرب إلى الحق لأنه له شواهد عديدة تؤيده في السنة النبوية...

-
- (١) صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة ومسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٩٨.
 - (٢) كالذين حاربهم أبو بكر وسموا بأهل الردة.
 - (٣) كما طعن أكثر الصحابة في عثمان حتى قتلوه.
 - (٤) كما فعل ذلك معاوية الذي كان يأمر بلعن علي.
 - (٥) كحروب الجمل وصفين والنهروان وغيرها.
 - (٦) حديث " ويح عمار تقتله الفئة الباغية ".

والشيعة الإمامية يقولون بأن المقصود بحديث " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي " هم الأئمة الاثنا عشر من أئمة أهل البيت سلام الله عليهم وهم الذين أوجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، على أمته أن تتمسك بهم وتتبعهم كما تتمسك وتتبع كتاب الله (١).
ولما أليت على نفسي فإني لا أستدل إلا بما يحتج به الشيعة من صحاح أهل السنة والجماعة فإني قد اقتصر على ذلك، وإلا فإن في كتب الشيعة أضعاف ذلك وبعبارات أكثر صراحة ووضوحا (٢).

على أن الشيعة لا يقولون بأن أئمة أهل البيت سلام الله عليهم لهم حق التشريح بمعنى أن سنتهم هي اجتهاد منهم، بل يقولون بأن كل أحكامهم هي من كتاب الله وسنة رسوله التي علمها رسول الله عليا وعلمها علي أولاده فهو علم يتوارثونه ولهم في ذلك أدلة كثيرة نقلها علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم. ويبقى السؤال دائما يعود بالحاح: لماذا لم يعمل أهل السنة والجماعة بمضمون هذه الأحاديث الصحيحة عندهم...؟؟؟

ثم بعد ذلك يختلف الشيعة والسنة في تفسير الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سبق لنا توضيحه في فقرة اختلافهم في تفسير القرآن، بالنسبة لمعنى الخلفاء الراشدين الذي ورد في حديثه صلى الله عليه وآله وسلم وصححه كل من الفريقين، ولكن يفسره السنة على أنهم الخلفاء الأربعة

(١) صحيح الترمذي ج ٥ ص ٣٢٨ صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٢ النسائي في الخصائص كنز العمال ج ١ ص ٤٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٨٩ الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٤٨ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٨ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٩٤ الطبراني ج ١ ص ١٣١.
(٢) أضرب لذلك مثلا واحدا: أخرج الصدوق في الإكمال بسنده إلى الإمام الصادق عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله (ص) الأئمة من بعدي اثنا عشر. أولهم علي وآخرهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي.

الذين اعتلوا منصة الخلافة بعد رسول الله، ويفسره الشيعة على أنهم الخلفاء الاثنا عشر وهم أئمة أهل البيت سلام الله عليهم.

ذلك إنا نرى هذا الاختلاف شائعا في كل ما يتعلق بالأشخاص الذين زكاهم القرآن والرسول أو أمر باتباعهم، مثال ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

" علماء أمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل " أو " العلماء ورثة الأنبياء " (١). فأهل السنة والجماعة يعممون هذا الحديث على كل علماء الأمة بينما يخصه الشيعة بالأئمة الاثني عشر ومن أجل ذلك يفضلونهم على الأنبياء ما عدا أولي العزم من الرسل.

والحقيقة أن العقل يميل إلى هذا التخصيص.

أولا: لأن القرآن أوثق علم الكتاب للذين اصطفى من عباده وهو تخصيص، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خص أهل بيته بأمر لم يشر كهم فيها بأحد، حتى سماهم سفينة النجاة وسماهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى والثقل الثاني الذي يعصم من الضلالة.

فظهر من هذا، أن قول أهل السنة والجماعة يعارض هذا التخصيص الذي أثبتته القرآن والسنة النبوية، وإن العقل لا يرتاح إليه لما فيه من الغموض وعدم المعرفة بالعلماء الحقيقيين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم، وعدم تمييزهم عن العلماء الذين فرضهم على الأمة الحكام الأمويون والعباسيون، وما أبعد الفرق بين أولئك العلماء وبين الأئمة من أهل البيت الذين لا يذكر التاريخ لهم أستاذا تتلمذوا على يديه سوى أن يتلقى الابن عن أبيه ومع ذلك فقد روى علماء أهل السنة في علومهم روايات عجيبة وخصوصا الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الرضا الذي أفحم بعلمه أربعين قاضيا جمعهم إليه المأمون وهو

(١) صحيح البخاري ج ١ كتاب العلم. صحيح الترمذي كتاب أيضا.

لا يزال صيبا (١).
ومما يؤكد تميز أهل البيت عن غيرهم ما يظهر لنا من اختلاف أصحاب
المذاهب الأربعة عند أهل السنة والجماعة في كثير من المسائل الفقهية بينما لا يختلف
الأئمة الاثنا عشر من أئمة أهل البيت في مسألة واحدة.
ثانيا: لو أخذنا بقول أهل السنة والجماعة في تعميم هذه الآيات والأحاديث
على كل علماء الأمة لوجب أن تتعدد الآراء والمذاهب على مر الأجيال ولأصبح
هناك آلاف المذاهب ولعل علماء أهل السنة والجماعة تفتنوا لما لهذا الرأي من
سخافة وتفريق لو حدة العقيدة فأسرعوا إلى غلق باب الاجتهاد منذ زمن بعيد.
أما قول الشيعة فهو يدعو إلى الوحدة والالتفاف حول أئمة معروفين
خصهم الله تعالى والرسول بكل المعارف التي يحتاجها المسلمون في كل العصور،
فلا يمكن لأي مدع بعد ذلك أن يتقول على الله وعلى الرسول ويبتدع مذهباً يلزم
الناس باتباعه، فاختلافهم في هذه المسألة كاختلافهم في المهدي الذي يؤمن به
الفريقان، ولكن المهدي عند الشيعة معلوم معروف أبوه وجده، وعند أهل
السنة والجماعة لا يزال مجهولاً وسيولد في آخر الزمان ولذلك ترى كثيراً منهم ادعى
المهدية، وقد قال لي شخصياً الشيخ إسماعيل صاحب الطريقة المدنية بأنه هو
المهدي المنتظر، وقالها أمام صديق لي كان من أتباعه ثم استبصر فيما بعد.
أما عند الشيعة فلا يمكن لأي مولود عندهم أن يدعي ذلك وحتى لو سمي
أحدهم ابنه بالمهدي فهو تيمنا وتبركا بصاحب الزمان كما يسمي أحدنا ابنه محمداً
أو علياً، ولأن ظهور المهدي عندهم هو في حد ذاته معجزة لأنه ولد منذ اثني عشر
قرناً وتغيب.

ثم بعد كل هذا قد يختلف أهل السنة والجماعة في معنى الحديث الثابت

(١) العقد الفريد لا بن عبد ربه - والفصول المهمة الصباغ المالكي ج ٣ ص ٤٢.

الصحيح عند الفريقين حتى لو كان الحديث لا يتعلق بالأشخاص ومن ذلك مثلا حديث: " اختلاف أمتي رحمة " .

الذي يفسره أهل السنة والجماعة: بأن اختلاف الأحكام الفقيهية في المسألة الواحدة هو رحمة للمسلم الذي بإمكانه أن يختار أي حكم يناسبه ويتمشى مع الحل الذي يرتضيه ففي ذلك رحمة به، لأنه إذا كان الإمام مالك مثلا متشددا في مسألة ما، فإن بإمكان المسلم أن يقلد أبا حنيفة المتساهل فيها.

أما عند الشيعة فهم يفسرون الحديث على غير هذا المعنى ويروون أن الإمام الصادق (عليه السلام) لما سئل عن هذا الحديث " اختلاف أمتي رحمة " قال صدق رسول الله! فقال السائل إذا كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم نقمة! فقال الصادق: ليس حيث ذهبت ويذهبون (يعني في هذا التفسير) إنما قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اختلاف بعضهم إلى بعض يعني يسافر بعضهم إلى بعض وينفر إليه ويقصده لأخذ العلم عنه واستدل على ذلك يقول الله تعالى: * (فلولا نفر من كل فرقة منهم آية طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم يحدرون) * (١) ثم أضاف قائلا فإذا اختلفوا في الدين صاروا حزب إبليس.

وهو كما نرى تفسير مقنع ولأنه يدعو لوحدة العقيدة لا للاختلاف فيها (٢). ثم إن الحديث بمفهوم أهل السنة والجماعة غير معقول لأنه يدعو للاختلاف والفرقة تعدد الآراء والمذاهب وكل هذا يعارض القرآن الكريم الذي يدعونا للوحدة والالتفاف حول شئ واحد: يقول سبحانه: * (وإن هذه أمتكم أمة

(١) سورة التوبة: آية ١٢٢ .

(٢) البسمللة في الصلاة مكروهة عند المالكية وواجبة عند الشافعية ومستحبة عند الحنفية والحنابلة قالوا: بإخفاتها صلى في الصلاة الجهرية.

واحدة وأنا ربكم فاتقون) * (١) ويقول: * (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) * (٢) ويقول: * (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) * (٣).
فأي نزاع وأية تفرقة هي أكبر من تقسيم الأمة الواحدة إلى مذاهب وأحزاب وفرق يخالف بعضهم بعضا ويسخر بعضهم من بعض بل ويكفر بعضهم بعضا حتى يستحل بعضهم دم البعض الآخر، وهو ما وقع بالفعل على مر العصور، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك، هذا وقد حذرنا سبحانه من النتائج الوخيمة التي تصير إليها أمتنا إذا تفرقت فقال سبحانه: * (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات) * (٤) * (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) * (٥) ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، كل حزب بما لديهم فرحون) * (٦).

وتجدر الإشارة هنا بأن معنى شيعة لا علاقة لها بالشيعة كما توهم بعض البسطاء عندما جاءني ينصحني على زعمه قائلا: يا أخي بالله عليك دعنا من الشيعة فإن الله يمقتهم وحذر رسوله أن يكون منهم! قلت وكيف ذلك؟ قال: * (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) * وحاولت إقناعه بأن شيعة معناها أحزابا ولا علاقة لها بالشيعة ولكنه ومع الأسف الشديد لم يقتنع لأن سيده إمام المسجد هكذا علمه وحذره من الشيعة فلم يعد يتقبل غير ذلك. أعود إلى الموضوع فأقول بأني كنت في حيرة قبل استبصاري عندما أقرأ حديث " اختلاف أمتي رحمة " وأقارنه مع حديث:

-
- (١) سورة المؤمنون آية ٥٢.
 - (٢) سورة آل عمران آية ١٠٣.
 - (٣) سورة الأنفال آية ٤٦.
 - (٤) سورة آل عمران آية ١٠٥.
 - (٥) سورة الأنعام آية ١٥٩.
 - (٦) سورة الروم آية ٢١ - ٢٢.

" ستفترق أمتي إلى اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة " (١).
وأساءل كيف يكون اختلاف الأمة رحمة وفي نفس الوقت يوجب دخول النار؟؟

وبعد قراءتي لتفسير الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لهذا الحديث زالت الحيرة وانحل اللغز وعرفت بعد ذلك بأن الأئمة من أهل البيت، هم أئمة الهدى ومصايح الدجى وهم بحق ترجمان القرآن والسنة وحقيق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول في حقهم:

" مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، لا تتقدموهم فتهلكوا، ولا تتخلفوا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم " (٢).

وكان حقيق بالإمام علي (عليه السلام) أن يقول:
" أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا " (٣).
وقال (عليه السلام) في خطبة أخرى يعرف بها قدر أهل البيت (عليهم السلام):

" هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم

(١) سنن ابن ماجة كتاب الفتن ج ٢ رقم الحديث ٣٩٩٣ مسند أحمد ج ٣ ص ١٢٠ والترمذي في كتاب الإيمان.

(٢) الصواعق المحدقة لابن حجر ص ١٣٦ و ص ٢٢٧ الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ١٣٢ مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧ و ج ٤ ص ٣٦٦ حلية الأولياء ج ٤ ص ٣٠٦ مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٥١ التلخيص الذهبي - المعجم الصغير للطبراني ج ٢ ص ٢٢.

(٣) نهج البلاغة للإمام علي ج ٢ ص ١٩٠.

عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية. فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل " (١).

نعم، صدق الإمام علي فيما بينه فهو باب مدينة العلم، فهناك فرق كبير بين من عقل الدين عقل وعاية ورعاية وبين من عقله عقل سماع ورواية. والذين يسمعون ويروون كثيرون، فكم كان عدد الصحابة الذين يجالسون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسمعون منه الأحاديث وينقلونها بغير فهم أو علم فيتغير معنى الحديث وقد يؤدي إلى العكس الذي قصده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد يؤدي بعض الأحيان لصعوبة إدراك الصحابي للمعنى الحقيقي (١).

أما الذين يعون العلم ويرعونهم فقليلون جدا وقد يفني الإنسان عمره في طلب العلم ولا يحصل منه إلا على اليسير، وقد يتخصص في باب من أبواب العلم أو فن من فنونه ولا يمكنه أن يحيط بكل أبوابه، ولكن المعروف أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كانوا ملمين وعارفين بشتى العلوم، وهذا ما أثبتته الإمام علي كما يشهد المؤرخون وكذلك محمد الباقر وجعفر الصادق الذي تتلمذ على يديه آلاف الشيوخ في شتى العلوم والمعارف من فلسفة وطب وكيمياء وعلوم طبيعية وغيرها.

(١) نهج البلاغة للإمام علي ج ٣ ص ٤٣٩.
(٢) مثال ذلك ما رواه أبو هريرة من " أن الله خلق آدم على صورته " ولكن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أوضح الأمر فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلين يتسابان فقال أحدهما للآخر قبح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " إن الله خلق آدم على صورته " أي أنك بسبك من يشبهه قد سببت آدم لأنه يشبهه.

العقائد عند الشيعة وعند

أهل السنة والجماعة

مما زاد قناعتي بأن الشيعة الإمامية هي الفرقة الناجية هو أن عقائدهم
سمحة وسهلة القبول لكل ذي عقل حكيم وذوق سليم، ونجد عندهم لكل
مسألة من المسائل ولكل عقيدة من العقائد تفسيراً شافياً كافياً لأحد أئمة أهل
البيت (عليهم السلام)، قد لا نجد لها حلاً عند أهل السنة وعند الفرق
الأخرى.

وسأتبع في هذا الفصل بعض العقائد وأهمها عند الفريقين، وأحاول إبراز

ما اقتنعت به، وأترك للقارئ حرية الفكر والاختيار والنقد والتجريح.

وألفت النظر إلى أن العقيدة الأساسية هي بالنسبة للمسلمين كافة عقيدة

واحدة، وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، لا يفرقون بين أحد من
رسله كما يتفقون في أن النار حق والجنة حق وأن الله يبعث من في القبور ويحشرهم
جميعاً ليوم الحساب.

كما أنهم يتفقون على القرآن ويؤمنون بأن نبيهم محمد رسول الله، وقبلتهم

واحدة ولكن وقع الاختلاف في مفهوم هذه العقائد فأصبحت مسرحاً للمدارس
الكلامية يرون فيها شتى الآراء والمذاهب.

العقيدة في الله تعالى
(عند الطرفين)

وأهم ما يذكر في هذا الموضوع هي رؤية الله تعالى فقد أثبتها أهل السنة والجماعة لكل المؤمنين في الآخرة وعندما نقرأ صحاح السنة والجماعة كالبخاري ومسلم مثلاً نجد روايات تؤكد الرؤية حقيقة لا مجازاً (١). بل نجد فيها تشبيهاً لله سبحانه، وأنه يضحك (٢) ويأتي ويمشي وينزل إلى سماء الدنيا (٣) بل ويكشف عن ساقه التي بها علامة يعرف بها (٤). ويضع رجله في جهنم فتمتلئ وتقول قط قط إلى غير ذلك من الأشياء والأوصاف التي ينتزه الله جل وعلا عن أمثالها (٥). وأذكر أنني مررت بمدينة لآمو في كينيا بشرق إفريقيا ووجدت إماماً من الوهابية يحاضر المصلين داخل المسجد ويقول لهم بأن لله يدين ورجلين وعينين ووجهاً، ولما استنكرت عليه قام يستدل بآيات من القرآن قائلاً* (وقالت

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٤٧ ج ٥ ص ١٧٩ و ج ٦ ص ٣٣.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٢٦ و ج ٥ ص ٤٧ - ٤٨ صحيح مسلم ج ١ ص ١١٤ - ١٢٢.

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٩٧.

(٤) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٨٢.

(٥) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٨٧ وفي صفحة ٢٠٢ يثبت أن لله يد وأصابع.

اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان...)* (١)
وقال أيضا* (أصنع الفلك بأعيننا...)* (٢) وقال: * (كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك...)*.

قلت: يا أخي، كل هذه الآيات التي أدليت بها وغيرها إنما هي مجاز
وليست حقيقة!

أجاب قائلاً: كل القرآن حقيقة وليس فيه مجازاً، قلت: إذن ما هو
تفسيركم للآية التي تقول: * (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة
أعمى...)* (٤)، فهل تحملون هذه الآية على المعنى الحقيقي؟
فكل أعمى في

الدنيا يكون أعمى في الآخرة؟ أجاب الشيخ نحن نتكلم عن يد الله وعين الله
ووجه الله، ولا دخل لنا في العميان!

قلت: دعنا من العميان فما هو تفسيركم في الآية التي ذكرتها: * (كل من
عليها فان ويبقى وجه ربك...)* * التفت إلى الحاضرين وقال لهم: هل فيكم
من لم يفهم هذه الآية؟ إنها واضحة جلية كقوله سبحانه * (كل شيء هالك إلا
وجهه)* (٥). قلت: أنت زدت الطين بلة! يا أخي نحن إنما اختلفنا في
القرآن، ادعيت أنت بأن القرآن ليس فيه مجاز وكله حقيقة! وادعيت أنا بأن في
القرآن مجازاً وبالخصوص الآيات التي فيها تجسيم لله تعالى أو تشبيهه، وإذا
أصررت على رأيك فيلزمك أن تقول، بأن كل شيء هالك لولا وجهه معناه يده
ورجله وكل جسمه يفنى ويهلك ولا يبقى منه إلا الوجه، تعالى الله عن ذلك
علواً كبيراً! ثم التفت إلى الحاضرين قائلاً: فهل ترضون بهذا التفسير، سكت

(١) سورة المائدة آية ٦٤.

(٢) سورة هود آية ٣٧.

(٣) سورة الرحمن آية ٢٧.

(٤) سورة الإسراء آية ٧٢.

(٥) سورة القصص آية ٨٨.

الجميع ولم يتكلم شيخهم المحاضر بكلمة فودعتهم وخرجت داعيا لهم بالهداية والتوفيق.

نعم هذه عقيدتهم في الله في صحاحهم وفي محاضراتهم ولأقول إن بعض علمائنا ينكر ذلك ولكن الأغلبية يؤمنون برؤية الله سبحانه في الآخرة وأنهم سوف يرونه كما يرون القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب ويستدلون بالآية (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) (١).

وبمجرد اطلاعك على عقيدة الشيعة الإمامية في هذا الصدد يرتاح ضميرك ويسلم عقلك بقبول تأويل الآيات القرآنية التي فيها تجسيم أو تشبيه لله تعالى وحملها على المجاز والاستعارة، لا على الحقيقة ولا على ظواهر الألفاظ، كما توهمه البعض.

يقول الإمام علي (عليه السلام) في هذا الصدد:
" لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت محدود ولا أجل ممدود... " (٢).
ويقول الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في الرد على المشبهة:
" بل كل ما ميزناه بأوهامنا في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلنا مردود إلينا... " (٣).

ويكفي في هذا رد الله سبحانه في محكم كتابه قوله: (ليس كمثله شيء) وقوله (لا تدركه الأبصار) وقوله لرسوله وكليمه موسى (عليه السلام) لما طلب

(١) سورة القيامة آية ٢٣ هذه الآية فسرها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بأن الوجوه تكون يومئذ ناظرة بمعنى الحسن والبهجة وإلى رحمة ربها ناظرة.
(٢) نهج البلاغة شرح محمد عبده ج ١ الخطبة عدد ١.
(٣) عقائد الإمامية.

رؤيته (قال رب أرني أنظر إليك: قال: لن تراني) ولن "الزمخشيرية" تقييد التأييد كما يقول النحاة.

كل ذلك دليل قاطع على صحة أقوال الشيعة الذين يعتمدون فيها على أقوال الأئمة من أهل البيت، معدن العلم وموضع الرسالة، ومن أورثهم الله علم الكتاب.

ومن أراد التوسع في هذا البحث فما عليه إلا الرجوع إلى الكتب المفصلة لهذا الموضوع ككتاب "كلمة حول الرؤية" للسيد شرف الدين صاحب المراجعات (١).

(١) كتاب المراجعات من الكتب التي يجب أن يقرأها كل من يريد التعرف على عقائد الشيعة الإمامية وأفكارهم.

العقيدة في النبوة (عند الطرفين)

والخلاف الواقع بين الشيعة وأهل السنة في هذا الباب هو موضوع العصمة، فالشيعة يقولون بعصمة الأنبياء (عليهم السلام) قبل البعثة وبعدها، ويقول أهل السنة والجماعة بأنهم معصومون في ما يبلغونه من كلام الله فقط، أما فيما عدا ذلك فهم كسائر البشر يخطئون ويصيبون. وقد روي في ذلك عدة روايات في صحاحهم تثبت بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخطأ في عدة مناسبات وكان بعض الصحابة يصوبه ويصلحه، كما في قضية أسرى بدر التي أخطأ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصاب عمر، ولولاه لهلك رسول الله... (١) ومنها أنه لما قدم المدينة وجد أهلها يؤبرون النخل فقال لهم: " لا تؤبروه وسيكون تمرا " ولكنه جاء شيصا، فجاؤوه وشكوا له ذلك فقال لهم " أنتم أعلم بأمور دنياكم مني " وفي رواية أخرى قال لهم: " إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوه، وإذا أمرتكم بشئ من رأيي فإنما أنا بشر " (٢).

(١) البداية والنهاية لابن كثير نقل عن الإمام أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي.
(٢) صحيح مسلم في كتاب الفضائل ج ٧ ص ٩٥ ومسند الإمام أحمد ج ١ ص ١٦٢ و ج ٣ ص ١٥٢.

ومرة يروون أنه سحر وبقي أياما مسحورا لا يدري ما يفعل، حتى أنه كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن (١) أو يخيل إليه أنه صنع شيئا ولم يصنعه (٢).

ومرة يروون أنه سها في صلاته فلم يدر كم صلى من ركعة (٣) وأنه نام واستغرق في نومه حتى سمعوا غطيته ثم استيقظ فصلى بدون وضوء (٤). ويروون أنه يغضب ويسب ويلعن من لا يستحق ذلك فيقول:
" اللهم إنما أنا بشر فأبي المسلمين لعنته، أو سببته فاجعله له زكاة وحمة... " (٥).

ويروون أنه كان مضطجعا في بيت عائشة كاشفا عن فخذه ودخل عليه أبو بكر وتحدث معه وهو على تلك الحال، ثم دخل عمر وتحدث معه وهو على تلك الحال، ولما استأذن عثمان جلس وسوى ثيابه، ولما سألته عائشة عن ذلك، قال لها:

" ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة " (٦).
ويروون أنه كان يصبح جنبا في رمضان (٧) فتفوته صلاة الفجر، إلى غير ذلك من الأحاديث التي لا يقبلها عقل، ولا دين، ولا مروءة (٨).
أما الشيعة - استنادا إلى أئمة أهل البيت - فهم ينزهون الأنبياء عن هذه

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٩.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٦٨.

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٣ و ج ٢ ص ٦٥.

(٤) صحيح البخاري ج ١ ص ٣٧ و ص ٤٤ و ص ١٧١.

(٥) سنن الدارمي كتاب الرقاق.

(٦) صحيح مسلم باب فضائل عثمان ج ٧ ص ١١٧.

(٧) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٣٢ و ص ٢٣٤.

(٨) صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٤ و ج ٧ ص ٩٦.

الترهات وخصوصا نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ويقولون بأنه منزه عن الذنوب والخطايا والمعاصي صغيرة كانت أم كبيرة، وهو معصوم عن الخطأ والنسيان والسهو والسحر وكل ما يخالط العقل، بل هو منزه حتى عما يتنافى مع المروءة والأخلاق الحميدة كالأكل في الطريق، أو الضحك بصوت عال أو المزاح بغير حق، أو أي فعل يستهجن عمله عند العرف العام، فضلا عن أن يضع خده على خد زوجته أمام الناس ويتفرج معها على رقص السودان (١) أو أن يخرج زوجته في غزوة فيتسابق معها فيغلبها مرة وتغلبه أخرى فيقول لها " هذه بتيك " (٢).

والشيعة يعتبرون الروايات التي رويت في هذا المعنى والتي تتناقض مع عصمة الأنبياء كلها موضوعة من قبل الأمويين وأنصارهم أولا. للحط من قيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثانيا. لكي يلتمسوا عذرا لأعمالهم القبيحة وأخطائهم الشنيعة التي سجلها لهم التاريخ، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطئ ويميل مع الهوى، كما رووا ذلك في قصة " عشقه زينب بنت جحش لما رآها تمشط شعرها وهي زوجة لزيد بن حارثة فقال: سبحان الله مقلب القلوب " (٣) أو قصة ميله إلى عائشة وعدم عدله مع بقية زوجاته حتى بعث له مرة مع فاطمة ومرة مع زينب بنت جحش ينشدنه العدل (٤) فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الحالة فلا لوم بعد ذلك على معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص ويزيد بن معاوية وكل الخلفاء الذين فعلوا الموبقات واستباحوا الحرمات وقتلوا الأبرياء. والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم أئمة الشيعة يقولون

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢٨ و ج ٢ ص ٣ كتاب العيدين.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٧٥.

(٣) تفسير الجلالين في تفسير قوله تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه).

(٤) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٦ باب فضائل عائشة.

بعصمته صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤولون الآيات القرآنية التي يفهم ظاهرها أن الله سبحانه عاتب نبيه مثل " عبس وتولى " أو التي في بعضها إقرار الذنوب عليه كقوله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أو قوله (لقد تاب الله على النبي) و (عفا الله عنك لم أذنت لهم).

وكل هذه الآيات لا تخدش في عصمته صلى الله عليه وآله وسلم فبعضها لم يكن هو المقصود بها، وبعضها الآخر يحمل على المجاز لا على ظواهر الألفاظ، وهو كثير الاستعمال في لغة العرب وقد استعمله سبحانه في القرآن الكريم. ومن أراد التفصيل والوقوف على حقيقة الأشياء فما عليه إلا الرجوع إلى كتب التفسير عند الشيعة أمثال الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي وتفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية والاحتجاج للطبرسي وغيرهم لأنني رمت الاختصار وإبراز عقيدة الفريقين بصفة عامة وليس هذا الكتاب إلا لغرض بيان قناعاتي الشخصية التي اقتنعت بها، واختياري الشخصي لمذهب يقول بعصمة الأنبياء والأوصياء من بعدهم ويريح فكري، ويقطع عني طريق الشك والحيرة. والقول بأنه معصوم فقط في تبليغ كلام الله قول هراء لا حجة فيه لأنه ليس هناك دليل على أن هذا القسم من كلامه هو من عند الله، وذاك القسم هو من عند نفسه، فيكون في الأول معصوما ويكون في الثاني غير معصوم ويحتمل فيه الخطأ.

أعوذ بالله من هذا القول المتناقض الذي يبعث على الشك والطعن في قداسة الأديان.

وهذا يذكرني بمحاورة دارت بيني وبين جماعة من الأصدقاء بعد استبصاري، وكنت أحاول إقناعهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوم، وكانوا يحاولون إقناعي بأنه معصوم فقط في تبليغ القرآن، وكان من بينهم أستاذ من توزد " منطقة الجريد " (١) وهم مشهورون بالذكاء والعلم والنكتة

(١) منطقة الجريد بالجنوب التونسي تبعد عن قفصة ٩٢ كلم وهي مسقط رأس أبو القاسم الشابي الشاعر المعروف والخضر حسين الذي ترأس الأزهر الشريف والكثير من علماء تونس مولودون في هذه المنطقة.

الطريقة، ففكر قليلا ثم قال: " يا جماعة أنا عندي رأي في هذه المسألة " فقلنا جميعا: - تفضل هات ما عندك! قال:

- إن ما يقوله أخونا التيجاني على لسان الشيعة هو الحق الصحيح، ويجب علينا الاعتقاد بعصمة الرسول المطلقة، وإلا داخلنا الشك في القرآن نفسه!

- قالوا: ولم ذلك؟ أجب على الفور:

هل وجدت أي سورة من سور القرآن تحتها إمضاء الله تعالى؟؟

ويقصد بالإمضاء: الختم الذي يختم به العقود والرسائل للدلالة على هوية صاحبها وأنها صادرة عنه. وضحك الجميع لهذه النكتة الطريفة، ولكنها ذات معنى عميق، فأى إنسان غير متعصب يتمعن بعقله ستصدمه هذه الحقيقة ألا وهي: الاعتقاد بأن القرآن كلام الله هو الاعتقاد بعصمة مبلغة المطلقة بدون تجزأة لأنه لا يمكن لأحد أن يدعي بأنه سمع الله يتكلم ولا يدعي أحد بأنه رأى جبرائيل عندما ينزل بالوحي.

والخلاصة أن قول الشيعة في العصمة قول شديد يطمئن إليه القلب ويقطع وساوس النفس والشيطان، ويقطع الطريق على كل المشاغبين وخصوصا أعداء الدين من اليهود والنصارى والملحدون الذين يبحثون عن ثغرات ينفذون منها لنسف معتقداتنا وديننا، والظعن في نبينا، فتراهم كثيرا ما يحتجون علينا بما أورده صحيح البخاري ومسلم من أفعال وأقوال تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو منها برئ (١).

(١) أخرج البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٥٢ في باب شهادة الأعمى من كتاب الشهادات قال: حدثنا ابن عبيد بن ميمون أخبرنا عيسى.. عن عائشة قالت: سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يقرأ في المسجد فقال: رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا...

وكيف لنا أن نقنعهم بأن كتاب البخاري وكتاب مسلم فيهما بعض
الأكاذيب، وهذا الكلام خطير طبعاً، لأن أهل السنة والجماعة لا يقبلونه
فالبخاري عندهم أصح كتاب بعد كتاب الله!

(١) إقرأ واعجب أيها القارئ من هذا الرسول الذي يسقط الآيات، ولولا هذا الأعمى
الذي ذكره بهن لكن في خبر كان - أستغفر الله من هذا الهذيان.

العقيدة في الإمامة (عند الطرفين)
والقصد من الإمامة في هذا البحث هي الإمامة الكبرى للمسلمين، أعني
الخلافة والحكم، والقيادة والولاية.
وبما أن كتابي اعتمد في أبحاثه على المقارنة بين مذهب أهل السنة والجماعة،
والشيعة الإمامية لا بد لي من إبراز مبدأ الإمامة عند الفريقين، حتى يتبين
للقارئ والباحث ما هي الأسس والمعالم التي يركز عليها كل من الفريقين،
ويعرف بالتالي القناعات التي ألزمتني بقبول التحول وترك ما كنت عليه.
فالإمامة عند الشيعة، هي أصل من أصول الدين لما لها من الأهمية الكبرى
والخطورة العظمى وهي قيادة خير أمة أخرجت للناس وما تقوم عليه القيادة من
فضائل عديدة وخصائص فريدة أذكر منها، العلم والشجاعة والحلم والنزاهة
والعفة والزهد والتقوى والصلاح الخ.
فالشيعة يعتقدون بأن الإمامة منصب إلهي يعهد به الله سبحانه إلى من
يصطفيه من عباده الصالحين ليقوم بذلك الدور الخطير ألا وهو قيادة العالم بعد
النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
وعلى هذا كان الإمام علي بن أبي طالب إماماً للمسلمين باختيار الله له،

وقد أوحى لرسوله لكي ينصبه علما للناس، وقد نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودل الأمة عليه بعد حجة الوداع في غدیر خم، فبايعوه " هذا ما يقوله الشيعة "

أما أهل السنة والجماعة فيقولون أيضا بوجوب الإمامة لقيادة الإمامة، ولكنهم يجعلون للأمة حق اختيار إمامها وقائدها، فكان أبو بكر بن أبي قحافة إماما للمسلمين باختيار المسلمين أنفسهم له بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي سكت عن أمر الخلافة ولم يبين للأمة شيئا منها وترك الأمر شورى بين الناس.

أين الحقيقة

إذا تأمل الباحث في أقوال الطرفين وتمعن في حجج الفريقين بدون تعصب فسوف يقترب من الحقيقة بدون شك. وها أنا سوف أستعرض وإياكم الحقيقة التي وصلت إليها على النحو التالي:

I الإمامة في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: {وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين} (١).
في هذه الآية الكريمة يبين الله لنا بأن الإمامة منصب إلهي يعطيه الله لمن يشاء من عباده لقوله: جاعلك للناس إماما كما توضح الآية بأن الإمامة هي عهد من الله لا ينال إلا العباد الصالحين الذين اصطفاهم الله لهذا الغرض لانتفائه عن الظالمين الذين لا يستحقون عهده سبحانه وتعالى.
وقال تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (٢).

(١) سورة البقرة آية ١٢٤.

(٢) سورة الأنبياء آية ٧٣.

وقال سبحانه وتعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (١).
وقال أيضا: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) (٢).
وقد يتوهم البعض بأن مدلول الآيات المذكورة يفهم منها بأن الإمامة المقصودة هنا هي النبوة والرسالة وهو خطأ في المفهوم العام للإمامة، لأن كل رسول هو نبي وإمام وليس كل إمام رسول أو نبي!
ولهذا الغرض أوضح الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن عباده الصالحين يمكن لهم أن يسألوه هذا المنصب الشريف ليتشرفوا بهداية الناس وينالوا بذلك الأجر العظيم قال تعالى: (والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما) (٣).
كما أن القرآن الكريم استعمل لفظ الإمامة للتدليل على القادة والحكام الظالمين الذين يضلون أتباعهم وشعوبهم ويقودونهم إلى الفساد والعذاب في الدنيا والآخرة، فقد جاء في ذكر الحكيم، حكاية عن فرعون وجنوده، قوله تعالى: (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين، وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) (٤).
وعلى هذا الأساس فقول الشيعة هو الأقرب لما أقره القرآن الكريم لأن الله

(١) سورة السجدة آية ٢٤.

(٢) سورة القصص آية ٥.

(٣) سورة الفرقان آية ٧١ - ٧٤.

(٤) سورة القصص آية ٤١ - ٤٢.

سبحانه وتعالى أوضح بما لا يدع مجالاً للشك بأن الإمامة منصب إلهي يجعله الله حيث يشاء وهو عهد الله الذي نفاه عن الظالمين وبما أن غير علي من صحابة النبي قد أشركوا فترة ما قبل الإسلام فإنهم بذلك يصبحون من الظالمين، فلا يستحقون عهد الله لهم بالإمامة والخلافة، ويبقى قول الشيعة بأن الإمام علي بن أبي طالب استحق وحده دون سائر الصحابة عهد الله بالإمامة لأنه لم يعبد إلا الله وكرم الله وجهه دون الصحابة لأنه لم يسجد لصنم، وإذا قيل بأن الإسلام يجب ما قبله، قلنا نعم ولكن يبقى الفرق كبيرا بين من كان مشركا وتاب، ومن كان نقيًا خالصًا لم يعرف إلا الله.

II الإمامة في السنة النبوية:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإمامة أقوالاً متعددة رواها كل من الشيعة والسنة في كتبهم ومسانيدهم فمرة تحدث عنها بلفظ الإمامة ومرة بلفظ الخلافة وأخرى بلفظ الولاية أو الإمارة. جاء في الإمامة قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

" خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ".
قالوا يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف فقال " لا ما أقاموا فيكم الصلاة " (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:
" يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس " (٢).

(١) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٤ باب خيار الأئمة وشرارهم.
(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٠ باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن.

وجاء في الخلافة قوله صلى الله عليه وآله وسلم:
" لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم
من قريش " (١).

وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول: " لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة ثم قال كلمة لم أفهمها فقلت
لأبي، ما قال؟ فقال كلهم من قريش " (٢).

وجاء في الإمارة قوله صلى الله عليه وآله وسلم:
" ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ولكن
من رضي وتابع قوله: أفلا نقاتلهم قال: لا ما صلوا " (٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في لفظ الإمارة أيضا:
" يكون اثنا عشر أميرا كلهم من قريش " (٤).

وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم محذرا أصحابه:
" ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست
الفاطمة " (٥).

وجاء الحديث أيضا بلفظ الولاية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

" ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه

(١) صحيح مسلم ج ٦ ص ٤ باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٣ وصحيح البخاري ج ٨ ص ١٠٥ و ص ١٢٨.

(٣) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٣ باب وجوب الإنكار على الأمراء.

(٤) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٢٧ باب الاستخلاف.

(٥) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٠٦ باب ما يكره من الحرص على الإمارة.

الجنة " (١).

كما حدث صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ الولاية:

" لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا كلهم من قريش " (٢).

وبعد هذا العرض الوجيز عن مفهوم الإمامة أو الخلافة التي استعرضتها من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الصحيحة بدون تفسير ولا تأويل، بل اعتمدت على صحاح أهل السنة دون غيرهم من الشيعة لأن هذا الأمر (أعني الخلافة في اثني عشر كلهم من قريش) عندهم من المسلمات التي لا غبار عليها، ولا يختلف فيها اثنان منهم، مع العلم بأن بعض علماء أهل السنة والجماعة يصرحون بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال:

" يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من بني هاشم " (٣).

وعن الشعبي عن مسروق قال بينما نحن عند ابن مسعود نعرض مصاحفنا عليه إذ قال له فتى: هل عهد إليكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة قال: إنك لحديث السن وإن هذا شيء ما سألتني عنه أحد قبلك، نعم عهد إلينا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه يكون بعده اثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني إسرائيل... " (٤). وبعد هذا فلنستعرض أقوال الفريقين على صحة ادعاء كل منهما من خلال النصوص الصريحة، كما نناقش تأويل كل منهما في هذه المسألة الخطيرة التي فرقت المسلمين من يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا، وقد نشأ من ذلك اختلاف المسلمين إلى مذاهب وفرق ومدارس كلامية وفكرية، بعد أن كانوا أمة واحدة. فكل خلاف وقع بين المسلمين سواء في الفقه أو في التفسير

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٠٦ باب ما يكره من الحرص على الإمارة.

(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٣ باب الخلافة في قريش.

(٣) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٤.

(٤) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٥.

للقرآن أو في فهم السنة النبوية الشريفة منشؤه وسببه الخلافة وما أدراك ما لخلافة التي أصبحت بعد السقيفة أمرا واقعا يستنكر بسببها أحاديث صحيحة وآيات صريحة وتختلق من أجل تثبيتها وتصحيحها أحاديث أخرى لا أساس لها في السنة النبوية الصحيحة، وهذا يذكرني بإسرائيل والأمر الواقع ذلك أن الرؤساء والملوك العرب اجتمعوا واتفقوا أن لا اعتراف بإسرائيل ولا تفاوض معها ولا سلم فما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة، وبعد سنوات قليلة اجتمعوا من جديد ليقطعوا هذه المرة علاقاتهم مع مصر التي اعترفت بالكيان الصهيوني وبعد سنوات قليلة أعادوا علاقاتهم مع مصر ولم يطعنوا بعلاقتها بإسرائيل مع أن إسرائيل لم تعترف بحق الشعب الفلسطيني ولم تغير شيئا من موقفها بل زادت في تعنتها وضاعفت قمعها للشعب الفلسطيني، فالتاريخ يعيد نفسه وقد اعتاد العرب التسليم بالأمر الواقع.

رأي أهل السنة والجماعة في الخلافة ومناقشته
رأيهم معروف وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي ولم يعين
أحدًا للخلافة، ولكن أهل الحل والعقد من الصحابة اجتمعوا في سقيفة بني
ساعدة، وولوا أمرهم أبا بكر الصديق لمكانته من رسول الله، ولأن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه في الصلاة أيام مرضه، فقالوا رضي رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمر ديننا فكيف لا نرضاه لأمر دنيانا؟ ويتلخص
قولهم في:

- ١ - الرسول لم ينص على أحد.
 - ٢ - لا تكون الخلافة إلا بالشورى.
 - ٣ - استخلاف أبي بكر وقع من طرف كبار الصحابة.
- نعم هذا رأيي عندما كنت مالكيًا أدافع عنه بكل ما أوتيت من قوة وأستدل
عليه بآيات الشورى. وأحاول جهدي التبجح بأن الإسلام هو دين الديمقراطية
في الحكم وأنه السابق لهذا المبدأ الإنساني الذي تفخر به الدول المتحضرة الراقية.
وأقول: إذا كان الغرب ما عرف النظام الجمهوري إلا في القرن التاسع
عشر فإن الإسلام عرفه وسبق إليه من القرن السادس.

ولكن وبعد لقائي بعلماء الشيعة وقراءة كتبهم والاطلاع على أدلتهم المقنعة التي هي موجودة في كتبنا غيرت رأبي الأول لما أسفرت الحجة عن وجهها لأنه لا يليق بجلال الله سبحانه أن يترك أمة بدون إمام وهو القائل: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) كما لا يليق برحمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك أمنه؟ بدون راع، وبالخصوص إذا عرفنا أنه كان يخشى على أمته الفرقة (١) والانقلاب على الأعقاب (٢). والتنافس على الدنيا (٣) حتى يضرب بعضهم رقاب بعض (٤)، ويتبعوا سنن اليهود والنصارى (٥).

وإذا كانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر تبعث إلى عمر بن الخطاب حين طعن فتقول له: " استخلف على أمة محمد ولا تدعهم بعدك هملا فإني أخشى عليهم الفتنة " (٦).

وإذا كان عبد الله بن عمر يدخل على أبيه حين طعن فيقول له: " إن الناس زعموا أنك غير مستخلف، وإنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيع فرعاية الناس أشد " (٧).

وإذا كان أبو بكر نفسه وهو الذي استخلفه المسلمون بالشورى يحطم هذا المبدأ ويسارع إلى استخلاف عمر من بعده ليقطع بذلك دابر الخلاف والفرقة والفتنة، وهو الأمر الذي تنبأ به علي (عليه السلام) حينما شدد عليه عمر لمبايعة أبي بكر فقال له:

(١) الترمذي وأبو داود وابن ماجه ومسنده أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٩ باب الحوض. و ج ٥ ص ١٩٢.

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ٦٣.

(٤) صحيح البخاري ج ٧ ص ١١٢.

(٥) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٤ و ج ٨ ص ١٥١.

(٦) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٢٨.

(٧) صحيح مسلم ج ٦ ص ٥ باب الاستخلاف وتركه.

" أحلب حلبا لك شطره واشدد له اليوم يردده عليك غدا " (١).
أقول إذا كان أبو بكر لا يؤمن بالشورى، فكيف نصدق بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك الأمر بدون استخلاف وهل أنه لم يكن يعلم ما عمله أبو بكر وعائشة و عبد الله بن عمر، وما يعلمه كل الناس بالبداهة، من اختلاف الآراء وتشتت الأهواء عندما يوكل إليهم أمر الاختيار وبالخصوص إذا كان الأمر يتعلق بالرئاسة واعتلاء منصة الخلافة، كما وقع ذلك بالفعل حتى في اختيار أبي بكر يوم السقيفة، إذ أننا رأينا خلاف سيد الأنصار سعد بن عبادة وابنه قيس بن سعد، وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام (٢) والعباس بن عبد المطلب وسائر بني هاشم وبعض الصحابة الذين كانوا يرون الخلافة حقا لعلي (عليه السلام) وتخلفوا في داره عن البيعة حتى هددوا بالحرق (٣).
في مقابل ذلك نرى الشيعة الإمامية يثبتون عكس مقالة أهل السنة ويؤكدون بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عين عليا للخلافة ونص عليه في عدة مناسبات وأشهرها في غدِير خم.

وإذا كان الإنصاف يقتضي منك أن تستمع إلى خصمك ليدلي برأيه و حجته في قضية وقع الخلاف فيها معك، فكيف إذا احتج خصمك بما تشهد أنت نفسك بوقوعه " (٤).

وليس دليل الشيعة دليلا واهيا أو ضعيفا حتى يمكن التغاضي عنه وتناسيه بسهولة وإنما الأمر يتعلق بآيات من الذكر الحكيم أنزلت في هذا الشأن وأولها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العناية والأهمية ما سارت به الركبان

-
- (١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٨ .
(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦ باب رجم الحبلى من الزنا.
(٣) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج ١ ص ١٨ وما بعدها.
(٤) وذلك أنه ليس هناك دليل عند الشيعة إلا وفي كتب السنة مصداقه.

وتناقله الخاص والعام حتى ملأت كتب التاريخ والأحاديث وسجله الرواة جيلا بعد جيل.

١ - ولاية علي في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون" (١).

أخرج الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير (٢) بالإسناد إلى أبي ذر الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهاتين وإلا صمتا، ورأيته بهاتين وإلا عميتا، يقول:

" علي قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله "

أما إنني صليت مع رسول الله ذات يوم، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئا، وكان علي راكعا فأوماً بخصره إليه وكان يتختم بها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خصره، فتضرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله عز وجل يدعو فقال: اللهم إن أخي موسى سألك " قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا " فأوحيت إليه " قد أوتيت سؤالك يا موسى " اللهم وأني عبدك ونيبك، فاشرح لي صدري ويسر لي أمري، واجعل لي وزيرا من أهلي عليا أشدد به ظهري " قال أبو ذر، فوالله ما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرائيل بهذه الآية: (إنما وليكم الله

(١) سورة المائدة آية ٥٥ - ٥٦.

(٢) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ذكره ابن خلكان وقال: كان أوحد زمانه في علم التفسير صحيح النقل موثوق به.

ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (١).
ولا خلاف عند الشيعة في أنها نزلت في علي بن أبي طالب رواية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهي من الأخبار المتسالم عليها عندهم فقد رويت في العديد من كتب الشيعة المعتبرة عندهم مثل:

- ١ - بحار الأنوار للمجلسي.
 - ٢ - إثبات الهداة للحر العاملي.
 - ٣ - تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.
 - ٤ - تفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية.
 - ٥ - الغدير للعلامة الأميني - وغير هؤلاء كثير - .
- كما روى نزولها في علي بن أبي طالب من علماء أهل السنة والجماعة جمع غفير أذكر منهم فقط علماء التفسير.
- ١ - تفسير الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦٤٩.
 - ٢ - تفسير الطبري ج ٦ ص ٢٨٨.
 - ٣ - زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٢ ص ٣٨٣.
 - ٤ - تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢١٩.
 - ٥ - تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ٢٦.
 - ٦ - تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١.
 - ٧ - تفسير النسفي ج ١ ص ٢٨٩.
 - ٨ - شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٦١.
 - ٩ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ج ٢ ص ٢٩٣.
 - ١٠ - أسباب النزول للإمام الواحدي ص ١٤٨.

(١) الجمع بين الصحاح الستة. صحيح النسائي - مسند أحمد - ابن حجر في صواعقه وكذلك رواها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة.

١١ - أحكام القرآن للجصاص ج ٤ ص ١٠٢.

١٢ - التسهيل لعلوم التنزيل للكليبي ج ١ ص ١٨١.

وما لم أذكره من كتب السنة أكثر مما ذكرت.

٢ - آية البلاغ تتعلق أيضا بولاية علي:

قال تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما

بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (١).

يقول بعض المفسرين من أهل السنة والجماعة بأن هذه الآية نزلت في بداية الدعوة عندما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقيم حرسا يحرسونه خوفا من القتل والاعتقال فلما نزلت (والله يعصمك من الناس) قال " إذهبوا فإن الله قد عصمني " .

فقد أخرج ابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن شقيق قال: " إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعقبه ناس من أصحابه فلما نزلت (والله يعصمك من الناس) فخرج فقال:

" يا أيها الناس إالحقوا بملاحقكم فإن الله قد عصمني من الناس " (٢).

وأخرج ابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة قال: كنا إذا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر تركنا له أعظم دوحة وأظلمها فينزل تحتها فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه فقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله يمنعني منك. ضع عنك السيف فوضعه، فنزلت (والله يعصمك من الناس) (٣).

(١) سورة المائدة آية ٦٧.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٣ ص ١١٩.

(٣) نفس المصدر السابق.

كما أخرج الترمذي والحاكم وأبو نعيم عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرس حتى نزلت (والله يعصمك من الناس) فأخرج رأسه من القبة فقال: أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرس وكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجلا من بني هاشم يحرسونه، فقال: يا عم إن الله قد عصمني لا حاجة لي إلى من تبعث.

ونحن إذا تأملنا في هذه الأحاديث وهذه التأويلات وجدناها لا تستقيم ومفهوم الآية الكريمة ولا حتى مع سياقها فكل هذه الروايات تفيد بأنها نزلت في بداية الدعوة حتى أن البعض يصرح بأنها في حياة أبي طالب يعني قبل الهجرة بسنوات كثيرة، وبالخصوص رواية أبي هريرة التي يقول فيها " كنا إذا صحبنا رسول الله في سفر تركنا له أعظم دوحة... الخ " فهذه الرواية ظاهرة الوضع لأن أبا هريرة لم يعرف الإسلام ولا رسول الله إلا في السنة السابعة للهجرة النبوية كما يشهد هو نفسه بذلك (١) فكيف يستقيم هذا، وكل المفسرين سنة وشيعة أجمعوا على أن سورة المائدة مدنية وهي آخر ما نزل من القرآن؟؟؟
فقد خرج أحمد وأبو عبيد في فضائله والنحاس في ناسخه والنسائي وابن المنذر والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن جبيرة بن نفيير قال: حججت فدخلت على عائشة، فقالت: لي يا جبيرة تقرأ المائدة؟ فقلت نعم، فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه (٢).

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٣١ البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٢ سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢

ص ٤٣٦ الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٢٨٧.

(٢) جلال الدين السيوطي الدر المنثور ج ٣ ص ٣.

كما أخرج أحمد والترمذي وحسنه الحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عمرو قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة (١). وأخرج أبو عبيد عن محمد بن كعب القرظي قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع، فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته، فانصدعت كتفها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢). وأخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسير في حجة الوداع وهو راكب راحلته، فبركت به راحلته من ثقلها (٣).

وأخرج أبو عبيد عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المائدة من آخر القرآن تنزيلاً، فأحلوا حلالها وحرموا حرامها (٤).

فكيف يقبل العاقل المنصف بعد كل هذا، ادعاء من قال بنزولها في أول البعثة النبوية؟ وذلك لصرفها عن معناها الحقيقي، أضف إلى ذلك أن الشيعة لا يختلفون في أن سورة المائدة هي آخر القرآن نزولاً وأن هذه الآية بالذات (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...) والتي تسمى آية البلاغ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة عقيب حجة الوداع في غدیر خم قبل تنصيب الإمام علي عليه السلام ليكون خليفته من بعده وذلك يوم الخميس، وقد نزل بها جبرائيل (عليه السلام) بعد مضي خمس

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٣ ص ٤.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ج ٣ ص ٤.

(٤) نفس المصدر السابق.

ساعات من النهار فقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك: يا أيها الرسول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس).

على أن قوله سبحانه وتعالى (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) يدل دلالة واضحة بأن الرسالة انتهت أو هي على وشك النهاية، وإن بقي فقط أمر مهم لا يكتمل الدين إلا به.

كما تشعر الآية الكريمة بأن الرسول كان يخشى تكذيب الناس له إذا ما دعاهم لهذا الأمر الخطير، ولكن الله سبحانه لم يمهل للتأجيل فالأجل قد قرب، وهذه الفرصة هي أحسن الفرص وموقفها هو أعظم المواقف إذ اجتمع معه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من مائة ألف رافقوه في حجة الوداع وما زالت قلوبهم عامرة بشعائر الله مستحضرة نعي الرسول نفسه إليهم.

وقوله لهم: لعلي لا ألقاكم بعد عامكم هذا ويوشك أن يأتي رسول ربي وادعى فأجيب، وهم سيفترقون بعد هذا الموقف الرهيب للعودة إلى ديارهم ولعلمهم لا تتاح لهم فرصة اللقاء مرة أخرى بهذا العدد الكبير، وغدير خم هو مفترق الطرقات فلا يمكن لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يفوت هذه الفرصة بأي حال من الأحوال. كيف وقد جاءه الوحي بما يشبه التهديد على أن كل الرسالة منوطة بهذا البلاغ والله سبحانه قد ضمن له العصمة من الناس فلا داعي للخوف من تكذيبهم فكم كذبت رسل من قبله ولكن لم يثنهم ذلك عن تبليغ ما أمروا به فما على الرسول إلا البلاغ، ولو علم الله مسبقاً بأن أكثرهم للحق كارهون (١) ولو علم بأن منهم مكذبين (٢) ما كان سبحانه ليتركهم بدون إقامة الحجة عليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً

(١) سورة الزخرف آية ٧٨.

(٢) سورة الحاقة آية ٤٩.

حكيمًا (١).

على أن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة في من سبقه من إخوانه الرسل الذين كذبتهم أممهم قال تعالى: (ولن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين، وكذب موسى فأملت للكافرين، ثم أخذتهم فكيف كان نكير) (٢).

ونحن إذا تركنا التعصب المقيت، وحب الانتصار للمذهب لوجدنا أن هذا الشرح هو المناسب لعقولنا ويتمشى مع سياق الآية والأحداث التي سبقتها وأعقبها.

وقد أخرج كثير من علمائنا نزولها في غدير خم في شأن تنصيب الإمام علي وصححو تلك الروايات ووافقوا بذلك إخوانهم من علماء الشيعة، وأذكر على سبيل المثال من علماء السنة:

- ١ - الحافظ أبو نعيم في كتابه نزول القرآن.
- ٢ - الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول ص ١٥٠.
- ٣ - الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير.
- ٤ - الحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ج ١ ص ١٨٧.
- ٥ - جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٣ ص ١١٧.
- ٦ - الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج ١٢ ص ٥٠.
- ٧ - محمد رشيد رضا في تفسير المنار ج ٢ ص ٨٦ ج ٦ ص ٤٦٣.
- ٨ - تاريخ دمشق لأبي عساكر الشافعي ج ٢ ص ٨٦.
- ٩ - فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٦٠.

(١) سورة النساء آية ١٦٥.

(٢) سورة الحج آية ٤٢ - ٤٤.

- ١٠ - مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ ص ٤٤ .
 ١١ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٥ .
 ١٢ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٢٠ .
 ١٣ - الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٦٣ .
 ١٤ - ابن جرير الطبري في كتاب الولاية .
 ١٥ - ابن سعيد السجستاني في كتاب الولاية .
 ١٦ - عمدة القارئ في شرح البخاري لبدر الدين الحنفي ج ٨ ص ٥٨٤ .

- ١٧ - تفسير القرآن لعبد الوهاب البخاري .
 ١٨ - روح المعاني للألوسي ج ٢ ص ٣٨٤ .
 ١٩ - فرائد السمطين للحمويني ج ١ ص ١٨٥ .
 ٢٠ - فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة السيد صديق حسن خان ج ٣ ص ٦٣ .

فهذا نزر يسير ممن يحضرني وهناك أضعاف هؤلاء من علماء أهل السنة ذكرهم العلامة الأميني في كتاب الغدير .
 فماذا يا ترى فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أمره ربه بإبلاغ ما أنزل إليه؟؟

يقول الشيعة، بأنه جمع الناس على صعيد واحد في ذلك المكان وهو غدير خم، وخطبهم خطبة بليغة طويلة وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا بأنه صلى الله عليه وآله وسلم أولى بهم من أنفسهم وعند ذلك رفع يد علي بن أبي طالب وقال: " من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من أخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار " (١) .

(١) وهو ما يسمى بحديث الغدير وقد أخرجه علماء الشيعة وعلماء السنة على حد سواء .

ثم ألبسه عمامته وعقد له موكبا وأمر أصحابه بتهنئته بإمرة المؤمنين ففعلوا
وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر يقولان بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت
مولى كل مؤمن ومؤمنة (١).

وبعدما فرغوا أنزل الله عليه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

هذا ما يقوله الشيعة وهو عندهم من المسلمات ولا يختلف فيه عندهم
اثنان، فهل لهذه الحادثة ذكر عند أهل السنة والجماعة؟ وحتى لا ننحاز إليهم
ويعجبنا قولهم: فقد حذرنا الله سبحانه بقوله: (ومن الناس من يعجبك قوله
في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام..) (٢).
فالواجب أن نحتاط ونبحث هذا الموضوع بكل حذر وننظر في أدلة
الفريقين بكل نزاهة مبتغين في ذلك رضا سبحانه.

والجواب نعم، إن كثيرا من علماء أهل السنة يذكرون هذه الحادثة بكل
أدوارها وها هي بعض الشواهد من كتبهم.

١ - أخرج الإمام أحمد بن حنبل من حديث زيد بن أرقم قال: نزلنا مع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بواد يقال له وادي خم، فأمر بالصلاة
فصلاها بهجير، قال فخطبنا، وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من
الشمس فقال:

" أستم تعلمون، أو أستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟

(١) أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٢٨١ والطبري في تفسيره والرازي في تفسيره الكبير ج ٣
ص ٦٣٦ وابن حجر في صواعقه والدارقطني والبيهقي والخطيب البغدادي والشهرستاني
وغيرهم.

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٤.

قالوا: بلى قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاده... " (١).

٢ - أخرج الإمام النسائي في كتاب الخصائص عن زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل غدِير خَم أمر بدوحات فقممن، ثم قال:

" كأنني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم إنه أخذ بيد علي فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قال أبو الطفيل فقلت لزيد: سمعته من رسول الله فقال: وإنه ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه " (٢).

٣ - أخرج الحاكم النيسابوري عن زيد بن أرقم من طريقين صحيحين علي شرط الشيخين قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل غدِير خَم، أمر بدوحات فقممن فقال:

" كأنني دعيت فأجبت وإني تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه... " (٣).

٤ - كما أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه يسنده إلى زيد بن أرقم

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٧٢.

(٢) النسائي في كتاب الخصائص ص ٢١.

(٣) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٠٩.

ولكنه اختصره فقال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خميا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: " أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي... " (١).

تعليق - بالرغم من أن الإمام مسلم اختصر الحادثة ولم يروها بكاملها إلا أنها بحمد الله كافية وشافية ولعل الاختصار كان من زيد بن أرقم نفسه لما اضطرته الظروف السياسية إلى كتمان حديث الغدير وهذا نفهمه من سياق الحديث إذ يقول الراوي: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا بن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوني، ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خميا...

فيبدو من سياق الحديث أن حصينا سأل زيد بن أرقم عن حادثة الغدير وأخرجه أمام الحاضرين بهذا السؤال وكان بدون شك يعلم بأن الجواب الصريح على ذلك يسبب له مشاكل مع الحكومة التي كانت تحمل الناس على لعن علي بن أبي طالب، ولهذا نجده يعتذر للسائل بأنه كبرت سنه وقدم عهده ونسي بعض

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ باب فضائل علي بن أبي طالب وذكر الحديث أيضا الإمام أحمد والترمذي وابن عساكر وغيرهم.

الذي كان يعي ثم يضيف طالبا من الحاضرين بأن يقبلوا ما يحدثهم به ولا يكلفوه ما يريد السكوت عنه.

ومع خوفه، ومع اختصاره للحادثة واقتضاها فقد أوضح زيد بن أرقم (جزاه الله خيرا) كثيرا من الحقائق وألمح لحديث الغدير بدون ذكره، وذلك قوله قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، ثم بعد ذلك ذكر فضل علي وأنه شريك القرآن في حديث الثقلين كتاب الله وأهل بيتي بدون أن يذكر اسم علي وترك للحاضرين أن يستنتجوا ذلك بذكائهم لأن كل المسلمين يعرفون أن عليا هو سيد أهل بيت النبوة. ولذلك نرى حتى الإمام مسلم نفسه فهم من الحديث ما فهمناه وعرف ما عرفناه فتراه يخرج هذا الحديث في باب فضائل علي بن أبي طالب رغم أن الحديث ليس فيه ذكر لاسم علي بن أبي طالب (١).

٥ - أخرج الطبراني في المعجم الكبير بسند صحيح عن زيد بن أرقم وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم تحت شجرات فقال:

"أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت، فجزاه الله خيرا. فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن جنته حق وأنا ناره حق، وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. فقال اللهم إشهد، ثم قال: يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني عليا - اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ثم قال: يا أيها الناس إني فرطكم، وإنكم واردون علي الحوض، حوض أعرض ما بين بصرى إلى

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ باب فضائل علي بن أبي طالب.

صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض " (١).

٦ - كما أخرج الإمام أحمد من طريق البراء بن عازب من طريقين، قال: كنا مع رسول الله، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي، فقال:

" أستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى قال: أستم تعلمون أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى قال: فأخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال فلقية عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئا يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة " (٢).

وباختصار فقد روى حديث الغدير من أعلام أهل السنة زيادة عمن ذكرنا، الترمذي وابن ماجه، وابن عساكر وأبي نعيم، وابن الأثير، والخوارزمي، والسيوطي، وابن حجر والهيثمي، وابن الصباغ المالكي، والقندوزي الحنفي، وابن المغازلي وابن كثير، والحموي، والحسكاني، والغزالي، والبخاري في تاريخه.

على أن العلامة الأميني صاحب كتاب الغدير ذكر من علماء أهل السنة

(١) ابن حجر في صواعقه ص ٢٥ نقلا عن الطبراني والحكيم الترمذي.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل الجزء الرابع صفحة ٢٨١. كذلك في كنز العمال جزء ١٥

ص ١١٧. فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٥٠.

والجماعة الذين رووا حديث الغدير وأخرجوه في كتبهم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم من القرن الأول للهجرة وحتى القرن الرابع عشر فكان عددهم يزيد عن ثلاثمائة وستين عالما، ولمن أراد التحقيق فعليه بمراجعة كتاب الغدير (١).
أفيمكن بعد كل هذا. أن يقول قائل بأن حديث الغدير هو من مختلقات الشيعة.

والعجيب الغريب أن أغلب المسلمين عندما تذكر له حديث الغدير، لا يعرفه أو قل لم يسمع به والأعجب من هذا كيف يدعي علماء أهل السنة بعد هذا الحديث المجمع على صحته، بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف وترك الأمر شورى بين المسلمين.

فهل هناك للخلافة حديث أبلغ من هذا وأصرح يا عباد الله؟؟ وإني لأذكر مناقشتي مع أحد علماء الزيتونة في بلادنا عندما ذكرت له حديث الغدير محتجا به على خلافة الإمام علي فاعترف بصحته، بل وزاد في الجبل وصلة فأطلعني على تفسيره للقرآن الذي ألفه بنفسه، والذي يذكر فيه حديث الغدير ويصححه ويقول بعد ذلك:

" وتزعم الشيعة بأن هذا الحديث هو نص علي خلافة سيدنا علي كرم الله وجهه، وهو باطل عند أهل السنة والجماعة لأنه يتنافى مع خلافة سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر الفاروق وسيدنا عثمان ذي النورين، فلا بد من تأويل لفظ المولى الوارد في الحديث على معنى المحب والناصر، كما ورد ذلك في الذكر الحكيم، وهذا ما فهمه الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام رضي الله تعالى عليهم أجمعين، وهذا ما أخذه عنهم التابعون وعلماء المسلمين، فلا عبرة لتأويل الرافضة لهذا الحديث لأنهم لا يعترفون بخلافة الخلفاء ويطعنون في صحابة الرسول وهذا وحده كاف لرد أكاذيبهم وإبطال مزاعمهم " انتهى كلامه في

(١) كتاب الغدير للعلامة الأميني في إحدى عشر مجلدا وهو كتاب قيم جمع فيه صاحبه كل ما يتعلق بحديث الغدير من كتب أهل السنة والجماعة.

الكتاب.

سألته: هل الحادثة وقعت بالفعل في غدیر خم؟

أجاب: لو لم تكن وقعت ما كان ليرويها العلماء والمحدثون!

قلت: فهل يليق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجمع أصحابه في حر الشمس المحرقة ويخطب لهم خطبة طويلة ليقول لهم بأن علي محبكم وناصركم؟ فهل ترضون بهذا التأويل؟

أجاب: إن بعض الصحابة اشتكى عليا وكان فيهم من يحقد عليه ويغضه، فأراد الرسول أن يزيد حقدهم فقال لهم بأن عليا محبكم وناصركم، لكي يحبوه ولا يبغضوه.

قلت: هذا لا يتطلب إيقافهم جميعا والصلاة بهم وبدأ الخطبة بقوله:

ألست أولى بكم من أنفسكم لتوضيح معنى المولى، وإذا كان الأمر كما تقول فكان بإمكانه أن يقول لمن اشتكى منهم عليا " إنه محبكم وناصركم " وينتهي الأمر بدون أن يحبس في الشمس تلك الحشود الهائلة وهي أكثر من مائة ألف فيهم الشيوخ والنساء، فالعقل لا يقنع بذلك أبدا!

فقال: وهل العاقل يصدق بأن مائة ألف صحابي لم يفهموا ما فهمت أنت والشيعه؟؟

قلت: أولا لم يكن يسكن المدينة المنورة إلا قليل منهم. وثانيا: إنهم فهموا بالضبط ما فهمته أنا والشيعه لذلك روى العلماء بأن أبا بكر وعمر كانا من المهنيين لعلي بقوله: " بخ بخ لك يا بن أبي طالب أمسيت وأصبحت مولى كل مؤمن " .

قال: فلماذا لم يباعدوا إذا بعد وفاة النبي؟ أتراهم عصوا وخالفوا أمر النبي؟ أستغفر الله من هذا القول.

قلت: إذا كان العلماء من أهل السنة يشهدون في كتبهم بأن بعضهم -

أعني من الصحابة - كانوا يخالفون أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبحضرته (١)، فلا غرابة في ترك أوامره بعد وفاته، وإذا كان أغلبهم يطعن في تأميره أسامة بن زيد لصغر سنه رغم أنها سرية محدودة ولمدة قصيرة فكيف يقبلون تأمير علي بن أبي طالب لصغر سنه ولمدة الحياة، وللخلافة المطلقة؟ ولقد شهدت أنت بنفسك بأن بعضهم كان يبغض عليا ويحقد عليه!!.

أجابني متحرجا: لو كان الإمام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه، ما كان ليسكت عن حقه وهو الشجاج الذي لا يخشى أحدا ويهابه كل الصحابة. قلت: سيدي هذا موضوع آخر لا أريد الخوض فيه لأنك لم تقتنع بالأحاديث النبوية الصحيحة وتحاول تأويلها وصرافها عن معناها حفاظا على كرامة السلف الصالح، فكيف أقنعك بسكوت الإمام علي أو باحتجاجه عليهم بحقه في الخلافة؟

ابتسم الرجل قائلا: أنا والله من الذين يفضلون سيدنا عليا كرم الله وجهه على غيره، ولو كان الأمر بيدي لما قدمت عليه أحدا من الصحابة، لأنه باب مدينة العلم وهو أسد الله الغالب، ولكن مشيئة الله سبحانه هو الذي يقدم من يشاء ويؤخر من يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. ابتسمت بدوري له وقلت: وهذا أيضا موضوع آخر يجزنا للحديث عن القضاء والقدر وقد سبق لنا أن تحدثنا فيه وبقي كل منا على رأيه، وإني لأعجب يا سيدي لماذا كلما تحدثت مع عالم من علماء أهل السنة وأفحمته بالحجة سرعان ما يتهرب من الموضوع إلى موضع آخر لا علاقة له بالبحث الذي نحن بصددده قال: وأنا باق على رأيي لا أغیره. ودعته وانصرفت. بقيت أفكر مليا لماذا لا أجد

(١) صحيح البخاري ومسلم إذ أخرجنا عدة مخالفات لهم كما في صلح الحديبية وكما في زرية يوم الخميس وغير ذلك كثير.

واحدًا من علمائنا يكمل معي هذا المشوار ويوقف الباب على رجله كما يقول المثل الشائع عندنا.

فالبعض يبدأ الحديث، وعندما يجد نفسه عاجزًا عن إقامة الدليل على أقواله يتملص بقوله: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، والبعض يقول ما لنا ولإثارة الفتن والأحقاد فالمهم أن السنة والشيعة يؤمنون بإله واحد ورسول واحد وهذا يكفي والبعض يقول بإيجاز: يا أخي اتق الله في الصحابة، فهل يبقى مع هؤلاء مجال للبحث العلمي وإنارة السبيل والرجوع للحق الذي ليس بعده إلا الضلال؟ وأين هؤلاء من أسلوب القرآن الذي يدعو الناس لإقامة الدليل (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) مع العلم بأنهم لو يتوقفون عن طعنهم وتهجمهم على الشيعة لما ألجأونا للجدال معهم حتى بالتالي هي أحسن.

آية إكمال العين تتعلق أيضا بالخلافة
قوله سبحانه وتعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الإسلام ديناً) (١)، يجمع الشيعة على نزولها بغدير خم بعد
تنصيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي خليفة للمسلمين وذلك
رواية عن أئمة العترة الطاهرة وبذلك تراهم يعدون الإمامة من أصول الدين.
ورغم أن الكثير من علمائنا يروون نزولها في غدير خم بعد تنصيب الإمام
علي أذكر منهم على سبيل المثال:

١ - تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٧٥.

٢ - مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ١٩.

٣ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ ص ٢٩٠.

٤ - الإتيقان للسيوطي ج ١ ص ٣١.

٥ - المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٨٠.

٦ - تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص ٣٠.

(١) سورة المائدة آية ٣.

- ٧ - تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٤ .
- ٨ - روح المعاني للألوسي ج ٦ ص ٥٥ .
- ٩ - البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ج ٥ ص ٢١٣ .
- ١٠ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ج ٣ ص ١٩ .
- ١١ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١١٥ .
- ١٢ - شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٥٧ .
- أقول رغم ذلك لا بد لعلماء أهل السنة من صرف هذه الآية إلى مناسبة أخرى، وذلك للحفاظ على كرامة السلف الصالح من الصحابة، وإلا لو سلموا بنزولها في غدير خم لاعترفوا ضمناً بأن ولاية علي بن أبي طالب هي التي أكمل الله بها الدين وأتم بها على المسلمين نعمته ولتبخرت خلافة الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه، ولتزعزت عدالة الصحابة، ولذابت أحاديث كثيرة مشهورة كما يذوب الملح في الماء، وهذا أمر مستحيل وخطب فادح، لأنه يتعلق بعقيدة أمة كبيرة لها تاريخها وعلمائها وأمجادها، فلا يمكن لنا تكذيب أمثال البخاري ومسلم الذين يروون بأن الآية إنما نزلت عشية عرفة في يوم الجمعة.
- وبمثل ذلك تصبح الروايات الأولى مجرد خرافات شيعية لا أساس لها من الصحة ويصبح الطعن على الشيعة أولى من الطعن على الصحابة فهؤلاء معصومون عن الخطأ (١) ولا يمكن لأي إنسان أن ينتقد أفعالهم وأقوالهم، أما أولئك الشيعة فهم مجوس، كفار، زنادقة وملحدون ومؤسس مذهبهم هو عبد الله بن سبأ (٢) وهو يهودي أسلم في عهد عثمان ليكيد للمسلمين وللإسلام.

(١) لأنهم يعتقدون بأن الصحابة كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

(٢) إقرأ كتاب عبد الله بن سبأ للعلامة العسكري لتعرف بأنه لا وجود له، وهو من مختلقات سيف بن عمر التميمي المشهور بالوضع والكذب - وقرأ كتاب الفتنة الكبرى لطف حسين وإن شئت فقرأ كتاب الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور مصطفى كامل الشيبلي لتعرف بأن عبد الله بن سبأ هذا ليس غير سيدنا عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه.

وهذا أسهل بكثير للتمويه على الأمة التي تربت على تقديس واحترام الصحابة (أي صحابي كان ولو شاهد النبي مرة واحدة) وأنى لنا أن نقنعهم بأن تلك الروايات ليست خرافات شيعية وإنما هي من أحاديث الأئمة الاثني عشر الذين نص رسول الله على إمامتهم، الذين نجحت الحكومات الإسلامية في القرن الأول في غرس حب واحترام الصحابة مقابل التنفير من علي وبنيه، حتى لعنتهم على المنابر وتتبع شيعتهم بالقتل والتشريد، فنشأ من ذلك بغض وكرهية لكل الشيعة، لما روجته وسائل الإعلام في عهد معاوية من إشاعات وخزعבלات وعقائد فاسدة ضد الشيعة، وهم (الحزب المعارض) كما يسمى عندنا اليوم لعزلهم والقضاء عليهم.

ولذلك نجد حتى الكتاب والمؤرخين في تلك العصور يسمونهم الروافض ويكفرونهم ويستباحون دماءهم ترفلاً للحكام، ولما انقرضت الدولة الأموية وخلفتها الدولة العباسية نسج بعض المؤرخين على منوالهم وعرف البعض حقيقة أهل البيت (١) فحاول التوفيق والإنصاف فألحق علياً بالخلفاء الراشدين ولكن لم يجرأوا على التصريح بأحقيته، ولذلك تراهم لا يخرجون في صحاحهم إلا النزر اليسير من فضائل علي والتي لا تتعارض مع خلافة الذين سبقوه، والبعض منهم وضع كثيراً من الأحاديث في فضل أبي بكر وعمر وعثمان على لسان علي نفسه، حتى يقطع بذلك (على زعمه) الطريق على الشيعة الذين يقولون بأفضليته. واكتشفت خلال البحث بأن شهرة الرجال وعظمتهم إنما كانت تقدر ببغضهم لعلي بن أبي طالب، فالأمويون والعباسيون كانوا يقربون ويعظمون كل من حارب الإمام علي أو وقف ضده بالسيف أو باللسان، فتراهم يرفعون بعض الصحابة ويضعون آخرين، ويغدقون الأموال على بعض الشعراء ويقتلون آخرين، ولعل عائشة أم المؤمنين لم تكن لتحظى بتلك المنزلة عندهم لولا

(١) ذلك لأن الأئمة من أهل البيت فوضوا أنفسهم بأخلاقهم وعلومهم التي ملأت الخافقين وبزهدهم وتقواهم والكرامات التي حباهم الله بها.

بغضها (١) وحر بها لعلي.

ومن ذلك أيضا تجد العباسيين يعلون من شأن البخاري ومسلم والامام مالك لأنهم لم يخرجوا من فضائله إلا القليل بل نجد صراحة في هذا الكتب بأن علي بن أبي طالب لا فضل له ولا مزية فقد روي البخاري في صحيحه في باب مناقب عثمان عن ابن عمر قال: كنا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نفاضل بينهم (٢) فعلي عنده كسائل الناس (إقرأ واعجب)!! كما أن في الأمة فرقا أخرى كالمعتزلة والخوارج وغيرهم ممن لا يقول بمقالة الشيعة، ولأن إمامة علي وأولاده من بعده تقطع عليهم الطريق للوصول للخلافة والتحكم في رقاب الناس والتلاعب بمصيرهم وممتلكاتهم كما فعل ذلك بنو أمية وبنو العباس في عهد الصحابة وفي عهد التابعين وإلى يوم الناس هذا. لان حكام العصر الذين وصلوا إلى الحكم سواء بالوراثة كالملوك والسلاطين، أو حتى الرؤساء الذين انتخبتهم شعوبهم لا يعجبهم هذا الاعتقاد، أعني أن يعتقد المؤمنون بخلافة أهل البيت، ويضحكون من هذه الفكرة التيوقراطية، التي لا يقول بها إلا الشيعة، وخصوصا إذا كان هؤلاء الشيعة قد بلغوا من سخافة العقل وسفاهة الرأي أنهم يعتقدون بإمامه المهدي المنتظر الذي سيملاً أرضهم قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

ونعود الان لمناقشة أقوال الطرفين في هدوء وبدون تعصب، لنعرف ما هي

(١) كانت لا تطبق ذكر اسمه البخاري ج ١ ص ١٦٢ ج ٧ ص ١٨ ج ٥ ص ١٤٠ ويقول المؤرخون لما بلغها خبر مقتله سجدت شكر الله وقالت في ذلك شعرا.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩١ وص ٢٠١ كما روي البخاري في صحيحه ج ٤ ص ١٩٥ رواية تنسب إلى محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أبو بكر قلت ثم من قال: ثم عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

المناسبة وما هو سبب نزول آية " إكمال الدين " حتى يتضح لنا الحق فنتبعه وما علينا بعد ذلك من رضا هؤلاء، أو غضب أولئك ما دمنا نتوخى قبل كل شيء رضا الله سبحانه والنجاة من عذابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون " (١).

(١) سورة المائدة آية ١٠٦.

مناقشة القول بأن الآية نزلت يوم عرفة
أخرج البخاري في صحيحه (١) قال: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان
عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن أناسا من اليهود قالوا: لو نزلت هذه
الآية فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر أية آية؟ فقالوا: (اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).
فقال عمر: إني لأعلم أي مكان أنزلت، أنزلت ورسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم واقف بعرفة.

وأخرج ابن جرير عن عيسى بن حارثة الأنصاري قال: كنا جلوساً في
الديوان فقال لنا نصراني: يا أهل الإسلام، لقد أنزلت عليكم آية لو أنزلت
علينا لاتخذنا ذلك اليوم وتلك الساعة عيداً ما بقي منا اثنان وهي "اليوم أكملت
لكم دينكم" فلم يجبه أحد منا، فلقيت محمد بن كعب القرظي فسألته عن
ذلك، فقال: ألا رددتم عليه؟ فقال عمر بن الخطاب أنزلت على النبي وهو
واقف على الجبل يوم عرفة، فلا يزال ذلك اليوم عيداً للمسلمين ما بقي منهم

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٢٧.

أحد (١).

أولا - نلاحظ من خلال هذه الروايات أن المسلمين كانوا يجهلون تاريخ ذلك اليوم المشهود، ولا يحتفلون به مما دعا اليهود مرة والنصارى أخرى أن يقولوا لهم: لو أن هذه الآية فينا أنزلت لاتخذنا يومها عيداً مما حدا بعمر بن الخطاب أن يسأل أية آية؟ ولما قالوا: " اليوم أكملت لكم دينكم " قال: إني لأعلم أي مكان أنزلت، أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف بعرفة. فإننا نشم رائحة الدس والتعظيم من خلال هذه الرواية وأن الذين وضعوا هذا الحديث على لسان عمر بن الخطاب في زمن البخاري أرادوا أن يوفقوا بين آراء اليهود والنصارى في أن ذلك اليوم هو يوم عظيم يجب أن يكون عيداً، وبين ما هم عليه من عدم الاحتفال بذلك اليوم وعدم ذكره بالمرّة حتى تناسوه، والمفروض أن يكون من أكبر الأعياد لدى المسلمين إذ أن الله سبحانه أكمل لهم فيه دينهم وأتم فيه نعمته عليهم ورضي لهم الإسلام ديناً. ولذلك ترى في الرواية الثانية قول الراوي عندما قال له النصراني: يا أهل الإسلام، لقد أنزلت عليكم آية لو أنزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ما بقي منا اثنان.

قال الراوي فلم يجبه أحد منا، وذلك لجهلهم بتاريخ وموقف ذلك اليوم وعظمتها، ويبدو أن الراوي نفسه استغرب كيف يغفل المسلمون عن الاحتفال بمثل ذلك اليوم ولهذا نراه يلقي محمد بن كعب القرظي فيسأله عن ذلك فيرد هذا الأخير بأن عمر بن الخطاب روي أنها أنزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو واقف على الجبل يوم عرفة.

فلو كان ذلك اليوم معروفاً لدى المسلمين على أنه يوم عيد لما جهله هؤلاء الرواة سواء أكانوا من الصحابة أم من التابعين، لأن الثابت المعروف لديهم أن

(١) جلال الدين السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٣ ص ١٨.

للمسلمين عيدين اثنين وهما عيد الفطر وعيد الأضحى، حتى أن العلماء والمحدثين كالبخاري ومسلم وغيرهما يخرجون في كتبهم كتاب العيدين - صلاة العيدين - خطبة العيدين إلى غير ذلك من المتسالم عليه لدى خاصتهم وعامتهم، ولا وجود لعيد ثالث.

وأغلب الظن أن القائلين بمبدأ الشورى في الخلافة ومؤسسي هذه النظرية هم الذين صرفوا نزولها عن حقيقتها يوم غدیر خم بعد تأمير الإمام علي، فكان تحويل نزولها في يوم عرفة أهون وأسهل على القائلين به لأن يوم الغدير جمع مائة ألف حاج أو يزيدون، وليس هناك مناسبة في حجة الوداع أقرب إلى الغدير من يوم عرفة في المقارنة إذ أن الحجيج لم يجتمعوا على صعيد واحد إلا فيهما، فالمعروف أن الناس يكونون متفرقين جماعات وأشتاتا في كل أيام الحج ولا يجتمعون في موقف واحد إلا في عرفة.

ولذلك نرى أن القائلين بنزولها يوم عرفة يقولون بنزولها مباشرة بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشهيرة والتي أخرجها المحدثون. وإذا كان النص بالخلافة على علي بن أبي طالب قد صرفوه عن حقيقته وباغتوا الناس (بمن فيهم عليا نفسه والذين كانوا منشغلين معه بتجهيز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه) بالبيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة على حين غفلة، وضربوا بنصوص الغدير عرض الجدار وجعلوه نسيا منسيا، فهل يمكن لأي أحد بعد الذي وقع أن يحتج بنزول الآية يوم الغدير؟ فليست الآية أوضح في مفهومها من حديث "الولاية" وإنما تحمل في معناها إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب ليس إلا، وإن كانت تنطوي على إشعار بحصول حدات لهم في ذلك اليوم هو الذي سبب كمال الدين.

ومما يزيدنا يقينا بصحة هذا الاعتقاد، ما رواه ابن جرير عن قبيصة بن أبي ذؤيب قال: قال كعب "لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيدا يجتمعون فيه!" فقال عمر: وأي آية يا

كعب؟ فقال: (اليوم أكملت لكم دينكم) فقال عمر: لقد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي نزلت فيه، نزلت في يوم الجمعة، ويوم عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيد (١).

ثانيا - على أن القول بنزول الآية (اليوم أكملت لكم دينكم) في يوم عرفة يتنافى مع آية البلاغ (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك) والتي تأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإبلاغ أمر مهم لا تتم الرسالة إلا به، والتي سبق البحث وتبين نزولها بين مكة والمدينة بعد حجة الوداع وهو ما رواه أكثر من مائة وعشرين صحابيا وأكثر من ثلاثمائة وستين من علماء أهل السنة والجماعة، فكيف يكمل الله الدين ويتم النعمة في يوم عرفة ثم بعد أسبوع يأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو راجع إلى المدينة بإبلاغ شئ مهم لا تتم الرسالة إلا به؟؟ كيف يصح ذلك يا أولي الألباب؟؟؟

ثالثا - إن الباحث المدقق إذا أمعن النظر في خطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم عرفة لا يجد فيها أمرا جديدا يجهله المسلمون والذي يمكن اعتباره شيئا مهما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة، إذ ليس فيها إلا جملة من الوصايا التي ذكرها القرآن أو ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة مناسبات وأكد عليها يوم عرفة. وإليك ما جاء في الخطبة على ما سجله كل الرواة:

- إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا ويومكم هذا.
- اتقوا الله ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها.

- الناس في الإسلام سواء لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.
- كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي، وكل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي.

(١) الدر المنثور للسيوطي في تفسيره لآية (اليوم أكملت لكم دينكم) سورة المائدة.

- أيها الناس إنما النسئ زيادة في الكفر.. ألا وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض.
 - إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله منها أربعة حرم.
 - أوصيكم بالنساء خيرا، إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله.
 - أوصيكم بمن ملكت أيمانكم فاطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون.
 - إن المسلم أخو المسلم، لا يغشه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحل له دمه ولا شئ من ماله.
 - إن الشيطان قد يئس أن يعبد بعد اليوم ولكن يطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون.
 - أعدى الأعداء على الله قاتل غير قاتله، وضارب غير ضاربه ومن كفر نعمة مواليه فقد كفر بما أنزل الله على محمد، ومن انتمى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.
 - إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وإني رسول الله، وإذا قالوها عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق وحسابهم على الله.
 - لا ترجعوا بعدي كفارا، مضلين يضرب بعضكم رقاب بعض.
- هذا كل ما قيل في خطبة عرفة من حجة الوداع وقد جمعت فصولها من جميع المصادر الموثوقة حتى لا يبقى شئ من وصاياہ صلى الله عليه وآله وسلم التي ذكرها المحدثون إلا أخرجتها فهل فيها شئ جديد بالنسبة للصحابة؟ كلا فكل ما جاء فيها مذكور في القرآن ومبين حكمه في السنة النبوية، فقد قضى صلى الله عليه وآله وسلم حياته كلها يبين للناس ما نزل إليهم ويعلمهم كل صغيرة وكبيرة، فلا وجه لنزول آية " إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الله " بعد هذه الوصايا التي يعرفها المسلمون، وإنما أعادها عليهم للتأكيد لأنهم لأول مرة يجتمعون عليه

بذلك العدد الهائل ولأنه أخبرهم قبل الخروج إلى الحج بأنها حجة الوداع فكان واجبا عليه أن يسمعهم تلك الوصايا.

أما إذا أخذنا بالقول الثاني: وهو نزول الآية يوم غدیر خم بعد تنصيب الإمام علي خليفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأميرا للمؤمنين، فإن المعنى يستقيم ويكون مطابقا، لأن الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهم الأمور ولا يمكن أن يترك الله عباده سدى ولا ينبغي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب دون استخلاف ويترك أمته هملا بدون راع وهو الذي ما كان يغادر المدينة إلا ويستخلف عليها أحدا من أصحابه، فكيف نصدق بأنه التحق بالرفيق الأعلى وما فكر في الخلافة؟؟؟

وإذا كان الملحدون في عصرنا يؤمنون بهذه القاعدة ويسرعون إلى تعيين خلف للرئيس حتى قبل موته ليسوس أمور الناس ولا يتركونهم يوما واحدا بدون رئيس!

فلا يمكن أن يكون الدين الإسلامي وهو أكمل الأديان وأتمها والذي ختم الله به كل الشرائع أن يهمل أمرا مهما كهذا.

وقد عرفنا في ما تقدم بأن عائشة وابن عمر وقبلهما أبو بكر وعمر أدركوا كلهم بأنه لا بد من تعيين الخليفة وإلا لكانت فتنة، كما أدرك ذلك من جاء بعدهم من الخلفاء فكلهم عينوا من بعدهم فكيف تغيب هذه الحكمة على الله وعلى رسوله؟؟؟

فالقول بأن الله سبحانه أوحى إلى رسوله في الآية الأولى " آية البلاغ " وهو راجع من حجة الوداع بأن ينصب عليا خليفة له بقوله: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) أي: يا محمد إن لم تبلغ ما أمرتك به بأن عليا هو ولي المؤمنين بعدك فكأنك لم تكمل مهمتك التي بعثت بها، إذ إن إكمال الدين بالإمامة أمر ضروري لكل العقلاء.

ويبدو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخشى معارضتهم له أو تكذيبهم، فقد جاء في بعض الروايات: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود: أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي لعلمي بقلة المتقين وكثرة المؤذنين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي وشدة إقبالي عليه حتى سموني أذنا، فقال تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم) ولو شئت أن أسميهم وأدل عليهم لفعلت ولكني بسترهم قد تكلمت، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه فاعلموا معاشر الناس أن الله قد نصبه لكم وليا وإماما وفرض طاعته على كل أحد.. الخطبة (١).

فلما أنزل الله عليه (والله يعصمك من الناس) أسرع في نفس الوقت وبدون تأخيرا بامثال أمر ربه فنصب عليا خليفة من بعده وأمر أصحابه بتهنئته بإمارة المؤمنين ففعلوا وبعدها أنزل الله عليهم (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا).

أضف إلى كل ذلك أننا نجد بعض علماء أهل السنة والجماعة يعترفون صراحة بنزول آية البلاغ في إمامة علي فقد رووا عن ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - إن عليا مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (٢).

وبعد هذا البحث إذا أضفنا روايات الشيعة عن الأئمة الطاهرين يتجلى لنا

(١) أخرجها بكاملها الحافظ ابن جرير الطبري في كتاب الولاية كما أخرج جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨ خطبة في نفس المعنى بألفاظ متقاربة.

(٢) تفسير فتح القدير للشوكانى ج ٣ ص ٥٧.

جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨ عن ابن عباس.

بأن الله أكمل دينه بالإمامة ولذلك كانت الإمامة عند الشيعة أصلا من أصول الدين.

وبإمامة علي بن أبي طالب أتم الله نعمته على المسلمين لئلا يبقوا هملا تتجاذبهم الأهواء وتمزقهم الفتن فيتفرقوا كالغنم بدون راع -
ورضي لهم الإسلام ديناً، لأنه اختار لهم أئمة أذهب عنهم الرجس وطهرهم وأتاهم الحكمة وأورثهم علم الكتاب ليكونوا أوصياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيجب على المسلمين أن يرضوا بحكم الله واختياره، ويسلموا تسليماً، لأن مفهوم الإسلام العام هو التسليم لله قال تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) (١).

ومن خلال كل ذلك يفهم بأن يوم الغدير اتخذته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم عيد إذ بعد تنصيب الإمام علي وبعد أن نزل عليه قوله: (اليوم أكملت لكم دينكم..) الآية: قال: الحمد لله على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي (٢) ثم عقد له موكبا للتهنئة وجلس صلى الله عليه وآله وسلم في خيمة وأجلس عليا بجانبه وأمر المسلمين بما فيهم زوجاته أمهات المؤمنين أن يدخلوا عليه أفواجا ويهنئوه بالمقام ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ما أمروا به وكان من جملة المهنيين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بهذه المناسبة أبو بكر وعمر.
فقد جاء إليه يقولان له: بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست

(١) سورة القصص آية ٦٨ - ٦٩ - ٧٠.

(٢) الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري في تفسيره للآية.
والحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتابه " ما نزل من القرآن في علي " .

مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة (١).
ولما عرف حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرح
النبي واستبشاره في ذلك اليوم قال: أتأذن لي يا رسول الله أن أقول في هذا المقام
أبياتا تسمعهن، فقال: قل على بركة الله، لا تزال يا حسان، مؤيدا بروح
القدس ما نصرتنا بلسانك.
فأنشد يقول:

يناديهم يوم الغدير نبيهم* بخم فاسمع بالرسول مناديا
إلى آخر الأبيات التي ذكرها المؤرخون (٢).
ولكن ورغم كل ذلك فإن قريشا اختارت لنفسها وأبت أن تكون في بني
هاشم النبوة والخلافة فيجحفون على قومهم بجحا بجحا، كما صرح بذلك
عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس في محاوراة دارت بينهما (٣).
فلم يكن في وسع أحد أن يحتفل بذلك العيد بعد ذكره الأولى التي احتفل
بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
وإذا كانوا قد تناسوا نص الخلافة وتلاشى من أذهانهم ولم يمض عليه من

(١) روى هذه القصة كل من الإمام أبي حامد الغزالي في كتابه سر العالمين ص ٦ كما رواها
الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٢٨١.
والطبري في تفسيره ج ٣ ص ٤٢٨ والبيهقي، والثعلبي، والدارقطني والفخر الرازي
وابن كثير وغيرهم.
(٢) الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتابه ما نزل من القرآن في علي.
- الخوارزمي المالكي في كتاب المناقب ص ٨٠ - الكنجي الشافعي في كفاية الطالب.
- جلال الدين السيوطي في كتابه - الازدهار فيما عقده الشعراء من الأشعار.
(٣) الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٣١.
تاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ٣١ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٨.

الوقت غير شهرين ومع ذلك لم يتكلم به أحد، فكيف بذكرى الغدير التي مضى عليها عام كامل، على أن هذا العيد مربوط بذلك النص على الخلافة فإذا انعدم النص وزال السبب لم يبق لذلك العيد أثر يذكر.

ومضت على ذلك السنون حتى رجع الحق إلى أهله بعد ربع قرن، فأحيها الإمام علي من جديد بعدما كادت تقبر وذلك في الرحبة عندما ناشد أصحاب محمد ممن حضر عيد الغدير أن يقوموا فيشهدوا أمام الناس ببيعة الخلافة فقام ثلاثون صحابيا منهم ستة عشر بدريا وشهدوا (١) والذي كتم الشهادة وادعى النسيان، كأنس بن مالك الذي أصابته دعوة علي بن أبي طالب فلم يقم من مقامه ذلك إلا أبرص فكان يبكي ويقول أصابتني دعوة العبد الصالح لأني كتمت شهادته (٢) وبذلك أقام أبو الحسن الحجة على هذه الأمة ومنذ ذلك العهد وحتى يوم الناس هذا وإلى قيام الساعة يحتفل الشيعة بذكرى يوم الغدير وهو عندهم العيد الأكبر، كيف لا وهو اليوم الذي أكمل الله لنا فيه الدين وأتم فيه علينا النعمة ورضي بالإسلام لنا ديننا، وهو يوم عظيم الشأن عند الله ورسوله والمؤمنين، ذكر بعض علماء أهل السنة عن أبي هريرة أنه قال: لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.. إلى آخر الخطبة، فأنزل الله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) قال أبو هريرة وهو يوم غدير خم من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهرا (٣).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٧٠ وكذلك ج ١ ص ١١٩. النسائي في الخصائص ص ١٩ - كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧ - ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١١.
- ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ٢٨ وابن حجر العسقلاني في الإصابة ج ٢ ص ٤٠٨ - السيوطي في جمع الجوامع.

(٢) مجمع الزوائد للهيثم ج ٩ ص ١٠٦ - ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢١١.
ابن الأثير في أسد الغابة ج ٣ ص ٣٢١ - حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٦.
أحمد بن حنبل ج ١ ص ١١٩.

(٣) ابن كثير في كتاب البداية والنهاية ج ٥ ص ٢١٤.

أما روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في فضائل ذلك اليوم فحدث ولا حرج، والحمد لله على هدايته أن جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والمحتفلين بعيد الغدير.

وخلاصة البحث أن حديث الغدير " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار " هو حديث أو بالأحرى هي حادثة تاريخية عظيمة أجمعت الأمة الإسلامية على نقلها، فقد مر علينا ذكر ثلاثمائة وستين من علماء أهل السنة والجماعة وأكثر من ذلك من علماء الشيعة.

ومن أراد البحث والمزيد فعليه بكتاب الغدير للعلامة الأميني. وبعد الذي عرضناه لا يستغرب أن تنقسم الأمة الإسلامية إلى سنة وشيعة، تمسكت الأولى بمبدأ الشورى في سقيفة بني ساعدة، وتأولت النصوص الصريحة وخالفت بذلك ما أجمع عليه الرواة من حديث الغدير، وغيره من النصوص.

وتمسك الثانية بتلك النصوص فلم ترض عنها بدلا وبايعت الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ولم تبغ عنهم حولا والحق أنني عندما أبحث في مذهب أهل السنة والجماعة خصوصا في أمر الخلافة، أجد المسائل مبنية على الظن والاجتهاد، لأن قاعدة الانتخاب ليس فيها دليل قطعي على أن الشخص الذي نختاره اليوم هو أفضل من غيره لأننا لا نعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولأننا في الحقيقة مركبون من عواطف وعصبية وأنانية كامنة في نفوسنا وستلعب هذه المركبات دورها إذا ما أوكل إلينا اختيار شخص من بين أشخاص. وليست هذه الأطروحة خيالا أو أمرا مبالغا فيه، فالمتتبع لهذه الفكرة، فكرة اختيار الخليفة سيجد أن هذا المبدأ الذي يطبل له لم ينجح ولا يمكن له أن ينجح أبدا.

فهذا أبو بكر زعيم الشورى بالرغم من وصوله إلى الخلافة (بالاختيار

والشورى)، نراه عندما شارف على الوفاة أسرع إلى تعيين عمر بن الخطاب خليفة له! دون استعمال طريقة الشورى. وهذا عمر بن الخطاب الذي ساهم في تأسيس خلافة أبي بكر نراه - بعد وفاة أبي بكر يعلن على الملأ بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها (١).

ثم بعد ذلك نرى أن عمرا عندما طعن وأيقن بدنو أجله عين ستة أشخاص ليختاروا بدورهم واحدا منهم ليكون خليفة، وهو يعلم علم اليقين أن هؤلاء نفر على قلتهم سيختلفون رغم الصحبة والسبق للإسلام والورع والتقوى فستثور فيهم العواطف البشرية التي لا ينجو منها إلا المعصوم، ولذلك نراه - لحسم الخلاف - رجع كفة عبد الرحمن بن عوف فقال: إذا اختلفتم فكونوا في الشق الذي فيه عبد الرحمن بن عوف ونرى بعد ذلك بأنهم اختاروا الإمام عليا ليكون خليفة ولكنهم اشترطوا عليه أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين أبي بكر وعمر وقبل علي كتاب الله وسنة رسوله ورفض سنة الشيخين (٢) وقبل عثمان هذه الشروط فبايعوه بالخلافة. وقال علي في ذلك:

" فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكنني أسففت إذا أسفوا وطرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن... " (٣).

وإذا كان هؤلاء وهم نخبة المسلمين وهم خاصة الخاصة تلعب بهم العواطف فيكون فيهم الحقد وتكون فيهم العصبية بين هن وهن (يقول محمد عبده في شرحه لهذه الفقرة: يشير الإمام علي إلى أغراض أخرى يكره ذكرها) فعلى الدنيا بعد ذلك السلام.

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦ باب رجم الحبلى من الزنا.
(٢) تاريخ الطبري وابن الأثير بعد موت عمر بن الخطاب واستخلاف عثمان.
(٣) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج ١ ص ٨٨.

على أن عبد الرحمن بن عوف ندم فيما بعد على اختياره، وغضب على عثمان واتهمه بخيانة العهد لما حدث في عهده ما حدث وجاءه كبار الصحابة يقولون له: يا عبد الرحمن هذا عمل يديك. فقال لهم: ما كنت أظن هذا به ولكن لله علي أن لا أكلمه أبدا. ثم مات عبد الرحمن بن عوف وهو مهاجر لعثمان، حتى رووا أن عثمان دخل عليه في مرضه يعود فتحول بوجهه إلى الحائط ولم يكلمه (١). ثم كان بعد ذلك ما كان وقامت الثورة على عثمان وانتهت بقتله، ورجعت الأمة بعد ذلك لاختيار من جديد وفي هذه المرة اختاروا عليا، ولكن يا حسرة علي العباد: فقد اضطربت الدولة الإسلامية وأصبحت مسرحا للمنافقين ولأعدائه المناوئين والمستكبرين والطامعين لارتقاء منصة الخلافة بأي ثمن وعلى أي طريق ولو بإزهاق النفوس البريئة، وقد تغيرت أحكام الله ورسوله على مر تلك السنين الخمس والعشرين ووجد الإمام علي نفسه وسط بحر لجي وأمواج متلاطمة وظلمات حالكة وأهواء جامعة وقضى خلافته في حروب دامية فرضت عليه فرضا من الناكثين والقاسطين والمارقين ولم يخرج منها إلا باستشهاده سلام الله عليه وهو يتحسر على أمة محمد وقد طمع فيها الطليق بن الطليق معاوية بن أبي سفيان وأضرابه كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة و مروان بن الحكم وغيرهم كثيرون، وما جرا هؤلاء على ما فعلوه إلا فكرة الشورى والاختيار. وغرقت أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بحر من الدماء، وتحكم في مصيرها سفهاؤها وأرذلها وتحولت الشورى بعد ذلك إلى الملك العضوض، إلى القيصرية والكسروية.

وانتهت تلك الفترة التي أطلقوا عليها اسم الخلافة الراشدة وبها سموا الخلفاء الأربعة بالراشدين والحق أنه حتى هؤلاء الأربعة لم يكونوا خلفاء بالانتخاب والشورى سوى أبي بكر وعلي، وإذا استثنينا أبا بكر لأن بيعته كانت

(١) تاريخ الطبري وابن الأثير في حوادث سنة ٣٦ للهجرة محمد عبده في شرح النهج ج ١ ص ٨٨.

فلتة علي حين غفلة ولم يحضرها " الحزب المعارض " كما يقال اليوم وهم علي وسائر بني هاشم ومن يرى رأيهم، لم يبق معنا من عقدت له بيعة بالشورى والاختيار إلا علي بن أبي طالب الذي بايعه المسلمون رغم أنفه وتخلف عنه بعض الصحابة فلم يفرض عليهم ولا هددهم.

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله بالنص من الله وكذلك بالانتخاب من المسلمين وقد أجمعت الأمة الإسلامية قاطبة سنة وشيعة علي خلافة علي واختلفوا علي خلافة غيره كما لا يخفى. أقول يا حسرة علي العباد لو أنهم قبلوا ما اختاره الله لهم لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ولأنزل الله عليهم بركات من السماء ولكان المسلمون اليوم أسياد العالم وقادته كما أراد الله لهم لو اتبعوه (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

ولكن إبليس اللعين عدونا المبين: قال مخاطباً رب العزة: (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لا آتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) (١).

فلينظر العاقل اليوم إلى حالة المسلمين في العالم، وهم أذلاء لا يقدر على شيء يرضون وراء الدول معترفين بإسرائيل وهي ترفض الاعتراف بهم ولا تسمح لهم حتى بالدخول إلى القدس التي أصبحت عاصمة لها، وإذا ما رأيت بلاد المسلمين اليوم ترى أنهم تحت رحمة أمريكا وروسيا وقد أكل الفقير شعوبهم وقتلهم الجوع والمرض، في حين تأكل كلاب أوروبا شتى أنواع اللحوم والأسماك، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد تنبأت سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها عندما خاصمت أبا بكر وخطبت خطبتها في نساء المهاجرين والأنصار وقالت في آخرها مخبرة عن مآل الأمة:

(١) سورة الأعراف آية ١٦ - ١٧.

" أما لعمرى لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملاً القعب دما عبيطا وزعافا مبيدا، هناك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أمسه الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا واطمئنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لكم، وأنى بكم، وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون " (١).

صدقت سيدة النساء فيما تنبأت به وهي سليلة النبوة ومعدن الرسالة، وقد تجسدت أقوالها في حياة الأمة ومن يدري لعل الذي ينتظرها أبشع مما انفضى، ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم.

العنصر المهم في البحث

* بقي عنصر واحد مهم في كل هذا البحث يستحق العناية والدرس، وربما هو الاعتراض الوحيد الذي كثيرا ما يثار عندما يفحم المعاندون بالحجج الدامغة فتراهم يلجأون إلى الاستغراب واستبعاد أن يكون قد حضر تنصيب الإمام علي مائة ألف صحابي ثم يتواطئون كلهم على مخالفته والإعراض عنه وفيهم خيرة الصحابة وأفضل الأمة! وهذا ما وقع لي بالذات عند اقتحام البحث، فلم أصدق ولا يمكن لأحد أن يصدق إذا ما طرحت القضية بهذا الطرح، ولكن عندما ندرس القضية من جميع الجوانب يزول الاستغراب لأن المسألة ليست كما نتصورها أو كما يعرضها أهل السنة فحاشى أن يكون مائة ألف صحابي خالفوا أمر الرسول، فكيف وقعت الواقعة إذن؟

(١) الطبري في دلائل الإمامة.

- بلاغات النساء لابن طيفور.

- أعلام النساء تأليف عمر رضا كحالة ج ٤ ص ١٢٣.

- ابن أبي الحديد في شرح النهج.

أولا - لم يكن يسكن المدينة المنورة كل من حضر بيعة الغدير ونما كان كما هو المفروض وعلى أكبر تقدير ثلاثة أو أربعة آلاف منهم يسكنون المدينة، وإذا عرفنا أن هؤلاء فيهم الكثير من الموالي والعبيد والمستضعفين الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مناطق عديدة وليس لهم في المدينة قبيلة ولا عشيرة أمثال أهل الصفة، فلا يبقى معنا إلا نصفهم يعني ألفين فقط وحتى هؤلاء فهم خاضعون لرؤساء القبيلة ونظام العشيرة التي ينتمون إليها، وقد أقرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك فكان إذا قدم عليه وفد ولي عليهم زعيمهم وسيدهم، ولذلك وجدنا اصطلاحا على تسميتهم في الإسلام بأهل الحل والعقد.

وإذا ما نظرنا إلى مؤتمر السقيفة الذي انعقد عند وفاة الرسول مباشرة وجدنا أن الحاضرين الذين اتخذوا قرار اختيار أبي بكر خليفة لا يزيد على مائة شخص على أكثر تقدير لأنه لم يحضر من الأنصار وهم أهل المدينة إلا أسيادهم وزعمائهم، كما لم يحضر من المهاجرين وهم أهل مكة الذين هاجروا مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثلاثة أو أربعة أشخاص يمثلون قريش ويكفي دليلا أن نتصور ما هو حجم السقيفة فكلنا يعرف ما هي السقيفة التي ما كانت تخلو منها أي دار فليست هي قاعة الحفلات ولا قصر المؤتمرات، فإذا ما قلنا بحضور مائة شخص في سقيفة بني ساعدة فذلك مبالغة منا حتى يفهم الباحث بأن المائة ألف لم يكونوا حاضرين ولا سمعوا حتى ما دار في السقيفة إلا بعد زمن بعيد فلم تكن هناك مواصلات جووية ولا هواتف لا سلكية ولا أقمار صناعية.

وبعد اتفاق هؤلاء الزعماء على تعيين أبي بكر ورغم معارضة سيد الأنصار سعد بن عبادة زعيم الخزرج وابنه قيس، إلا أن الأغلبية الساحقة (كما يقال اليوم) أبرمت العقد وتصافقت عليه في حين كان أغلب المسلمين غائبين عن السقيفة وكان بعضهم مشغولا بتجهيز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو مذهولا بخبر موته وقد أربعهم عمر بن الخطاب وخوفهم إن قالوا بموته (١).

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩٥.

أضف إلى ذلك أن أغلب الصحابة عبأهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جيش أسامة وأكثرهم كانوا معسكرين بالجرف ولم يحضروا وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا حضروا مؤتمر السقيفة.

فهل يعقل بعد هذا الذي وقع أن يعارض أفراد القبيلة أو العشيرة زعيمهم فيما أبرمه خصوصا وأن في ما أبرمه الفضل العميم والشرف الكبير الذي تسعى إليه كل قبيلة منهم، ومن يدري لعله يلحقهم في يوم من الأيام شرف الرئاسة على كل المسلمين، ما دام صاحبها الشرعي قد أبعده وأصبح الأمر شورى يتداولونه بينهم بالتناوب، فكيف لا يفرحون بذلك وكيف لا يؤيدونه؟

ثانيا - إذا كان أهل الحل والعقد من سكان المدينة قد أبرموا أمرا فليس للقاصين البعيدين من أطراف الجزيرة أن يعارضوا، وهم لا يدرون ما يدور في غيابهم فوسائل النقل في ذلك العهد كانت بدائية، ثم أنهم يتصورون بأن سكان المدينة يعيشون مع رسول الله فهم أعلم بما يستجد من أحكام قد ينزل بها الوحي في أي ساعة وفي أي يوم. ثم بعد ذلك ما يهم رئيس القبيلة البعيد عن العاصمة من أمر الخلافة شيئا فبالنسبة إليه سواء أكان أبو بكر خليفة أو علي أو أي شخص آخر، فأهل مكة أدري بشعابها والمهم عنده هو بقاؤها على رئاسة عشيرته ولا ينازعه فيها أحد.

ومن يدري لعل البعض منهم تساءل عن الأمر وأراد أن يستطلع الخبر غير أن أجهزة الحكم أسكته سواء بالترغيب أو بالترهيب، ولعل في قصة مالك بن نويرة الذي امتنع عن دفع الزكاة إلى أبي بكر ما يؤكد حصول ذلك. والمتتبع لتلك الأحداث التي وقعت في حرب مانعي الزكاة أيام أبي بكر يجد كثيرا من التناقضات ولا يقتنع بما أورده بعض المؤرخين للحفاظ على كرامة الصحابة وخصوصا الحاكمين منهم.

ثالثا - عنصر المفاجأة في القضية لعب دورا كبيرا في قبول ما يسمى اليوم " بالأمر الواقع " فلقد عقد مؤتمر السقيفة على حين غفلة من الصحابة الذين

شغلوا بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن هؤلاء الإمام علي والعباس وسائر بني هاشم والمقداد وسلمان وأبي ذر وعمار والزبير وغير هؤلاء كثير ولما خرج أصحاب السقيفة يزفون أبا بكر إلى المسجد داعين إلى البيعة العامة والناس يقبلون. على البيعة أفواجا وزرافات طوعا وكرها، لم يكن علي واتباعه قد غرفوا بعد من واجبههم المقدس الذي فرضته عليهم أخلاقهم السامية فلا يمكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدون تغسيل وتكفين وتجهيز ودفن ويتسارعوا إلى السقيفة ليتنازعوا حول الخلافة.

وما إن فرغوا من واجبههم حتى استتب الأمر لأبي بكر وبات من يتخلف عن بيعته معدودا من أصحاب الفتنة الذي يشق عصا المسلمين فيجب على المسلمين مقاومته أو حتى قتله إن لزم الأمر. ولذلك نرى عمر قد هدد سعد بن عبادة بالقتل لما امتنع عن بيعة أبي بكر وقال اقلوه إنه صاحب فتنة (١) وهدد بعد ذلك المتخلفين في بيت علي بحرق الدار ومن فيها، وإذا عرفنا رأي عمر بن الخطاب في خصوص البيعة فهمنا بعد ذلك كثيرا من الألغاز التي بقيت محيرة. فعمر يرى بأنه يكفي لصحة البيعة أن يسبق إليها أحد المسلمين فيجب على الآخرين متابعتها ومن عصى منهم فهو خارج من ربة الإسلام ويجب قتله. فلنستمع إليه يتحدث عن نفسه في خصوص البيعة كما أخرجه البخاري في صحيحه (٢)، قال: يحكي عما وقع في السقيفة: "فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حيث فرقت من الاختلاف فقلت: إبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون (٣) والأنصار ونزولا على

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦.

تاريخ الطبري - تاريخ الخلفاء لابن قتيبة.

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٨ باب رجم الجبلي من الزنا إذا أحصنت.

(٣) ذكر كل المؤرخون بأنه لم يحضر في السقيفة إلا أربعة من المهاجرين فقله: فبايعته وبايعه

المهاجرون يعارضه قوله وخالف عنا علي والزبير ومن معهما قاله في نفس الخطبة أنظر

صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦.

سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا".

فالمسألة عند عمر ليست انتخابا واختيارا وشورى وإنما يكفي أن يبادر أحد المسلمين بالبيعة لتكون حجة على الباقيين ولذلك قال لأبي بكر: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعه بدون مشورة ولا تريث خوفا من أن يسبق إليها أحد آخر، وقد عبر عمر عن هذا الرأي بقوله: خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا (خشى عمر أن يسبقه الأنصار فبايعوا رجلا منهم) ويزيدنا وضوحا أكثر عندما يقول: فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد (١).

وحتى نكون منصفين في الحكم ومدققين في البحث يجب علينا أن نعترف بأن عمر بن الخطاب غير رأيه في البيعة في آخر أيام حياته وذلك عندما جاءه رجل بمحضر عبد الرحمن بن عوف في آخر حجة حجها فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت. فغضب عمر، ولهذا قام في الناس خطيبا فور رجوعه إلى المدينة فقال من جملة ما قال في خطبته:

" إنه بلغني أن قائلًا منكم يقول والله لو مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن أمرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ألا وإنها كانت كذلك ولكن الله وقى شرها.. (٢) ثم يقول: من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا.. " (٣).

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦.

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦.

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦.

ليت عمر بن الخطاب كان على هذا الرأي يوم السقيفة ولم يستبد على المسلمين ببيعته لأبي بكر التي كانت فلتة وقي الله شرها كما شهد هو بذلك. ولكن أنى لعمر أن يكون على هذا الرأي الجديد لأنه حكم على نفسه وعلى صاحبه بالقتل إذ يقول في رأيه الجديد: " من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا "

بقي علينا أن نعرف لماذا غير عمر رأيه في آخر حياته بالرغم من أنه يعرف أكثر من غيره بأنه برأيه الجديد نسف بيعة أبي بكر من أساسها إذ أنه هو الذي سبق لبيعته من غير مشورة من المسلمين فكانت فلتة، ونسف أيضا بيعته هو لأنه وصل للخلافة بنص أبي بكر عليه عند الموت من غير مشورة من المسلمين حتى أن بعض الصحابة دخلوا على أبي بكر مستنكرين عليه أن يولي عليهم فضا غليظا (١)، ولما خرج عمر ليقرا على الناس كتاب أبي بكر سأله رجل: ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري، ولكني أول من سمع وأطاع، قال الرجل: لكني والله أدري ما فيه: أمرته عام أول، وأمرك العام (٢).

وهذا نظير قول الإمام علي لعمر (عندما رآه يحمل الناس قهرا لبيعة أبي بكر) أحلب حلبا لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غدا.. (٣). والمهم أن نعرف لماذا غير عمر رأيه في البيعة! أكاد أعتقد بأنه سمع بأن بعض الصحابة يريد بيعة علي بن أبي طالب بعد موت عمر وهذا ما لا يرضاه عمر أبدا وهو الذي عارض النصوص الصريحة وعارض أن يكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الكتاب (٤) لأنه عرف فحواه حتى اتهمه بالهجر وخوف

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٠ استخلاف عمر بن الخطاب.

شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٠.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥.

باب مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٨.

(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ٧٥ (كتاب الوصية) صحيح البخاري ج ٧ ص ٩.

الناس حتى لا يقولوا بموته (١) وذلك لئلا يتسابق الناس لبيعة علي، وشيدبيعة أبي بكر وحمل الناس عليها بالقهر وهدد كل من تخلف بالقتل (٢) كل ذلك في سبيل إبعاد علي عن الخلافة، فكيف يرضى أن يقول قائل: بأنه سيباع فلانا لو قد مات عمر، وخصوصا بأن هذا القائل (الذي بقي اسمه مجهولا ولا شك أنه من عظماء الصحابة) يحتج بما فعله عمر نفسه في بيعته لأبي بكر إذ يقول: فوالله ما كانتبيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت. أي أنها بالرغم من كونها وقعت على حين غفلة من المسلمين وبدون مشورة منهم فقد تمت وأصبحت حقيقة ولذا جاز لعمر أن يفعلها مع أبي بكر فكيف لا يجوز له أن يفعلها هو بنفس الطريقة مع فلان - ونلاحظ هنا أن ابن عباس و عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب يتحاشون ذكر اسم هذا القائل كما يتحاشون ذكر اسم الذي يريد بيعته، ولما كان لهذين الشخصين أهمية كبيرة لدى المسلمين نرى أن عمر غضب لهذه المقالة وبادر في أول جمعة بأن خطب الناس وأثار موضوع الخلافة بعده وطلع عليهم برأيه الجديد فيها، حتى يقطع الطريق على هذا الذي يريد إعادة الفلتة لأنها ستكون لصالح خصمه، على أننا فهمنا من خلال البحث بأن هذه المقالة ليست رأي فلان وحده وإنما هي رأي كثير من الصحابة ولذلك يقول البخاري: فغضب عمر ثم قال: إنني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذر هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم.. (٣).

فتغيير عمر لرأيه في البيعة كان معارضة لهؤلاء الذين يريدون أن يغضبوا الناس أمورهم ويبيعوا عليا، وهذا ما لا يرضاه عمر لأنه يعتقد بأن الخلافة هي من أمور الناس وليست حقا لعلي بن أبي طالب وإذا كان هذا الاعتقاد صحيحا فلماذا أجاز هو لنفسه أن يغضب الناس أمورهم بعد موت النبي صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩٥.

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٨ - وتاريخ الخلفاء ح ١ ص ١٩.

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٥.

وآله وسلم ويسارع لبيعة أبي بكر من غير مشورة المسلمين؟
وموقف أبي حفص من أبي الحسن معروف ومشهور وهو إبعاده عن الحكم
ما استطاع لذلك سبيلا.

وهذا الاستنتاج لم نستوحه من خطبته السابقة فحسب ولكن المتتبع للتاريخ
يعرف أن عمر بن الخطاب كان هو الحاكم الفعلي حتى في خلافة أبي بكر ولذلك
نرى أبا بكر يستأذن من أسامة بن زيد أن يترك له عمر بن الخطاب ليستعين به على
أمر الخلافة (١) - ومع ذلك نرى علي بن أبي طالب يبقى بعيدا عن المسؤولية فلم
يولوه منصبا ولا ولاية ولا أمره على جيش ولا ائتمنوه على خزينة وذلك طوال
خلافة أبي بكر وعمرو عثمان، وكلنا يعلم من هو علي بن أبي طالب.
والأغرب من كل هذا أننا نقرأ في كتب التاريخ بأن عمر لما أدركته الوفاة
تأسف أن لا يكون أبو عبيدة بن الجراح أو سالم مولى أبي حذيفة من الأحياء حتى
يوليهم من بعده، ولكنه ولا شك تذكر بأنه سبق أن غير رأيه في مثل هذه البيعة
واعتبرها فلتة وغصبا لأمر المسلمين، فلا بد له إذن أن يخترع طريقة جديدة في
البيعة لتكون حلا وسطا بين بين فلا يستبد أحد فيسبق بالبيعة لمن يراه صالحا لها
ويحمل الناس على متابعتها كما فعل هو مع أبي بكر وكما فعل أبو بكر معه هو أو كما
يريد أن يفعل فلان الذي ينتظر موت عمر ليبيع صاحبه فهذا غير ممكن بعد أن
حكم عمر عليها بالفتنة والاعتصاب. ولا يمكن له أيضا أن يترك الأمر شورى
بين المسلمين، وقد حضر مؤتمر السقيفة عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ورأى بعينه ما وقع من الاختلاف الذي كادت تزهد فيه الأرواح وتهرق فيه
الدماء.

واخترع أخيرا فكرة أصحاب الشورى أو الستة الذين لهم وحدهم حق
اختيار الخليفة وليس لأحد من المسلمين أن يشاركهم في ذلك، وكان عمر يعلم

(١) كما نص على ذلك ابن سعد في طبقاته وأكثر المؤرخين الذين ذكروا سرية أسامة بن زيد.

أن الخلاف بين هؤلاء الستة لا مفر منه ولذلك أوصى عند الاختلاف أن يكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن بن عوف ولو أدى الأمر إلى قتل الثلاثة الذين يخالفون عبد الرحمن هذا في حال انقسام الستة إلى قسمين وهو محال لأن عمر يعرف بأن سعد بن أبي وقاص ابن عم لعبد الرحمن وكلاهما من بني زهرة ويعلم أن سعد لا يحب عليا وكان في نفسه شيء منه لأن عليا قتل أخواله من عبد شمس كما يعرف عمر أن عبد الرحمن بن عوف هو صهر عثمان لأن زوجته أم كلثوم هي أخت عثمان، ويعلم أيضا أن طلحة ميال لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر (١).

كان عمر يعلم كل ذلك ومن أجل هذا كان اختياره لهؤلاء بالذات.

اختار عمر هؤلاء الستة وكلهم من قريش وكلهم من المهاجرين وليس فيهم واحد من الأنصار وكلهم يمثل ويتزعم قبيلة لها أهميتها وتأثيرها.

١ - علي بن أبي طالب زعيم بني هاشم.

٢ - عثمان بن عفان زعيم بني أمية.

٣ - عبد الرحمن بن عوف زعيم بني زهرة.

٤ - سعد بن أبي وقاص هو من بني زهرة وأخواله بني أمية.

٥ - طلحة بن عبيد الله هو سيد بني تيم.

٦ - الزبير بن العوام هو ابن صفية عمه الرسول وهو زوج أسماء بنت أبي بكر.

فهؤلاء هم أهل الحل والعقد وحكمهم نافذ على كل المسلمين سواء منهم سكان المدينة (عاصمة الخلافة) أو غيرهم في كل العالم الإسلامي وما على المسلمين إلا السمع والطاعة بدون نقاش ومن يخرج منهم عن ذلك فهو مهدور

(١) محمد عبده في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٨٨.

الدم. وهذا بالذات الذي أردنا تقريبه من ذهن القارئ بخصوص السكوت عن نص الغدير، فيما تقدم.

وإذا كان عمر، يعلم نفسيات هؤلاء الستة وعواطفهم وطموحاتهم فإنه بلا شك قد رشح عثمان بن عفان للخلافة أو أنه كان يعلم أن الأكثرية من هؤلاء الستة لا يرضون بعلي وإلا لماذا وبأي حق يرجح عبد الرحمن بن عوف على علي بن أبي طالب والحال أن المسلمين منذ وجدوا وحتى اليوم إنما يتنازعون في أفضلية علي وأبي بكر ولم نسمع أحدا يقارن عليا بعبد الرحمن بن عوف. وهنا أقف وقفة لا بد منها، لأسأل أهل السنة والجماعة القائلين بمبدأ الشورى وأهل الفكر الحر كافة، أسأل كل هؤلاء كيف توفقون بين الشورى بمعناها الإسلامي وبين هذه الفكرة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على الاستبداد بالرأي، لأنه هو الذي اختار هؤلاء النفر وليس المسلمون، وإذا كان وصوله للخلافة فلتة فبأي حق يفرض على المسلمين أحد هؤلاء الستة؟!

والذي يبدو لنا أن عمر يرى الخلافة حقا من حقوق المهاجرين وحدهم وليس من حق أحد أن ينازعهم هذا الأمر، بل أكثر من هذا يعتقد عمر كما يعتقد أبو بكر بأن الخلافة ملك لقريش وحدها، إذ في المهاجرين من ليسوا من قريش، بل فيهم من ليسوا من العرب، فلا يحق لسلمان الفارسي ولا لعمار بن ياسر، ولا لبلال الحبشي ولا لصهيب الرومي ولا لأبي ذر الغفاري ولا لألوف الصحابة الذين ليسوا من قريش أن يتصدوا للخلافة.

وليس هذا مجرد ادعاء! حاشا وكلا، بل هي عقيدتهم التي سجلها التاريخ والمحدثون من أفواههم فلنعد إلى نفس الخطبة التي أخرجها البخاري ومسلم في صحيحهما:

يقول عمر بن الخطاب: أردت أن أتكلم و كنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر و كنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر

والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل حتى سكت فقال ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل (مخاطبا الأنصار) ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش (١).

إذن، يتبين لنا بوضوح بأن أبا بكر وعمر لا يؤمنان بمبدأ الشورى والاختيار ويقول بعض المؤرخين بأن أبا بكر احتج على الأنصار بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " الخلافة في قريش " وهو حديث صحيح لا شك فيه وحقيقته (كما نص على ذلك البخاري ومسلم وكل الصحاح عند السنة وعند الشيعة) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

" الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش "

وأصرح من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

" لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان " (٢) وقوله " الناس

تبع لقريش في الخير والشر " (٣).

فإذا كان المسلمون قاطبة يؤمنون بهذه الأحاديث فكيف يقول قائل بأنه ترك

الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يشاؤون؟

ولا يمكن لنا أن نتخلص من هذا التناقض إلا إذا أخذنا بأقوال أئمة أهل

البيت وشيعتهم وبعض علماء السنة الذين يؤكدون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قد نص على الخلفاء وعينهم بعددهم وأسمائهم، وبذلك يمكن لنا أيضا

أن نفهم موقف عمر وحصره الخلافة في قريش وعمر من عرف باجتهاده مقابل

النصوص حتى في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلح الحديبية (٤)،

(١) صحيح مسلم باب الوصية.

(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢ و ٣ صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٧.

(٣) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢ و ٣ صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٧.

(٤) صحيح البخاري ج ٢ ص ٨١ صحيح مسلم باب صلح الحديبية.

والصلاة على المنافقين (١)، ورزية يوم الخميس (٣)، ومنعه التبشير بالجنة (٣) أكبر شاهد على ما نقول. فلا يستغرب منه أن يجتهد بعد موت النبي في نص حديث الخلافة فلا يرى وجوبا بقبول النص على علي بن أبي طالب الذي هو أصغر قريش، وحصر حق الاستخلاف بقريش وحدها، وهو الذي حدا بعمر أن يختار قبل موته ستة من عظماء قريش ليوفق بين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يرتأيه هو من حق قريش وحدها في الخلافة، ولعل إقحام علي في الجماعة مع العلم المسبق بأنهم لا يختارونه، هو تدبير من عمر ليحبر عليا على الدخول معهم في اللعبة السياسية كما يسمونها اليوم وحتى لا تبقى له حجة عند شيعته ومحبيه الذين يقولون بأولويته، ولكن الإمام عليا تحدث عن كل ذلك في خطبه أمام عامة الناس فقال في ذلك:

" فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم، فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكنني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هن وهن... " الخطبة (٤).

رابعا - إن الإمام علي سلام الله عليه احتج عليهم بكل شئ ولكن بدون جدوى، وهل يستجدي الإمام علي بيعة الناس الذي صرفوا وجوههم عنه ومالت قلوبهم لغيره إما حسدا له على ما أتاه الله من فضله، وإما حقدا عليه لأنه قتل صنائدهم وهشم أبطالهم، وأرغم أنوفهم، وأخضعهم وحطم كبرياءهم بسيفه وشجاعته حتى أسلموا واستسلموا وهو مع ذلك شامخ يذود عن ابن عمه لا

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٦.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٣٧.

(٣) صحيح البخاري ج ١ باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة في صفحة ٤٥.

(٤) نهج البلاغة شرح محمد عبده ج ١ ص ٨٧.

تأخذه في الله لومة لائم، ولا يثني عزمه من حطام الدنيا شيء - وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ذلك علم اليقين وكان في كل مناسبة يشيد بفضائل أخيه وابن عمه لكي يحبه إليهم فيقول: حب علي إيمان وبغضه نفاق (١) - ويقول علي مني وأنا من علي (٢) ويقول علي ولي كل مؤمن بعدي (٣) - ويقول علي باب مدينة علمي وأبو ولدي (٤) ويقول: علي سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين (٥).

ولكن مع الأسف ما زادهم ذلك إلا حسدا وحقدا ولذلك استدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته فعانقه وبكى، وقال له: يا علي: إني أعلم أن لك ضغائن في صدور قوم سوف يظهرونها لك بعدي. فإن بايعوك فاقبل وإلا فاصبر حتى تلقاني مظلوما (٦) فإذا كان أبو الحسن سلام الله عليه لزم الصبر بعد بيعة أبي بكر فذلك بوصية الرسول له وفي ذلك من الحكمة ما لا يخفى.

خامسا - أضف إلى كل ما سبق أن المسلم إذا ما قرأ القرآن الكريم وتدبر آياته يعرف من خلال قصصه التي تناولت الأمم والشعوب السابقة أنه وقع فيهم أكثر مما وقع فينا، فما هو قابيل يقتل أخاه هايل ظلما وعدوانا وما هو نوح جد الأنبياء بعد ألف سنة من الجهاد لم يتبعه من قومه إلا القليل وكانت امرأته وابنه من الكافرين، وما هو لوط لم يوجد في قريته غير بيت من المؤمنين، وما هم الفراعنة الذين استكبروا في الأرض واستعبدوا الناس لم يكن فيهم غير مؤمن يكتم إيمانه،

-
- (١) صحيح مسلم ج ١ ص ٦١.
 - (٢) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٨.
 - (٣) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٥ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٤.
 - (٤) المستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٢٦.
 - (٥) منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٣٤.
 - (٦) الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري باب فضائل علي بن أبي طالب.

وهاهم إخوة يوسف أبناء يعقوب وهم عصبة يتآمرون على قتل أخيهم الصغير بغير ذنب اقترفه ولكن حسدا له لأنه أحب إلى أبيهم، وها هم بنو إسرائيل الذين أنقذهم الله بموسى وفلق لهم البحر وأغرق أعداءهم فرعون وجنوده بدون أن يكلفهم عناء الحرب، ما إن خرجوا من البحر ولم تجف أقدامهم فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون.

ولما ذهب إلى ميقات ربه واستخلف عليهم أخاه هارون تأمروا عليه وكادوا يقتلونه - وكفروا بالله وعبدوا العجل - ثم بعد قتلوا أنبياء الله قال تعالى: (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (١).

وها هو سيدنا يحيى بن زكريا وهو نبي وحضور ومن الصالحين يقتل ويهدى رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

وها هم اليهود والنصارى يتآمرون على قتل وصلب سيدنا عيسى، وها هي أمة محمد تعد جيشا قوامه ثلاثين ألفا لقتل الحسين ربحانة رسول الله وسيد شباب أهل الجنة ولم يكن معه غير سبعين من أصحابه فقتلوهم جميعا بما في ذلك أطفاله الرضع.

فأي غرابة بعد هذا؟ أي غرابة بعد قول الرسول لأصحابه:

" ستتبعون سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: أتراهم اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟؟ " (٢).

أي غرابة ونحن نقرأ في البخاري ومسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) سورة البقرة آية ٨٧.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٤ و ج ٨ ص ١٥١.

يؤتى بأصحابي يوم القيامة إلى ذات الشمال فأقول إلى أين؟ فيقال إلى النار والله، فأقول: يا رب هؤلاء أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك، فأقول: سحقا لمن بدل بعدي ولا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم " (١).

أي غرابة بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

" ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة " (٢) وصدق العلي العظيم رب العزة والجلالة العليم بذات الصدور إذ يقول: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) سورة يوسف آية ١٠٣. (بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) سورة المؤمنون آية ٧٠. (لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) سورة الزخرف آية ٧٨.

(ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) سورة يونس آية ٥٥. (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) سورة التوبة آية ٨.

(إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) سورة يونس آية ٦٠.

(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) سورة النحل آية ٨٣.

(ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا) الفرقان آية ٥٠.

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٩ وصحيح مسلم في باب الحوض.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب الفتن ج ٢ رقم الحديث ٣٩٩٣.

مسند أحمد ج ٣ ص ١٢٠ سنن الترمذي في كتاب الإيمان.

(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) سورة يوسف آية ١٠٦ .
(بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) سورة الأنبياء آية ٢٤ .
(أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم
سامدون...) النجم آية ٦١ .

حسرة وأسى
كيف لا أتحسر؟ بل كيف لا يتحسر كل مسلم عند قراءة مثل هذه
الحقائق - على ما خسره المسلمون بإقصاء الإمام علي عن الخلافة التي نصبه رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها، وحرمان الأمة من قيادته الحكيمة. وعلومه
الكثيرة.

وإذا ما نظر المسلم بغير تعصب ولا عاطفة، لوجده أعلم الناس بعد
الرسول، فالتاريخ يشهد أن علماء الصحابة استفوتوه في كل ما أشكل عليهم وقول
عمر بن الخطاب أكثر من سبعين مرة " لولا علي لهلك عمر " (١) في حين أنه
(عليه السلام) لم يسأل أحدا منهم أبدا.

كما أن التاريخ يعترف بأن علي بن أبي طالب أشجع الصحابة وأقواهم،
وقد فر الشجعان من الصحابة في مواقف عديدة من الزحف في حين ثبت هو
(عليه السلام) في المواقف كلها، ويكفيه دليلا الوسام الذي وسمه به رسول الله

(١) مناقب الخوارزمي ص ٤٨ - الإستيعاب ج ٣ ص ٣٩ تذكرة السبط ٨٧ مطالب السؤل
ص ١٣ تفسير النيسابوري في سورة الأحقاف فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧.

صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال:
" لأعطين غدا رأيي إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار ليس
فرارا امتحن الله قلبه للإيمان " (١).

فتناول إليها الصحابة فدفعها إلى علي بن أبي طالب.
وباختصار فإن موضوع العلم والقوة والشجاعة التي يختص بها الإمام
علي - موضوع معروف لدى الخاص والعام ولا يختلف فيه اثنان - وبقطع
النظر عن النصوص الدالة على إمامته بالتصريح والتلميح فإن القرآن
الكريم لا يعترف بالقيادة والإمامة إلا للعالم الشجاع القوي، قال الله
سبحانه وتعالى في وجوب اتباع العلماء.
(أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى
فما لكم كيف تحكمون) (٢).

وقال تعالى في وجوب قيادة العالم الشجاع القوي (قالوا أنى يكون له
الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال، قال: إن الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء
والله واسع عليم) (٣).

ولقد زاد الله سبحانه للإمام علي بالنسبة إلى كل الصحابة زاده بسطة
في العلم فكان بحق " باب مدينة العلم " وكان هو المرجع الوحيد للصحابة
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان الصحابة كلما عجزوا عن
حل يقولون " معضلة وليس لها إلا أبو الحسن " (٤).

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٥ و ص ١٢ ج ٥ ص ٧٦ و ٧٧.

صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ باب فضائل علي بن أبي طالب.

(٢) سورة يونس آية ٣٥.

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٧.

(٤) مناقب الخوارزمي ص ٥٨ تذكرة السبط ٨٧ ابن المغازلي ترجمة علي ص ٧٩.

وزاده بسطة في الجسم فكان بحق أسد الله الغالب وأصبحت قوته وشجاعته مضرب الأمثال عبر الأجيال حتى روى المؤرخون فيها قصصا تقارب المعجزات كاقتراع باب خيبر وقد عجز عن تحريكه فيما بعد عشرون صحابيا (١) واقتلاع الصنم الأكبر هبل (٢) من فوق سطح الكعبة، وتحويل الصخرة العظيمة التي عجز الجيش كله عن تحريكها (٣) وغير ذلك من الروايات المشهورة.

وقد أشاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابن عمه علي وأبان فضله وفضائله في كل مناسبة وعرف بخصائصه ومزاياه فمرة يقول:
" إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا " (٤).
ومرة يقول له:

" أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " (٥).
وأخرى يقول:

" من أراد أن يحيى حياتي، ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة " (٦).

والمتتبع لسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يجده لم يكتف بالأقوال والأحاديث فيه فحسب بل إن أقواله تجسدت في أعماله فلم يؤمر في حياته على علي أحدا من الصحابة بالرغم من تأميرهم على بعضهم البعض فقد أمر على

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد في المقدمة.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد في المقدمة.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد في المقدمة.

(٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٩ تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٦٢.

(٥) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠ صحيح البخاري في فضائل علي.

(٦) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٨ والطبراني في الكبير.

أبي بكر وعمر في غزوة ذات السلاسل عمرو بن العاص (١).
كما أمر عليهم جميعا شابا صغيرا وهو أسامة بن زيد وذلك في سرية أسامة
قبل موته صلى الله عليه وآله وسلم.

أما علي بن أبي طالب فلم يكن في بعث إلا وهو الأمير حتى أنه صلى الله
عليه وآله وسلم بعث في مرة بعثين وأمر عليا على بعث وخالد بن الوليد على بعث
وقال لهم: إذا افترقتم فكل واحد على جيشه وإذا التقيتم فعلي على الجيش كله.
ونستنتج من كل ما تقدم بأن عليا هو ولي المؤمنين بعد النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ولا ينبغي لأحد أن يتقدم عليه.

ولكن مع الأسف الشديد فقد خسر المسلمون خسارة فادحة، وهم يعانون
حتى اليوم ويجنون ثمار ما غرسوه، وقد عرف الثالون غب ما أسسه الأولون.
وهل يمكن لأحد أن يتصور خلافة راشدة كخلافة علي بن أبي طالب لو
اتبعت هذه الأمة ما اختاره الله ورسوله فعلي كان بإمكانه أن يقود الأمة طول
ثلاثين عاما على نسق واحد كما قادها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبدون
أي تغيير، ذلك لأن أبا بكر وعمر غيرا واجتهدا بأدائهما مقابل النصوص وأصبح
فعلهما سنة متبعة، ولما جاء عثمان للخلافة غير أكثر حتى قيل أنه خالف كتاب الله
وسنة رسوله وسنة أبي بكر وعمر وأنكر عليه الصحابة ذلك وقامت عليه ثورة
شعبية عارمة أودت بحياته وسببت فتنة كبرى في الأمة لم يندمل جراحها حتى
الآن.

أما علي بن أبي طالب فكان يتقيد بكتاب الله وسنة رسوله لا يحدد عنهما قيد
أنملة وأكبر شاهد على ذلك أنه رفض الخلافة عندما اشترطوا عليه أن يحكم مع
كتاب الله وسنة رسوله، سنة الخليفين.

(١) السيرة الحلبية غزوة ذات السلاسل وطبقات ابن سعد وكل من ذكر غزوة ذات
السلاسل.

ولسائل أن يسأل: لماذا يتقيد علي بكتاب الله وسنة رسوله بينما اضطر أبو بكر وعمر وعثمان للاجتهد والتغيير؟
والجواب هو أن عليا عنده من العلم ما ليس عندهم وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصه بألف باب من العلم يفتح لكل باب ألف باب (١) وقال له:

" أنت يا علي تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي " (٢).
أما الخلفاء فكانوا لا يعلمون كثيرا من أحكام القرآن الظاهرية فضلا عن تأويله فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما في باب التيمم بأن رجلا سأل عمر بن الخطاب أيام خلافته فقال: يا أمير المؤمنين إني أجنبت ولم أجد الماء فماذا أصنع؟ قال له عمر: لا تصل!! وكذلك لم يعرف حكم الكلاله حتى مات وهو يقول وددت لو سألت رسول الله عن الكلاله بينما حكمها مذكور في القرآن الكريم، ولذا كان عمر الذي يقول عنه أهل السنة الجماعة بأنه من الملهمين علي هذا المستوى العلمي، فلا تسأل عن الآخرين الذين أدخلوا البدع في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير سوى اجتهادات شخصية.
ولقائل أن يقول: إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يبين الإمام علي للأمة ما اختلفوا فيه بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
والجواب هو: أن الإمام عليا لم يأل جهدا في تبين ما أشكل على الأمة وكان مرجح الصحابة في كل ما أشكل عليهم فكان يأتي ويوضح وينصح فكانوا يأخذون منه ما يعجبهم وما لا يتعارض مع سياستهم ويدعون ما سوى ذلك والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول.

(١) كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٢ رقم الحديث ٦٠٠٩ وكذلك في حلية الأولياء ينابيع المودة ص ٧٣ و ٧٧ تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٨٣.
(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٢ تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٨٨.

والحقيقة هي: لولا علي بن أبي طالب والأئمة من ولده لما عرف الناس معالم دينهم، ولكن الناس كما أعلمنا القرآن لا يحبون الحق فاتبعوا أهواءهم واخترعوا مذاهب في مقابل الأئمة من أهل البيت الذين كانت الحكومات تحسب عليهم أنفاسهم ولا تترك لهم حرية التحرك والاتصال المباشر. فكان علي يصعد على المنبر ويقول للناس: سلوني قبل أن تفقدوني، ويكفي علياً أن ترك نهج البلاغة، والأئمة من أهل البيت سلام الله عليهم تركوا من العلم ما ملأ الخافقين وشهد لهم بذلك أئمة المسلمين سنة وشيعة - وأعود للموضوع فأقول على هذا الأساس: لو قدر لعلي أن يقود الأمة ثلاثين عاماً على سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلم الإسلام وتغلغلت العقيدة في قلوب الناس أكثر وأعمق ولما كانت فتنة صغرى ولا فتنة كبرى ولا كربلاء ولا عاشوراء، ولو تصورنا قيادة الأئمة الأحد عشر بعد علي والذي نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذين امتدت حياتهم عبر ثلاث قرون لما بقي في الأرض ديار لغير المسلمين ولكانت الأرض اليوم على غير ما نشاهده اليوم ولكانت حياتنا إنسانية. بمعناها الحقيقي. ولكن قال الله تعالى: (ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون) (١) وقد فشلت الأمة الإسلامية في الامتحان كما فشلت الأمم السابقة كما نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢) في العديد من المناسبات، كما أكد عليه القرآن الكريم في العديد من الآيات (٣).

(١) سورة العنكبوت آية ٢.

(٢) كحديث اتباع سنة اليهود والنصارى شبرا بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. أخرجه البخاري ومسلم وسبقت الإشارة إليه وكحديث الحوض الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم.

(٣) كقوله تعالى: (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) آل عمران: آية ١٤٤.

وكقوله له سبحانه وتعالى: (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن

مهجوراً.. الفرقان آية ٣٠.

شواهد أخرى على ولاية علي
وكان الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون ولاية علي هي الاختبار للمسلمين
فكل اختلاف وقع فبسببها ولأنه سبحانه لطيف بعباده فلا يؤاخذ التالين بما فعل
الأولون فجلت حكمته وحف تلك الحادثة بأحداث أخرى جليلة تشبه المعجزات
حتى تكون حافزا للأمة فينقلها الحاضرون ويعتبر بها اللاحقون عسى أن يهتدوا
للحق من طريق البحث.

الشاهد الأول: يتعلق بعقوبة من كذب بولاية علي وذلك أنه بعد شيوع
خبر غدیر خم وتنصيب الإمام علي خليفة علي المسلمين، وقول الرسول لهم:
فليبلغ الشاهد الغائب.

وصل الخبر إلى الحارث بن النعمان الفهري ولم يعجبه ذلك (١) فأقبل علي
رسول الله، وأناخ راحلته أمام باب المسجد ودخل علي النبي صلى الله عليه وآله

(١) يدلنا علي أن هناك من الأعراب الذين يسكنون خارج المدينة ييغضوا علي بن أبي طالب
ولا يحبوه، كما أنهم لا يحبون محمد ولذا ترى هذا الجلف يدخل علي النبي فلا يسلم
ويناديه يا محمد: وصدق الله إن يقول: (الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا
يعلموا حدود ما أنزل الله عليه رسوله).

وسلم فقال: يا محمد إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلنا منك ذلك، وأمرتنا أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة ونصوم رمضان، ونحج البيت، ونزكي أموالنا فقبلنا منك ذلك، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته على الناس وقلت " من كنت مولاه فعلي مولاه " فهذا شئ منك أو من الله؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد احمرت عيناه: والله الذي لا إله إلا هو إنه من الله وليس مني قالها ثلاثا.

فقام الحارث وهو يقول:

" اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأرسل علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم "

قال: فوالله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات، وأنزل الله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع).

وهذه الحادثة نقلها جمع غفير من علماء أهل السنة غير الذين ذكرناهم (١) فمن أراد مزيدا من المصادر فعليه بكتاب الغدير للعلامة الأميني.

(١) شواهد التنزيل للحسكاني ج ٢ ص ٢٨٦.

تفسير الثعلبي في سورة سأل سائل بعذاب واقع.

تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٧٨.

تفسير المنار رشيد رضا ج ٦ ص ٤٦٤.

ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٢٨.

الحاكم في ما استدركه على الصحيحين ج ٢ ص ٥٠٢.

السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٥.

تذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٣٧.

الشاهد الثاني: يتعلق بعقوبة من كتم الشهادة بحادثة الغدير وأصابته دعوة الإمام علي.

وذلك عندما قام الإمام علي أيام خلافته، في يوم مشهود إذ جمع الناس في الرحبة ونادى من فوق المنبر قائلاً:

" أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم " من كنت مولاه فعلي مولاه " إلا قام فشهد بما سمع، ولا يقيم إلا من رآه بعينه وسمعه بأذنيه ."

فقام ثلاثون صحابياً منهم ستة عشر بدرياً، فشهدوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيده، فقال للناس:

" أتعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من ولاه، وعاد من عاداه... " الحديث.

ولكن بعض الصحابة ممن حضروا واقعة الغدير أقعدهم الحسد أو البغض للإمام، فلم يقوموا للشهادة ومن هؤلاء أنس بن مالك، حيث نزل إليه الإمام علي من المنبر وقال له: ما لك يا أنس لا تقوم مع أصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته منه يومئذ كما شهدوا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت سني ونسيت، فقال الإمام علي: إن كنت كاذباً فضربك الله ببياض لا توارىها العمامة، فما قام حتى أبيض وجهه برصاً، فكان بعد ذلك يبكي ويقول: أصابتنى دعوة العبد الصالح لأنني كتمت شهادته.

وهذه القصة مشهورة ذكرها ابن قتيبة في كتاب المعارف (١) حيث عد أنسا من أصحاب العاهات في باب البرص وكذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢)

(١) كتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري ص ٢٥١.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١ ص ١١٩.

حيث قال: فقاموا إلا ثلاثة لم يقوموا فأصابتهم دعوته.
وتجدر الإشارة هنا بأن نذكر هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم الإمام أحمد برواية البلاذري (١) قال بعدها أورد مناقشة الإمام علي للشهادة، وكان تحت المنبر أنس بن مالك والبراء بن عازب، وجوير بن عبد الله البجلي، فأعادها فلم يجبه منهم أحد فقال: اللهم من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها. قال: فبرص أنس بن مالك، وعمي البراء بن عازب، ورجع جرير أعرابيا بعد هجرته فأتى الشراة فمات في بيت أمه.
وهذه القصة مشهورة تناقلها جمع كبير من المؤرخين (٢).
(فاعتبروا يا أولي الألباب)

والمتتبع يعرف من خلال هذه الحادثة (٣) التي أحيها الإمام علي بعد مرور ربع قرن عليها وبعدها كادت تنسى يعرف ما هي قيمة الإمام علي وعظمته ومدى علو همته وصفاء نفسه، وهو في حين أعطى للصبر أكثر من حقه، ونصح لأبي بكر وعمر وعثمان ما علم أن في نصحهم مصلحة الإسلام والمسلمين، كان مع ذلك يحمل في جنباته حادثة الغدير بكل معانيها وهي حاضرة في ضميره في كل لحظات حياته فما إن وجد فرصة سانحة لبعثها وإحيائها من جديد حتى حمل غيره

(١) أنساب الأشراف للبلاذري في جزئه الأول و ج ٢ ص ١٥٢.

(٢) تاريخ ابن عساكر المسمى بتاريخ دمشق ج ٢ ص ٧ و ج ٣ ص ١٥٠.

* شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل ج ١٩ ص ٢١٧.

* عبقات الأنوار ج ٢ ص ٣٠٩.

* مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٢٣.

* السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣٧.

(٣) وهو مناقشة الإمام علي يوم الرحبة الصحابة ليشهدوا بحديث الغدير وقد روى هذه الحادثة جمع غفير من المحدثين والمؤرخين سبق الإشارة إليهم أمثال: أحمد بن حنبل وابن عساكر. وابن أبي الحديد وغيرهم.

للشهادة بها على مسمع ومرأى من الناس.
وانظر كيف كانت طريقة إحياء هذه الذكرى المباركة وما فيها من الحكمة
البالغة لإقامة الحجّة على المسلمين من حضر منهم الواقعة ومن لم يحضر، فلو قال
الإمام: أيها الناس لقد أوصى بي رسول الله في غدير خم على الخلافة، لما كان
لذلك وقعا في نفوس الحاضرين ولاحتجوا عليه عن سكوته طوال تلك المدة.
ولكنه لما قال: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله يقول ما قال
يوم غدير خم، إلا قام فشهد، فكانت الحادثة منقولة بحديث رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم على لسان ثلاثين صحابيا منهم ستة عشر بدريا وبذلك قطع
الإمام الطريق على المكذبين والمشككين وعلى المحتجين عن سكوته طوال تلك
المدة، لأن في سكوت هؤلاء الثلاثين معه وهم من عظماء الصحابة لدليل كبير على
خطورة الموقف وعلى أن السكوت فيه مصلحة الإسلام كما لا يخفى.

تعليق على الشورى
رأينا فيما سبق بأن الخلافة على قول الشيعة هي باختيار الله سبحانه،
وتعيين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وحي يوحى به إليه.
وهذا القول يتماشى تماما مع فلسفة الإسلام في كل أحكامه وتشريعاته إذ أن
الله سبحانه هو الذي (يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة) (١).
وبما أن الله سبحانه أراد أن تكون أمة محمد خير أمة أخرجت للناس،
فلا بد لها من قيادة حكيمة، رشيدة، عالمة، قوية، شجاعة، تقية، زاهدة،
في أعلى درجات الإيمان، وهذا لا يتأتى إلى لمن اصطفاه الله سبحانه وتعالى،
وكيفه بميزات خاصة تؤهله للقيادة والزعامة: قال الله تعالى: (الله يصطفي من
الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير) (٢).
وكما أن الأنبياء اصطفاهم الله سبحانه فكذلك الأوصياء. وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم:

سورة القصص آية ٦٨ .
(٢) سورة الحج آية ٧٥ .

" لكل نبي وصي، وأنا وصيي علي بن أبي طالب " (١).
وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم:
" أنا خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء " (٢).

وعلى هذا الأساس فإن الشيعة سلموا أمرهم لله ورسوله، ولم يبق منهم من يدع الخلافة لنفسه أو يطمع فيها، لا بالنص ولا بالاختيار، أولاً لأن النص ينفي الاختيار والشورى وثانياً لأن النص قد وقع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أشخاص معدودين ومعينين (٣) بأسمائهم، فلا يتناول إليها منهم متناول وإن فعل فهو فاسق خارج عن الدين.

أما الخلافة عند أهل السنة والجماعة فهي بالاختيار والشورى وبذلك فتحو الباب الذي لا يمكن غلقه على أي واحد من الأمة وأطمعوا فيها كل قاص ودان، وكل غث وسمين، وحتى تحولت من قريش إلى الموالي والعبيد وإلى الفرس والمماليك وإلى الأتراك والمغول.

وتبخرت تلك القيم والشروط التي اشترطوها في الخليفة لأن غير المعصوم بشر ملئ بالعاطفة والغرائز، وبمجرد وصوله إلى الحكم لا يؤمن أن ينقلب ويكون أسوأ مما كان والتاريخ الإسلامي خير شاهد على ما نقول.

وأخشى أن يتصور بعض القراء بأنني أبالغ، فما عليهم إلا أن يتصفحوا تاريخ الأمويين والعباسيين وغيرهم حتى يعرفوا بأن من تسمى أمير المؤمنين كان يتجهر بشرب الخمر ويلعب القرود ويلبسهم الذهب وأن (أمير المؤمنين) يلبس جاريته لباسه لتصلي بالمسلمين، وأن (أمير المؤمنين) تموت جاريته حباة فيسلب

-
- (١) تاريخ ابن عساكر الشافعي ج ٣ ص ٥ مناقب الخوارزمي ص ٤٢ ينابيع المودة ص ٧٩.
(٢) ينابيع المودة ج ٢ ص ٣ نقلاً عن الديلمي - المناقب للخوارزمي - ذخائر العقبى.
(٣) روى العدد البخاري ومسلم وروى العدد والأسماء صاحب ينابيع المودة ج ٣ ص ٩٩.

عقله وأن (أمير المؤمنين) يطرب لشاعر فيقبل ذكره. ولماذا نستغرق في هؤلاء الذين حكم المسلمون بأنهم لا يمثلون إلا الملك العضوض ولا يمثلون الخلافة وذلك للحديث الذي يروونه وهو قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: " الخلافة من بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضوضا ".

وليس هذا موضوع بحثنا فمن أراد الاطلاع على ذلك فعليه مراجعة تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وأبي الفداء وابن قتيبة وغيرهم.

وإنما أردت بيان مساوي الاختيار وعقم النظرية من أساسها لأن من نختاره اليوم قد ننقم عليه غدا ويتبين لنا بأننا أخطأنا ولم نحسن الاختيار - كما وقع ذلك لعبد الرحمن بن عوف نفسه عندما اختار للخلافة عثمان بن عفان وندم بعد ذلك، ولكن ندمه لم يفد الأمة شيئا بعد توريطها، وإذا كان صحابي جليل من الرعييل الأول وهو عثمان لا يفي بالعهد الذي أعطاه لعبد الرحمن بن عوف، وإذا كان صحابي جليل من الرعييل الأول وهو عبد الرحمن بن عوف لا يحسن الاختيار، فلا يمكن لعاقل بعد ذلك أن يرتاح لهذه النظرية العقيمة، والتي ما تولد عنها إلا الاضطراب وعدم الاستقرار وإراقة الدماء، فإذا كانت بيعة أبي بكر فلتة كما وصفها عمر بن الخطاب وقد وقى الله المسلمين شرها، وقد خالف وتخلف عنها جمع غفير من الصحابة، وإذا كانت بيعة علي بن أبي طالب بعد ذلك على رؤوس الملائك ولكن بعض الصحابة نكث البيعة، وانجر عن ذلك حرب الجمل، وحرب صفين، وحرب النهروان، وزهقت فيها أرواح بريئة، فكيف يرتاح العقلاء بعد ذلك لهذه القاعدة التي جربت وفشلت فشلا ذريعا من بدايتها وكانت وبالاً على المسلمين. وبالخصوص إذا عرفنا أن هؤلاء الذين يقولون بالشورى يختارون الخليفة ولا يقدرّون بعد ذلك على تبديله أو عزله، وقد حاول المسلمون جهدهم عزل عثمان فأبى قائلًا: لا أنزع قميصا قمصنيه الله.

ومما يزيدنا نفورا من هذه النظرية، ما نراه اليوم في دول الغرب المتحضرة والتي تزعم الديمقراطية في اختيار رئيس الدولة، وترى الأحزاب المتعددة تتصارع وتتساوم وتتسابق للوصول إلى منصة الحكم بأي ثمن، وتصرف من أجل ذلك

البلايين من الأموال التي تخصص للدعاية بكل وسائلها وتهدر طاقات كبيرة على حساب المستضعفين من الشعب المسكين الذي قد يكون في أشد الحاجة إليها، وما أن يصل أحدهم إلى الرئاسة حتى تأخذه العاطفة فيولي أنصاره وأعضاء حزبه وأصدقاءه وأقاربه في مناصب الوزراء والمسؤوليات العظيمة والمراكز المهمة في الإدارة ويبقى الآخرون يعملون في المعارضة مدة رئاسته المتفق عليها أيضا فيخلقون له المشاكل والعراقيل ويحاولون جهدهم فضحه والإطاحة به، وفي كل ذلك خسارة فادحة للشعب المغلوب على أمره، فكم من قيم إنسانية سقطت، وكم من رذائل شيطانية رفعت باسم الحرية والديمقراطية وتحت شعارات براقية، فأصبح اللواط قانونا مشروعاً والزنا بدلا من الزواج تقدما ورقيا وحدث في ذلك ولا حرج.

فما أعظم عقيدة الشيعة في القول بأن الخلافة أصل من أصول الدين، وما أعظم قولهم بأن هذا المنصب هو باختيار الله سبحانه، فهو قول سديد ورأي رشيد يقبله العقل ويرتاح إليه الضمير، وتؤيده النصوص من القرآن والسنة، ويرغم أنوف الجبابرة والمتسلطين، والملوك والسلاطين، ويفيض على المجتمع السكينة والاستقرار.

الاختلاف في الثقلين
عرفنا في ما سبق ومن خلال الأبحاث المتقدمة رأي الشيعة وأهل السنة في
الخلافة وما فعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تجاه الأمة على قول الفريقين.
فهل ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمة شيئاً؟ تعتمد عليه
وترجع إليه فيما قد يقع فيه الخلاف الذي لا بد منه والذي سجله كتاب الله بقوله
تعالى:

{ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن
تنازعتهم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك
خير أحسن وأويلاً } (١).

نعم لا بد للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك للأمة قاعدة ترتكز
عليها، فهو إنما بعث رحمة للعالمين، وهو حريص على أن تكون أمة خير الأمم
ولا تختلف بعده ولهذا روى عنه أصحابه والمحدثون بأنه قال:
" تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما، لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب

(١) سورة النساء آية ٥٩.

الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما" (١).

وهذا الحديث صحيح ثابت أخرجه المحدثون من الفريقين السنة والشيعة. ورووه في مسانيدهم وفي صحاحهم عن طريق ما يزيد على ثلاثين صحابيا.

وبما أنني وكالعادة لا أحتج بكتب الشيعة ولا بأقوال علمائهم فكان لزاما علي أن أذكر فقط علماء السنة الذين أخرجوا حديث الثقلين معترفين بصحته حتى يكون البحث دائما موضوعيا يتصف بالعدل والإنصاف (وإن كان العدل والإنصاف يقتضي ذكر قول الشيعة أيضا).

وهذه قائمة وجيزة عن رواية هذا الحديث من علماء السنة:

- ١ - صحيح مسلم كتاب فضائل علي بن أبي طالب ج ٧ ص ١٢٢.
- ٢ - صحيح الترمذي ج ٥ ص ٣٢٨.
- ٣ - الإمام النسائي في خصائصه ص ٢١.
- ٤ - الإمام أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧.
- ٥ - مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٩.
- ٦ - كنز العمال ج ١ ص ١٥٤.
- ٧ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٩٤.
- ٨ - جامع الأصول لابن الأثير ج ١ ص ١٨٧.
- ٩ - الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٣٥٣.
- ١٠ - مجمع الزوائد للهيثم ج ٩ ص ١٦٣.
- ١١ - الفتح الكبير للنبهاني ج ١ ص ٤٥١.
- ١٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج ٢ ص ١٢.
- ١٣ - تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤٣٦.

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٨.

١٤ - تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٣ .

١٥ - التاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٠٨ .

أضف إلى هؤلاء ابن حجر الذي ذكره في كتابه الصواعق المحرقة معترفا بصحته - والذهبي في تلخيصه معترفا بصحته على شرط الشيخين - والخوارزمي الحنفي - وابن المغازلي الشافعي والطبراني في معجمه، وكذلك صاحب السيرة النبوية في هامش السيرة الحلبية وصاحب ينابيع المودة وغيرهم...
فهل يجوز بعد هذا أن يدعي أحد أن حديث الثقلين " كتاب الله وعترتي " لا يعرفه أهل السنة وإنما هو من موضوعات الشيعة؟؟ قاتل الله التعصب والجمود الفكري والحمية الجاهلية.

إذن، فحديث الثقلين الذي أوصى فيه صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بكتاب الله وعترته الطاهرة، هو حديث صحيح عند أهل السنة كما مر علينا وعند الشيعة هو أكثر تواترا وسندا عن الأئمة الطاهرين.

فلماذا يشكك البعض في هذا الحديث ويحاولون جهدهم أن يبدلوه " بكتاب الله وسنتي " ورغم أن صاحب كتاب " مفتاح كنوز السنة " يخرج في صفحة ٤٧٨ بعنوان " وصيته (ص) بكتاب الله وسنة رسوله " نقلا عن البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه غير أنك إذا بحثت في هؤلاء الكتب الأربعة المذكورة فسوف لن تجد إشارة من قريب أو من بعيد إلى هذا الحديث - نعم قد تجد في البخاري " كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة " (١) ولكنك لا تجد لهذا الحديث وجودا.
وغاية ما يوجد في صحيح البخاري وفي الكتب المذكورة حديث يقول:
" حدثنا طلحة بن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٣٧ .

الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله " (١).
ولا وجود لحديث لرسول الله يقول فيه " تركت فيكم الثقلين كتاب الله
وسنتي " وحتى على فرض وجود هذا الحديث في بعض الكتب فلا عبرة به، لأن
الاجماع على خلافه كما تقدم
ثم لو بحثنا في حديث " كتاب الله وسنتي " لوجدناه لا يستقيم مع الواقع،
لا نقلا ولا عقلا، ولنا في رده بعض الوجوه.
الوجه الأول: اتفق المؤرخون والمحدثون بأن رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم منع من كتابه أحاديثه، ولم يدع أحد أنه كان يكتب السنة النبوية في
عَهده صلى الله عليه وآله وسلم، فقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تركت
فيكم " كتاب الله وسنتي " لا يستقيم - أما بالنسبة بكتاب الله فهو مكتوب ومحفوظ
في صدور الرجال وبإمكان أي صحابي الرجوع إلى المصحف ولو لم يكن من
الحفاظ.

أما بالنسبة للسنة النبوية فليس هناك شئ مكتوب أو مجموع في عهده صلى
الله عليه وآله وسلم فالسنة النبوية كما هو معلوم ومتفق عليه، كل ما قاله الرسول
أو فعله أو أقره، ومن المعلوم أيضا أن الرسول لم يكن يجمع أصحابه ليعلمهم
السنة النبوية - بل كان يتحدث في كل مناسبة وقد يحضر بعضهم وقد لا يكون معه
إلا واحد من أصحابه فكيف يمكن للرسول والحال هذه، أن يقول لهم تركت
فيكم سنتي؟؟

الوجه الثاني: لما اشتد برسول الله وجعه وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام طلب
منهم أن يأتوه بالكثف والدواة ليكتب لهم كتابا لا يضلوا بعده أبدا، فقال عمر بن

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٨٦.
صحيح الترمذي كتاب الوصايا.
صحيح مسلم كتاب الوصايا.
صحيح ابن ماجة كتاب الوصايا.

الخطاب إن رسول الله ليهجر وحسبنا كتاب الله! (١).
فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لهم من قبل تركت
فيكم " كتاب الله وسنتي " لما جاز لعمر بن الخطاب أن يقول: حسبنا كتاب
الله!، لأنه بذلك يكون هو والصحابة الذين قالوا بمقالته رادين على رسول الله
ولا أظن أن أهل السنة والجماعة يرضون بهذا.

ولذلك فهمنا أن الحديث وضعه بعض المتأخرين الذين يعادون أهل البيت
وخصوصا بعد إقصائهم عن الخلافة، وكأن الذي وضع حديث " كتاب الله
وسنتي " استغرب أن يكون الناس تمسكوا بكتاب الله وتركوا العترة واقتدوا
بغيرهم، فظن أنه باختلاق الحديث سيصح مسيرتهم ويعد النقد والتجريح
عن الصحابة الذين خالفوا وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
الوجه الثالث: من المعروف أن أول حادثة اعترضت أبا بكر في أوائل
خلافته هي قراره محاربة مانعي الزكاة، رغم معارضة عمر بن الخطاب له
واستشهاده بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
" من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله عصم مني حاله ودمه إلا بحقها
وحسابه على الله " .

فلو كانت سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معلومة ما كان أبو بكر
يجهلها وهو أولى الناس معرفتها.

ولكن عمر بعد ذلك اقتنع بتأويل أبي بكر للحديث الذي رواه وقول أبي
بكر بأن الزكاة هي حق المال، ولكنهم غفلوا أو تغافلوا عن سنة الرسول الفعلية
التي لا تقبل التأويل وهي قصة ثعلبة الذي امتنع عن دفع الزكاة لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ونزل فيه قرآن ولم يقاتله رسول الله ولا أجبره على دفعها وأين

(١) صحيح البخاري باب مرض النبي ووفاته ج ٥ ص ١٣٨ .

صحيح مسلم كتاب الوصية ج ٢ ص ١٦ .

أبو بكر وعمر من قصة أسامة بن زيد الذي بعثه رسول الله في سرية، ولما غشي القوم وهزمهم لحق رجلا منهم فلما أدركه قال: لا إله إلا الله! فقتله أسامة، ولما بلغ النبي ذلك قال: يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: كان متعوذا. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (١). ولكن هذا لا يمكن أن نصدق بحديث "كتاب الله وسنتي" لأن الصحابة أول من جهل السنة النبوية فكيف بمن جاء بعدهم وكيف بمن بعد مسكنه عن المدينة؟

الوجه الرابع: من المعروف أيضا أن كثيرا من أعمال الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت مخالفة لسنته.

فإما أن يكون هؤلاء الصحابة يعرفون سنته صلى الله عليه وآله وسلم وخالفوها عمدا، اجتهادا منهم في مقابل نصوص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى: (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللا مبينا) (٢).

وأما أنهم كانوا يجهلون سنته صلى الله عليه وآله وسلم فلا يحق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحال هذه أن يقول لهم تركت فيكم سنتي وهو يعلم أن أصحابه وأقرب الناس إليه لم يحيطوا بها علما فكيف بمن يأتي بعدهم ولم يعرفوا ولم يشاهدوا النبي.

الوجه الخامس: من المعلوم أيضا أنه لم تدون السنة إلا في عهد الدولة العباسية وأن أول كتاب كتب في الحديث هو موطأ الإمام مالك، وذلك بعد الفتنة الكبرى، وبعد واقعة الحرة واستباحة المدينة المنورة، وقتل الصحابة فيها صبورا،

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٦ وكتاب الديات.

وصحيح مسلم أيضا ج ١ ص ٦٧.

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦.

فكيف يطمئن الإنسان بعد ذلك إلى رواة تقربوا للسلطان لنيل الدنيا - ولذلك اضطربت الأحاديث وتناقضت وانقسمت الأمة إلى مذاهب، فما ثبت عند هذا المذهب لم يثبت عند غيره وما صححه هذا يكذبه ذلك.

فكيف نصدق بأن رسول الله قال تركت " كتاب الله وسنتي " وهو الذي

كان يعلم بأن المنافقين والمنحرفين سوف يكذبون عليه، وقد قال:

" كثرت علي الكذابة فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار (١). "

فإذا كانت الكذابة قد كثرت في حياته فكيف يكلف أمته باتباع سنته،

وليس لهم معرفة بصحيحها من سقيمها وغثها من سمينها.

الوجه السادس: يروي أهل السنة والجماعة في صحاحهم بأن رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم ترك ثقلين، أو خليفتين، أو شيئين، فمرة يروون

كتاب الله وسنة رسوله، ومرة يروون عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من

بعدي، ومعلوم بالضرورة أن الحديث التالي يضيف إلى كتاب الله وسنة

رسوله، سنة الخلفاء فتصبح مصادر التشريع ثلاثة بدلا من اثنين وكل هذا يتنافى

مع حديث الثقلين الصحيح والمتفق عليه من السنة والشريعة، ألا وهو " كتاب الله

وعترتي " والذي قدمنا في ذكره أكثر من عشرين مصدرا من مصادر أهل السنة

الموثوقة فضلا عن مصادر الشيعة التي لم نذكرها.

الوجه السابع: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم علم

اليقين بأن أصحابه الذين نزل القرآن بلغتهم ولهجاتهم (كما يقولون) - لم يعرفوا

كثيرا من تفسيره ولا تأويله، فكيف بمن يأتي بعدهم وكيف بمن يعتنق الإسلام من

الروم والفرس والحبش وكل الأعاجم الذين لا يفهمون العربية ولا يتكلمونها.

وقد ثبت في الأثر أن أبا بكر سئل عن قوله تعالى: (وفاكهة وأبا)

(١)

فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني أن أقول في كتاب الله لما لا أعلم (١) كما أن عمر بن الخطاب أيضا لم يعرف هذا المعنى فعن أنس بن مالك قال: إن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر:

" فأثبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا "

قال: كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب، اتبعوا ما بين لكم هداة من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه " (٢).

وما يقال هنا في تفسير كتاب الله يقال هناك في تفسير السنة النبوية الشريفة فكم من حديث نبوي بقي موضوع خلاف بين الصحابة وبين المذاهب وبين السنة والشيعه سواء كان الخلاف ناتجا عن تصحيح الحديث أو تضعيفه، أم عن تفسير الحديث وفهمه، وللتوضيح أقدم للقارئ الكريم بعض الأمثلة عن ذلك.

١ - الخلاف بين الصحابة في صحة الحديث أو كذبه:

هذا ما وقع لأبي بكر في أول أيامه عندما جاءته فاطمة الزهراء تطالبه بتسليم فدك التي أخذها منها بعد وفاة أبيها فكذبها فيما ادعته من أن أباه رسول الله أنحلها إياها في حياته كما أنها لما طالبت به بميراث أبيها، قال لها بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ". فكذبتة هي الأخرى في نسبة هذا الحديث لأبيها وعارضة بكتاب الله واشتد

(١) القسطلاني في إرشاد الساري ج ١٠ ص ٢٩٨ - وابن حجر في فتح الباري ج ١٣ ص ٢٣٠.

(٢) تفسير ابن جرير ج ٣ ص ٣٨ وكنز العمال ج ١ ص ٢٨٧. الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ١٤ والذهبي في تلخيصه والخطيب في تاريخه ج ١١ ص ٤٦٨.

الزمخشري في تفسيره الكشاف ج ٣ ص ٢٥٣ والخازن في تفسيره ج ٤ ص ٣٧٤. ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ص ٣٠ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٣.

النزاع والخلاف حتى ماتت وهي غاضبة عليه مهاجرة له لا تكلمه - كما ورد ذلك في صحيح البخاري ومسلم.

كذلك اختلاف عائشة أم المؤمنين مع أبي هريرة في الذي يصبح جنباً في رمضان فكانت ترى صحة ذلك بينما يرى أبو هريرة أن من أصبح جنباً أفطر. وإليك القصة بالتفصيل.

أخرج الإمام مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه عن عائشة وأم سلمة زوجي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهما قالتا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصبح جنباً من جماع غير احتلام في رمضان ثم يصوم، وعن أبي بكر بن عبد الرحمن قال كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم وهو أمير المدينة فذكر له أن أبا هريرة يقول من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم فقال مروان: أقسمت عليك يا عبد الرحمن لتذهبن إلى أمي المؤمنين عائشة وأم سلمة فلتسألنهما عن ذلك فذهب عبد الرحمن وذهبت معه حتى دخلنا على عائشة فسلم عليها ثم قال: يا أم المؤمنين إنا كنا عند مروان بن الحكم فذكر له أن أبا هريرة يقول من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم قالت عائشة: ليس كما قال أبو هريرة يا عبد الرحمن أترغب عما كان رسول الله يصنع، فقال عبد الرحمن لا والله. قالت عائشة فأشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم ذلك اليوم، قال ثم خرجنا حتى دخلنا على أم سلمة فسألها عن ذلك فقالت مثل ما قالت عائشة: قال فخرجنا حتى جئنا مروان بن الحكم فذكر له عبد الرحمن ما قالتا، فقال مروان: أقسمت عليك يا أبا محمد لتركن دابتي فإنها بالباب فلتذهبن إلى أبي هريرة فإنه بأرضه بالعقيق فلتخبرنه ذلك، فركب عبد الرحمن وركبت معه حتى أتينا أبا هريرة فتحدث معه عبد الرحمن ساعة ثم ذكر له ذلك فقال له أبو هريرة: لا علم لي بذلك إنما أخبرني من خبر (١).
أنظر أخي القارئ إلى صحابي مثل أبي هريرة الذي هو عند أهل السنة

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٣٢ باب الصائم يصبح جنباً.
موطأ مالك تنوير الحوالك ج ١ ص ٢٧٢ (ما جاء في الذي يصبح جنباً في رمضان).

راوية الإسلام كيف يفتي بأحكام دينية على الظن وينسبها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يعلم حتى من أخبره بها.

قصة أخرى لأبي هريرة يتناقض فيها مع نفسه

روى عبد الله بن محمد حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي مسلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا عدوي ولا صفر ولا هامة، فقال أعرابي يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرى فيجربها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن أعدى الأول.

وعن أبي سلمة سمع أبا هريرة بعد يقول قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يوردن ممرض على مصح، وأنكر أبو هريرة حديثه الأول قلنا: ألم تحدث أنه لا عدوي فرطن بالحبشية قال أبو سلمة فما رأيت نسي حديثا غيره.. (١).
* فهذه أيها القارئ اللبيب سنة الرسول، أو قل ما ينسب للرسول فمرة يقول أبو هريرة إنه لا علم له بحديثه الأول وإنما أخبره مخبر ومرة أخرى عندما يجابهوه بتناقضه لا يجيبهم بشيء وإنما يرطن بالحبشية حتى لا يفهمه أحد.
خلاف عائشة وابن عمر

روى ابن جريح قال سمعت عطاء يخبر قال أخبرني عروة بن الزبير قال كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وأنا لنسمع ضربها بالسواك تستن قال فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رجب قال نعم، فقلت لعائشة أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت وما يقول؟ قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رجب، فقالت: " يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمرى ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة إلا وإنه

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٣١ (باب لا هامة).
صحيح مسلم ج ٧ ص ٣٢ (باب لا عدوي ولا طيرة).

لمعه " قال وابن عمر يسمع فما قال لا ولا نعم سكت (١).

٢ - اختلاف المذاهب في السنة النبوية

فإذا كان عمر وأبو بكر يختلفان في سنة النبي (٢) صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان أبو بكر يختلف مع فاطمة في السنة النبوية (٣) وإذا كان أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يختلفن في سنة النبي (٤) صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان أبو هريرة يتناقض ويختلف مع عائشة في السنة النبوية (٥) وإذا كان ابن عمر يختلف مع عائشة في سنة النبي (٦) وإذا كان عبد الله بن عباس وابن الزبير يختلفان في السنة النبوية (٧) وإذا كان علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان يختلفان في السنة النبوية (٨) وإذا كان الصحابة يختلفون في ما بينهم في السنة النبوية (٩) حتى كان للتابعين من بعدهم أكثر من سبعين مذهبا فكان ابن مسعود صاحب مذهب وكذلك ابن عمر - وابن عباس - وابن الزبير - وابن عيينة - وابن جريج والحسن البصري وسفيان الثوري، ومالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم كثير، ولكن المتغيرات السياسية قضت على الجميع ولم تبق إلا المذاهب الأربعة المعروفة عند أهل السنة والجماعة.

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ٦١ صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٦.

(٢) إشارة إلى اختلافهما في محاربة مانعي الزكاة وقد أشرنا إلى المصادر فارجع إليها.

(٣) إشارة إلى قصة فدك وحديث نحن معشر الأنبياء لا نورث، أشرنا إلى المصادر.

(٤) إشارة إلى قصة رضاعة الكبير التي روتها عائشة وخالف عنها أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٥) إشارة إلى رواية يصبح النبي جنبا ويصوم والذي كذبه عائشة.

(٦) إشارة إلى رواية اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعاً إحداهن في رجب وكذبه عائشة.

(٧) إشارة إلى اختلافهما في حلية المتعة وتحريمها (أنظر البخاري ج ٦ ص ١٢٩).

(٨) إشارة إلى اختلافهما في متعة الحج (أنظر البخاري ج ٢ ص ١٥٣).

(٩) في البسملة وفي الوضوء وفي صلاة المسافر وفي الكثير من المسائل الفقهية التي لا يمكن حصرها.

ورغم قلة عدد المذاهب إلا أنهم يختلفون في أغلب المسائل الفقهية وذلك من أجل اختلافهم في السنة النبوية فقد ينيي أحدهم حكمه في مسألة طبق ما صححه من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بينما يجتهد غيره برأيه أو يقيس على مسألة أخرى لفقدان النص والحديث.

٣ - اختلاف السنة والشيعة في السنة النبوية

أما اختلاف السنة والشيعة في هذه المسألة فقد يكون لسببين رئيسيين. أحدهما عدم صحة الحديث عند الشيعة إذا كان أحد الرواة من المطعون في عدالته ولو كان من الصحابة. إذ أن الشيعة لا يقولون بعدالة الصحابة أجمعين كما هو الحال عند أهل السنة والجماعة.

أضف إلى ذلك أنهم يرفضون الحديث إذا تعارض مع رواية الأئمة من أهل البيت، فهم يقدمون رواية هؤلاء على غيرهم مهما علت مرتبتهم - ولهم في ذلك أدلة من القرآن والسنة ثابتة حتى عند خصومهم، وقد سبق الإشارة إلى بعضها. أما السبب الثاني في الاختلاف بينهما فهو ناتج عن مفهوم الحديث نفسه إذ قد يفسره أهل السنة والجماعة على غير تفسير الشيعة - كالحديث الذي سبق أن أشرنا إليه وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " اختلاف أمتي رحمة " .

إذ يفسره أهل السنة والجماعة بأن في اختلاف المذاهب الأربعة في الأمور الفقهية رحمة للمسلمين.

بينما يفسره الشيعة بالسفر إلى بعضهم البعض والاعتناء بأخذ العلم ونحوه من الفوائد.

أو قد يكون الاختلاف بين الشيعة وأهل السنة، ليس في مفهوم الحديث النبوي، وإنما في الشخص أو الأشخاص المعنيين بهذا الحديث وذلك كقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي " .

فأهل السنة يعنون به الخلفاء الأربعة، أما الشيعة فيعنون به الأئمة الاثني عشر ابتداء من علي بن أبي طالب وانتهاء بالمهدي محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام).

أو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

" الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش "

فالشيعة يعنون به الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) بينما لا يجد أهل السنة والجماعة تفسيراً شافياً لهذا الحديث وقد اختلفوا حتى في الأحداث التاريخية التي تتعلق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الحال في يوم مولده الشريف إذ يحتفل أهل السنة بالمولد النبوي الشريف يوم الثاني عشر من ربيع الأول في حين يحتفل الشيعة في اليوم السابع عشر من نفس الشهر. ولعمري إن هذا الاختلاف في السنة النبوية أمر طبيعي لا مفر منه إذا لم يكن هناك مرجع يرجع إليه الجميع ويكون حكمه نافذاً، ورأيه مقبولاً لدى الجميع كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حيث كان يقطع دابر الخلاف ويحسم النزاع ويحكم بما أراه الله فيسلمون ولو كان في أنفسهم حرج، وإن وجود مثل هذا الشخص ضروري في حياة الأمة وعلى طول مداها! هكذا يحكم العقل ولا يمكن أن يغفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وهو يعلم بأن أمته ستتأول كلام الله من بعده، فكان لزاماً عليه أن يحضر لها معلماً قادراً ليقودها إلى الجادة إذا ما حاولت الانحراف عن الصراط المستقيم، وقد هيأ بالفعل لأئمة قائداً عظيماً بذل كل جهوده في تربيته وتعليمه منذ ولد إلى أن بلغ الكمال وصار منه بمنزلة هارون من موسى، فأوكل إليه هذه المهمة النبيلة بقوله:

" أنا أقاتلهم على تنزيل القرآن وأنت تقاتلهم على تأويله " (١).

(١) الخوارزمي في المناقب ص ٤٤. ينابيع المودة ص ٢٣٣.
الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ٢٥ كفاية الطالب ص ٣٣٤.
منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٣٦ إحقاق الحق ج ٦ ص ٣٧.

وقوله:

" أنت يا علي تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي " (١).
فإذا كان القرآن وهو كتاب الله العزيز يتطلب من يقاتل في سبيل تفسيره
وتوضيحه، لأنه كتاب صامت لا ينطق، وهو حمال أوجه متعددة وفيه الظاهر
والباطن فكيف بالأحاديث النبوية؟!
وإذا كان الأمر كذلك في الكتاب والسنة، فلا يمكن للرسول صلى الله عليه
 وآله وسلم أن يترك لأمته ثقلين صامتين أبكمين لا يتورع الذين في قلوبهم زيغ أن
 يتأولوهما لغرض ويتبعوا ما تشابه منهما ابتغاء الفتنة ابتغاء الدنيا ويكونوا سببا
 لضلالة من يأتي بعدهم، لأنهم أحسنوا الظن بهم واعتقدوا بعد التهم ويوم
 القيامة يندمون فيصدق فيهم قوله تعالى: (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
 يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا
 السبيلا، ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) (٢) (كلما دخلت
 أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم، ربنا هؤلاء
 أضلونا فآتتهم عذابا ضعفا من النار، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) (٣).
 وهل كانت الضلالة إلا من ذلك؟ فليس هناك أمة لم يبعث الله فيهم
 رسولا أوضح لهم السبيل وأنار لهم الطريق ولكنهم بعد نبينهم راحوا يحرفون
 ويتأولون ويبدلون كلام الله! فهل يتصور عاقل أن رسول الله عيسى
 (عليه السلام) قال للنصارى بأنه إله؟ حاشا وكلا " ما قلت لهم إلا ما أمرتني
 به " ولكن الأهواء والأطماع وحب الدنيا هو الذي جر النصارى لذلك ألم يبشرهم

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٢ تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٨٨.
المناقب للخوارزمي ص ٢٣٦ كنوز الحقائق للمناوي ص ٢٠٣.
منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٣٣ ينابيع المودة ص ١٨٢.
(٢) سورة الأحزاب آية ٦٦ - ٦٨.
(٣) سورة الأعراف آية ٣٨.

عيسى بمحمد؟ ومن قبله موسى كذلك، ولكنهم تأولوا اسم محمد وأحمد
" بالمنقذ " وهم حتى الآن ينتظرونه.
وهل كانت أمة محمد على مذاهب وفرق متعددة إلى " ثلاث وسبعين كلها
في النار إلى فرقة واحدة " إلا بسبب التأويل: وها نحن نعيش اليوم بين هذه
الفرق هل هناك فرقة واحدة تنسب لنفسها الضلالة؟ أو بتعبير آخر: هل هناك
فرقة واحدة تدعي أنها خالفت كتاب الله وسنة رسوله؟ بالعكس كل فرقة تقول
بأنها هي المتمسكة بالكتاب والسنة، فما هو الحل إذا؟؟
أكان يغيب الحل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو بالأحرى عن
الله؟ أستغفر الله إنه لطيف بعباده ويحب لهم الخير فلا بد أن يضع لهم حلا،
ليهلك من هلك على بينة. وليس في شأنه سبحانه إهمال مخلوقاته وتركهم بدون
هداية، اللهم إلا إذا اعتقدنا بأنه هو الذي أراد لهم الاختلاف والفرقة والضلالة
ليزج بهم في ناره، وهو اعتقاد باطل فاسد. أستغفره وأتوب إليه من هذا القول
الذي لا يليق بجلال الله وحكمته وعدالته.
فقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ترك كتاب الله وسنة نبيه ليس
هو الحل المعقول لقضيتنا، بل يزيدنا تعقيدا وتأويلا ولا يقطع دابر المشاغبين
والمنحرفين، ألا تراهم عندما خرجوا على إمامهم رفعوا شعار: ليس الحكم لك
يا علي وإنما الحكم لله! إنه شعار براق يأخذ بلب السامع فيخال القائل به حريصا
على تطبيق أحكام الله، ورافضا لأحكام غيره من البشر، ولكن الحقيقة ليست
كذلك.

قال الله تعالى: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله
على ما في قلبه، وهو ألد الخصام) (١).
نعم كثيرا ما نعثر بالشعارات البراقة ولا نعرف ماذا تخفي وراءها، ولكن

(١) سورة البقرة آية ٢٠٤.

الإمام عليا يعرف ذلك لأنه باب مدينة العلم، فأجابهم " إنها كلمة حق يراد بها باطل " .

نعم كثيرة هي كلمات الحق التي يراد بها الباطل، كيف ذلك؟ عندما يقول الخوارج للإمام علي الحكم لله ليس لك يا علي، فهل سيظهر الله على الأرض ويفصل بينهم في ما اختلفوا فيه؟ أم أنهم يعلمون أن حكم الله في القرآن، ولكن عليا تأوله حسب رأيه؟ فما هي حججهم ومن يقول بأنهم هم الذين تأولوا حكم الله، والحال أنه أعلم منهم وأصدق وأسبق للإسلام وهل الإسلام غيره؟

إذن هو شعار براق ليموهوا به علي بسطاء العقول فيكسبوا تأييدهم ليستعينوا بهم على حربه وكسب المعركة لصالحهم كما يقع اليوم فالزمان زمان والرجال رجال والدهاء والمكر لا ينقطع بل يزداد وينمو لأن دهاة هذا العصر يستفيدون من تجارب الأولين، فكم من كلمة حق يراد بها باطل في يومنا هذا؟ شعارات براءة كالذي يرفعها الوهابيون في وجه المسلمين وهو " التوحيد وعدم الشرك " فمن من المسلمين لا يوافق عليه؟ وكتسمية فرقة من المسلمين أنفسهم " بأهل السنة والجماعة " فمن من المسلمين لا يوافق أن يكون مع الجماعة التي تتبع سنة النبي؟ وكشعار البعثيين " أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة " فمن من المسلمين لا يغتر بهذا الشعار، قبل أن يعرف خفايا حزب البعث ومؤسسه النصراني ميشال عضلق؟

لك الله يا علي بن أبي طالب إن حكمتك بقيت وستبقى مدوية على مسمع الدهر فكم من كلمة حق يراد بها الباطل، صعد أحد العلماء إلى منصة الخطابة وصاح بأعلى صوته: من قال بأنني شيعي نقول له: أنت كافر، ومن قال بأنني سني نقول له: أنت كافر، نحن لا نريد شيعة ولا سنة وإنما نريد إسلاما فقط - إنها كلمة حق يراد بها باطل - فأبي إسلام يريد هذا العالم؟ وفي عالمنا اليوم إسلام متعدد، بل وحتى في القرن الأول كان الإسلام متعددًا، فهناك إسلام علي وإسلام معاوية وكلاهما له أتباع ومؤيدون حتى وصل الأمر إلى القتال وهناك إسلام

الحسين وإسلام يزيد الذي قتل أهل البيت باسم الإسلام وادعى أن الحسين خرج عن الإسلام بخروجه عليه وهناك إسلام أئمة أهل البيت وشيعتهم، وإسلام الحكام وشعوبهم، وعلى مر التاريخ نجد اختلافا بين المسلمين وهناك إسلام متسامح كما يسميه الغرب لأن أتباعه ألقوا بالمودة لليهود والنصارى وأصبحوا يركعون للقوتين العظيمتين وهناك إسلام متشدد يسميه الغرب إسلام التعصب والتحجر أو مجانين الله.

وبعد كل هذا لم يبق معنا مجال للتصديق بحديث " كتاب الله وسنتي " للأسباب التي ذكرت.

وتبقى الحقيقة ناصعة جلية في الحديث الثاني الذي أجمع عليه المسلمون وهو " كتاب الله وعترتي أهل بيتي " لأن هذا الحديث يحل كل المشكلات فلا يبقى اختلاف في تأويل أية آية من القرآن أو في تصحيح وتفسير أي حديث نبوي شريف إذا ما رجعنا إلى أهل البيت الذين أمرنا بالرجوع إليهم وخصوصا إذا علمنا بأن هؤلاء الذين عينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم أهل لذلك، ولا يشك أحد من المسلمين في غزارة علمهم وفي زهدهم وتقواهم، وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم وأورثهم علم الكتاب فلا يخالفونه ولا يختلفون فيه بل لا يفارقونه حتى قيام الساعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إنني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل مدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " (١). " ولأكون مع الصادقين يجب علي قول الحق لا تأخذني في ذلك لومة لائم وهدفي رضا الله سبحانه وإرضاء ضميري قبل رضا الناس عني " .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٢٢. الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٦٠ كنز العمال ج ١ ص ١٥٤. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٢ ينابيع المودة ص ٣٨ و ١٨٣. عبقات الأنوار ج ١ ص ١٦ - الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٤٨.

والحقيقة في هذا البحث هي في جانب الشيعة الذين اتبعوا وصية رسول الله في عترته وقدموهم على أنفسهم وجعلوهم أئمتهم يتقربون إلى الله بحبهم والافتداء بهم فهنيئاً لهم بالفوز في الدنيا وفي الآخرة حيث يحشر المرء من أحب فكيف بمن أحبهم واقتدى بهديهم.

قال الزمخشري في هذا الصدد:

كثر الشك والاختلاف وكل * يدعي أنه الصراط السوي

فتمسكت بلا إله إلا الله * وحبى لأحمد وعلي

فاز كلب بحب أصحاب كهف * فكيف أشقى بحب آل النبي

اللهم اجعلنا من المتمسكين بحبل ولائهم والسائرين على منهاجهم

والراكبين سفينتهم والقائلين بإمامتهم والمحشورين في زمرة إنك تهدي من تشاء

إلى صراط مستقيم.

القضاء والقدر (عند أهل السنة)

كان موضوع القضاء والقدر لغزا عويصا في ما مضى من حياتي إذ لم أجد فيه تفسيراً شافياً ولا كافياً يريح فكري ويقنع قلبي، وبقيت محتاراً، بين ما تعلمته في مدرسة أهل السنة من أن الإنسان مسير في كل أفعاله بما يوافق: " كل ميسر لما خلق له " وأن الله سبحانه يبعث إلى الجنين في بطن أمه ملكين من الملائكة فيكتبان أجله ورزقه وعمله، وإن كان شقياً أو سعيداً (١)، وبين ما يمليه عقلي وضميري، من عدالة الله سبحانه وتعالى وعدم ظلمه لمخلوقاته، إذ كيف يجبرهم على أفعال ثم يحاسبهم عليها ويعذبهم من أجل جرم كتبه هو عليهم وأجبرهم عليه.

فكنت كغيري من شباب المسلمين أعيش تلك التناقضات الفكرية في تصوري بأن الله سبحانه هو القوي الجبار الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (٢) - وهو فعال لما يريد (٣) - وقد خلق وجعل قسماً منهم في الجنة

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٣.

(٣) سورة البروج آية ١٦.

وقسما آخر في الجحيم - ثم هو رحمن رحيم بعباده لا يظلم مثقال ذرة (١) (وما ربك بظلام للعبيد) (٢) - (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) (٣)، ثم هو أحن عليهم من المرأة على ولدها كما جاء ذلك في الحديث الشريف (٤).

وكثيراً ما يتراءى هذا التناقض في فهمي لآيات القرآن الكريم فمرة أفهم بأن الإنسان على نفسه بصيرة وهو المسؤول الوحيد عن أعماله (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (٥).

ومرة أفهم بأنه مسير وليس له حول ولا قوة، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا رزقا، (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) (٦) (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) (٧).

نعم لست وحدي بل أغلب المسلمين يعيش هذه التناقضات الفكرية ولذلك تجد أغلب الشيوخ والعلماء إذا ما سألتهم عن موضوع القضاء والقدر لا يجدون جواباً يقنعون به أنفسهم قبل إقناع غيرهم، فيقولون: هذا موضوع لا يجب الخوض فيه، وبعضهم يحرم الخوض فيه ويقول: يجب على المسلم أن يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وأنه من عند الله.

وإذا ما سألتهم معاند: كيف يجبر الله عبده على ارتكاب جريمة ثم يزوج به في نار جهنم؟ اتهموه بالكفر والزندقة والخروج عن الدين إلى غير ذلك من التهم

(١) سورة النساء آية ٤٠.

(٢) سورة فصلت آية ٤٦.

(٣) سورة يونس آية ٤٤.

(٤) صحيح البخاري ج ٧ ص ٧٥.

(٥) سورة الزلزلة آية ٧ - ٨.

(٦) سورة الإنسان آية ٣٠.

(٧) سورة فاطر آية ٨.

الباردة، فجمدت العقول وتحجرت وأصبح الإيمان بأن الزواج بالمكثوب، والطلاق بالمكثوب، وحتى الزنا فهو مكثوب إذ يقولون: مكثوب على كل فرج اسم ناكحه، وكذلك شرب الخمر، وقتل النفس وحتى الأكل والشرب، فلا تأكل ولا تشرب إلا ما كتبه الله لك!

قلت لبعض علمائنا بعد استعراض كل هذه المسائل: إن القرآن يكذب هذه المزاعم، ولا يمكن للحديث أن يناقض القرآن! قال تعالى في شأن الزواج (وانكحوا ما طاب لكم من النساء) (١) فهذا يدل على مربة الاختيار وفي شأن الطلاق (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) (٢) وهو أيضا اختيار وفي الزنا قال (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) (٣) وهو أيضا دليل الاختيار وفي الخمر قال (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) (٤) وهي أيضا تنهى بمعنى الاختيار.

أما قتل النفس فقد قال فيها: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) (٥) وقال: ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه لعنه وأعد له عذابا أليما) (٦) فهذه أيضا تفيد الاختيار في القتل. وحتى بخصوص الأكل والشرب فقد رسم لنا حدودا فقال: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (٧) فهذه أيضا بالاختيار. فكيف يا سيدي بعد هذه الأدلة القرآنية تقولون بأن كل شيء من الله

-
- (١) سورة النساء آية ٣.
 - (٢) سورة البقرة آية ٢٢٩.
 - (٣) سورة الإسراء آية ٣٢.
 - (٤) سورة المائدة آية ٩١.
 - (٥) سورة الأنعام آية ١٥١.
 - (٦) سورة النساء آية ٩٣.
 - (٧) سورة الأعراف آية ٣١.

والعبد مسير في كل أفعاله؟؟.

أجابني: بأن الله سبحانه هو وحده الذي يتصرف في الكون واستدل بقوله
(قل اللهم مالك الملك توت الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من
تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) (١).

قلت: لا خلاف بيننا في مشيئة الله سبحانه وإذا شاء الله أن يفعل شيئاً،
فليس بإمكان الإنس والجن ولا سائر المخلوقات أن يعارضوا مشيئته! وإنما
إختلافنا في أفعال العباد هل هي منهم أم من الله؟؟

أجابني: لكم دينكم ولي ديني، وأغلق باب النقاش بذلك. هذه هي في
أغلب الأحيان حجة علمائنا، وأذكر أنني رجعت إليه بعد يومين وقلت له: إذا
كان اعتقادك أن الله هو الذي يفعل كل شيء وليس للعباد أن يختاروا أي شيء.
فلماذا لا تقول في الخلافة نفس القول، وأن الله سبحانه هو الذي يخلق ما يشاء
ويختار ما كان لهم الخيرة؟

فقال: نعم أقول بذلك، لأن الله هو الذي اختار أبا بكر ثم عمر ثم عثمان
ثم علي ولو شاء الله أن يكون علي هو الخليفة الأول ما كان الجن والإنس بقادرين
على منع ذلك.

قلت: الآن وقعت.

قال: كيف وقعت؟

قلت: إما أن تقول بأن الله اختار الخلفاء الراشدين الأربعة ثم بعد ذلك
ترك الأمر للناس يختارون من شاؤوا.

وأما أن تقول بأن الله لم يترك للناس الاختيار وإنما يختار هو كل الخلفاء من
وفاة الرسول إلى قيام الساعة؟

أجاب: أقول بالثاني (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع

(١) سورة آل عمران آية ٢٦.

الملك ممن تشاء...)
قلت: إذا فكل انحراف وكل ضلالة وكل جريمة وقعت في الإسلام بسبب
الملوك والأمراء فهي من الله، لأنه هو الذي أمر هؤلاء على رقاب المسلمين؟
أجاب: وهو كذلك، ومن الصالحين من قرأ (وإذا أردنا أن نهلك قرية
أمرنا مترفيها أي جعلناهم أمراء).
قلت متعجبا: إذا فقتل علي يد ابن ملجم وقتل الحسين بن علي أراد
الله؟؟

فقال منتصرا: نعم طبعاً - ألم تسمع قول الرسول لعلي:
" أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه حتى تبتل هذه. وأشار إلى رأسه
ولحيته كرم الله وجهه ".
وكذلك سيدنا الحسين قد علم رسول الله بمقتله في كربلاء وحدث أم سلمة
بذلك كما علم بأن سيدنا الحسن سيصلح الله به فرقتين عظيمتين من المسلمين،
فكل شيء مسطر ومكتوب في الأزل وليس للإنسان مفر. وبهذا أنت الذي وقعت
لا أنا.

سكت قليلاً أنظر إليه وهو مزهو بهذا الكلام، وظن أنه أفحمني بالدليل،
كيف لي أن أفنعه بأن علم الله بالشيء لا يفيد حتماً بأنه هو الذي قدره وأجبر
الناس عليه، وأنا أعلم مسبقاً بأن فكره لا يستوعب مثل هذه النظرية.
سألته من جديد: إذا فكل الرؤساء والملوك قديماً وحديثاً والذين يحاربون
الإسلام والمسلمين نصبهم الله - قال: نعم بدون شك.
قلت: حتى الاستعمار الفرنسي على تونس والجزائر والمغرب هو من الله
قال: بلى، لما جاء الوقت المعلوم خرجت فرنسا من تلك الأقطار.
قلت: سبحان الله! فكيف كنت تدافع سابقاً عن نظرية أهل السنة بأن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وترك الأمر شورى بين المسلمين

ليختاروا من يشاؤون؟
قال: نعم ولا زلت على ذلك وسأبقى على ذلك إن شاء الله!
قلت: فكيف توفق بين القولين: اختيار الله واختيار الناس بالشورى؟
قال: بما أن المسلمين اختاروا أبا بكر فقد اختاره الله!
قلت: أنزل عليهم الوحي في السقيفة يدلهم على اختيار الخليفة؟
قال: أستغفر الله ليس هناك وحي بعد محمد كما يعتقد الشيعة! (والشيعة كما هو معروف لا يعتقدون بهذا وإنما هي تهمة الصقها بهم أعداؤهم).
قلت: دعنا من الشيعة وأباطيلهم، واقنعنا بما عندك! كيف علمت بأن الله اختار أبا بكر؟
قال: لو أراد الله خلاف ذلك لما تمكن المسلمون، ولا العالمون خلاف ما يريد الله تعالى؟
عرفت حينئذ أن هؤلاء لا يفكرون ولا يتدبرون القرآن، وعلى رأيهم سوف لن تستقيم أية نظرية فلسفية أو علمية.
وهذا يذكرني بقصة أخرى كنت أمشي مع صديق في حديقة كان بها نخل كثير وكنت أحدثه في القضاء والقدر فسقطت فوق رأسي ثمرة ناضجة أخذتها من فوق الحشائش لأكلها وضعتها في في.
تعجب صديقي قائلاً: لا تأكل إلا ما كتبه الله لك! هذه التمرة سقطت باسمك قلت: ما دمت تؤمن بأنها مكتوبة فسوف لن أكلها. ولفضتها.
قال: سبحان الله! إذا كان الشيء غير مكتوب لك يخرج الله حتى من بطنك قلت: إذا سأكلها والتقطتها من جديد لأثبت له بأني مخير في أكلها أو تركها بقي صديقي يرقبني حتى مضغتها وابتلعها، عند ذلك قال: هي والله كاتبة لك (يقصد كتبها الله إليك)، وانتصر علي بتلك الطريقة لأنه لا يمكن لي بعد، أن أخرج التمرة من جوفي.

نعم هذه عقيدة أهل السنة في خصوص القضاء والقدر أو قل هذه عقيدتي عندما كنت سنيا.

ومن الطبيعي أن أعيش بهذه العقيدة مشوش الفكر بين المتناقضات ومن الطبيعي أن نبقي في جمود دائم ومنتظر أن يغير الله ما بنا، عوض أن نغير نحن ما بأنفسنا لكي يغير الله ما بنا، ونتهرب من المسؤولية التي تحملناها ونلقي بها عليه سبحانه، فإذا قلت للزاني أو للسارق أو حتى للمجرم الذي اغتصب فتاة قاصرة وقتلها بعد شهوته فسيجيئك: الله غالب، قدر ربي. سبحانه هذا الرب الذي يأمر الإنسان بدفن ابنته ثم يسأله بأي ذنب قتلت؟ سبحانه إن هذا إلا بهتان عظيم!.

ومن الطبيعي أن يزدري بنا علماء الغرب ويضحكون لسخافة عقولنا، بل وينبزوننا بالألقاب فيسمونه " مكتوب العرب " ويجعلونه سببا رئيسيا لجهلنا وتخلفنا.

ومن الطبيعي أيضا أن يعرف الباحثون بأن هذا الاعتقاد نشأ من الدولة الأموية الذين كانوا يروجون بأن الله سبحانه هو الذي أعطاهم الملك وأمرهم على رقاب الناس فيجب على الناس إطاعتهم وعدم التمرد عليهم لأن مطيعهم مطيع لله والخارج عليهم هو متمرّد على الله يجب قتله. ولنا في ذلك شواهد عديدة من التاريخ الإسلامي:

فهذا عثمان بن عفان عندما يطلبون منه أن يعتزل يرفض ويقول لا أخلع قميصا قمصنيه الله (١) فعلى رأيه الخلافة هي لباس له وقد ألبسه الله إياه فلا ينبغي لأحد من الناس أن ينزعه عنه إلا الله سبحانه يعني بالوفاة.

وهذا معاوية أيضا يقول: إني لم أقاتلكم لتصوموا ولتزكوا وإنما قاتلتكم لا تأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون فهذا يذهب شوطا أبعد من

(١) تاريخ الطبري حصار عثمان وتاريخ ابن الأثير.

عثمان لأنه يتهم رب العزة والجلالة بأنه أعانه على قتل المسلمين ليأمر عليهم وخطبة معاوية هذه مشهورة (١).

وحتى في اختيار يزيد ابنه وتوليته على الناس رغم أنوفهم فقد ادعى معاوية أن الله هو الذي استخلف ابنه يزيدا على الناس وذلك ما رواه المؤرخون، عندما كتب بيعته إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد (٢).

وكذلك فعل ابن زياد الفاسق عندما أدخلوا عليه عليا زين العابدين مكبلا بالأغلال فسأل قائلاً من هذا فقالوا علي بن الحسين! قال: ألم يقتل الله علي بن الحسين فأجابته زينب عمتها: بل قتله أعداء الله وأعداء رسوله. فقال لها ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك.

قالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلح يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة (٣).

وهكذا تفشى هذا الاعتقاد من بني أمية وأعوانهم وسرى في الأمة الإسلامية عدا شيعه أهل البيت.

(١) مقاتل الطالبين ص ٧٠ وابن كثير ج ٨ ص ١٣١ وابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٦.

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥١ بيعة معاوية ليزيد بالشام.

(٣) مقاتل الطالبين - مقتل الحسين.

عقيدة الشيعة في القضاء والقدر
وما إن عرفت علماء الشيعة (١) وقرأت كتبهم حتى اكتشفت علما جديدا في
القضاء والقدر.

وقد أوضحه الإمام علي (عليه السلام) بأوضح بيان وأشمله إذ قال لمن
سأله عن القضاء والقدر:
" ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرًا حاتما، ولو كان كذلك لبطل الثواب
والعقاب، وسقط الوعد والوعيد.

إن الله سبحانه أمر عباده تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلف يسيرا ولم
يكلف عسيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يعص مغلوبا، ولم يطع
مكرها، ولم يرسل الأنبياء لعبا، ولم ينزل الكتب للعباد عبثا، ولا خلق
السموات والأرض وما بينهما باطلا. (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين
كفروا من النار..) (٢).

(١) كالشهيد محمد باقر الصدر طيب الله ثراه الذي أفادني كثيرا في الموضوع وكالسيد الخوئي
والعلامة محمد علي الطباطبائي والسيد الحكيم وغيرهم.
(٢) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ج ٤ ص ٦٧٣.

فما أوضحه من بيان، وما قرأت في الموضوع كلاما أبلغ منه وبرهانا أدل على الحقيقة منه، فالمسلم يقتنع بأن أعماله هي من محض إرادته واختياره، لأن الله سبحانه أمرنا ولكنه ترك لنا حرية الاختيار وهو قول للإمام " إن الله أمر عباده تخييرا " .

كما أنه سبحانه نهانا وحذرنا عقاب مخالفته فدل كلامه على أن للإنسان حرية التصرف وبإمكانه أن يخالف أوامر الله، وفي هذه الحالة يستوجب العقاب، وهو قول الإمام " ونهاهم تحذيرا " .

وزاد الإمام علي (عليه السلام) توضيحا للمسألة فقال: بأن الله سبحانه لم يعص مغلوبا، ومعنى ذلك بأن الله لو أراد جبر عباده وإرغامهم على شيء، لم يكن بمقدورهم جميعا أن يغلبوه على أمره فدل ذلك على أنه ترك لهم حرية الاختيار في الطاعة والمعصية وهو مصداق لقوله تعالى (قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (١).

ثم بعد ذلك يخاطب الإمام علي ضمير الإنسان ليصل إلى أعماق وجدانه فيأتي بالدليل القاطع على أنه لو كان الإنسان مجبورا على أفعاله، كما يعتقد البعض لكان إرسال الأنبياء وإنزال الكتب ضربا من اللعب والعبث الذي يتنزه الله جل جلاله عنه، لأن دور الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين وإنزال الكتب هو لإصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعطائهم العلاج النافع لأمراضهم النفسية، وتوضيح الطريقة المثلى للحياة السعيدة قال تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) (٢).

ويختتم الإمام علي بيانه بأن الاعتقاد بالجبر هو نفس الاعتقاد (يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا)، وهو كفر توعد الله القائلين به بالنار -

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) سورة الإسراء آية ٩ .

وإذا محصنا قول الشيعة في القضاء والقدر وجدناه قولاً سديداً ورأياً رشيداً، فبينما فرطت طائفة فقالت بالجبر أفرطت أخرى فقالت بالتفويض، جاء أئمة أهل البيت سلام الله عليهم ليصححوا المفاهيم والمعتقدات ويرجعوا بهؤلاء وأولئك، فقالوا: " لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين " (١). وقد ضرب الإمام جعفر الصادق لذلك مثلاً مبسطاً يفهمه كل الناس وعلى قدر عقولهم فقال للسائل عندما سأله: ما معنى قولك لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين؟ أجابه عليه السلام: " ليس مشيك على الأرض كسقوطك عليها " ومعنى ذلك أننا نمشي على الأرض باختيارنا - ولكننا عندما نسقط على الأرض فهو بغير اختيارنا، فمن منا يحب السقوط الذي قد يسبب كسر بعض الأعضاء من جسمنا فنصبح معاقين. فيكون القضاء والقدر أمراً بين أمرين، أي قسم هو من عندنا وباختيارنا ونحن نفعله بمحض إرادتنا. وقسم ثان هو خارج عن إرادتنا ونحن خاضعون له، ولا نقدر على دفعه، فنحاسب على الأول ولا نحاسب على الثاني. والإنسان في هذه الحالة وفي تلك مخير ومسير في نفس الوقت. أ - مخير في أفعاله التي تصدر منه بعد تفكير وروية إذ يمر بمرحلة التخيير والصراع بين الإقدام والإحجام، وينتهي به الأمر إما بالفعل أو الترك، وهذا ما أشار إليه سبحانه بقوله: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) (٢). فالتزكية للنفس والدس لها هما نتيجة اختيار الضمير في كل إنسان - كما أن الفلاح والخيبة هما نتيجة حتمية وعادلة لذلك الاختيار.

(١) عقائد الشيعة في القضاء والقدر.

(٢) سورة الشمس آية ٦ - ١٠.

ب - مسير في كل ما يحيط به من نواميس الكون وحرسته الخاضعة كلها لمشيئة الله سبحانه بكل أجزائها ومركباتها وأجرامها وذراتها، فالإنسان ليس له أن يختار جنسه من ذكورة وأنوثة ولا أن يختار لونه فضلا عن اختيار أبويه ليكون في أحضان أبوين موسرين بدلا من أن يكونوا فقراء، ولا أن يختار حتى طول قامته وشكل جسده.

فهو خاضع لعدة عوامل قاهرة (كالأمراض الوراثية مثلا) ولعدة نواميس طبيعية تعمل لفائدته بدون أن يتكلف فهو ينام عندما يتعب ويستيقظ عندما يرتاح، ويأكل عندما يجوع ويشرب عندما يعطش، ويضحك وينشرح عندما يفرح، ويبكي وينقبض عندما يحزن، وفي داخله معامل ومصانع تصنع الهرمونات والخلايا الحية، والنطف القابلة للتحول، وتبني في نفس الوقت جسمه في توازن منسق عجيب، وهو في كل ذلك غافل لا يدري بأن العناية الإلهية محيطة به في كل لحظة من لحظات حياته بل وحتى بعد مماته! يقول الله عز وجل في هذا المعنى:

(أيحسب الإنسان أن يترك سدى، ألم يك نطفة من مني يمني، ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) (١).

بلى، سبحانه وبحمده ربنا الأعلى أنت الذي خلقت فسويت وأنت الذي قدرت فهديت وأنت الذي أمت ثم أحييت، تباركت وتعاليت، فتعسا وبعدا لمن خالفك ونأى عنك ولم يقدرك حق قدرك.
ولنختم هذا البحث بما قاله الإمام علي بن موسى الرضا وهو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد اشتهر بالعلم في عهد المأمون ولم يبلغ

(١) سورة القيامة آية ٣٦ - ٤٠.

الرابعة عشر من عمره حتى كان أعلم أهل زمانه (١).
سأله سائل عن معنى قول جده الإمام الصادق " لا جبر ولا تفويض بل أمر
بين أمرين " فأجابه الإمام الرضا:
" من زعم أن الله يفعل أفعالنا، ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر،
ومن زعم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه - أي الأئمة - فقد قال
التفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك.
أما معنى الأمر بين الأمرين فهو وجود السبيل إلى إتيان ما أمر الله به، وترك
ما نهى عنه، أي أن الله سبحانه أقدره على فعل الشر وتركه، كما أقدره على فعل
الخير وتركه، وأمره بهذا ونهاه عن ذلك ".
وهذا لعمرى بيان كاف وشاف على مستوى العقول ويفهمه كل الناس من
المثقفين وغير المثقفين.
وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال في حقهم:
" لا تتقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم
منكم " (٢).

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه. ج ٣ ص ٤٢.
(٢) ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٤٨. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٣.
ينابيع المودة ص ٤١ - الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٦٠ كنز العمال ج ١ ص ١٦٨ أسد
الغابة ج ٣ ص ١٣٧ عبقات الأنوار ج ١ ص ١٨٤.

تعليقة على الخلافة

ضمن القضاء والقدر

والطريف في هذا الموضوع أن أهل السنة والجماعة رغم اعتقادهم بالقضاء والقدر الحتمي وأن الله سبحانه هو الذي يسير عباده في أعمالهم وليس لهم الخيرة في شيء، ولكنهم في أمر الخلافة يقولون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وترك الأمر شورى بين الناس ليختاروا لأنفسهم.

والشيعة على العكس تماما، فرغم اعتقادهم بأن الإنسان مخير في أعماله وأن عباد الله يفعلون ما شاؤوا (ضمن مقولة لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين)، إلا أنهم في أمر الخلافة يقولون بأنه لا حق لهم في الاختيار! ويبدو هذا وكأنه تناقض من الطرفين، السنة والشيعة لأول وهلة، ولكن الحقيقة ليست كذلك.

فالسنة عندما يقولون بأن الله سبحانه هو الذي يسير عباده في أعمالهم، يتناقضون مع الواقع إذ أن الله سبحانه (عندهم) هو المخير الفعلي ولكنه يترك لهم الخيار الوهمي إذ أن الذي اختار أبا بكر يوم السقيفة، هو عمر ثم بعض الصحابة، ولكن في الحقيقة هم منفذون لأمر الله الذي جعلهم واسطة ليس إلا، على حسب هذا الزعم.

وأما الشيعة عندما يقولون بأن الله سبحانه خير عباده في أفعالهم، فلا يتناقضون مع قولهم بأن الخلافة هي باختيار الله وحده (وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة) لأن الخلافة كالنبوة ليست هي من أعمال العباد ولا موكولة إليهم، فكما أن الله يصطفي رسوله من بين الناس ويبعثه فيهم فكذلك بالنسبة لخليفة الرسول، وللناس أن يطيعوا أمر الله ولهم أن يعصوه، كما وقع بالفعل في حياة الأنبياء على مر العصور فيكون العباد أحرارا في قبول اختيار الله، فالمؤمن الصالح يقبل ما اختاره الله، والكافر بنعمة ربه يرفض ما اختاره الله له ويتمرد عليه، قال تعالى:

(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى) (١).
ثم أنظر إلى نظرية أهل السنة والجماعة في هذه المسألة بالذات فسوف لن تلقي باللوم على أحد، لأن كل ما وقع ويقع بسبب الخلافة وكل الدماء التي أريقتم والمحارم التي هتكت كل ذلك من الله، حيث عقب بعض من يدعي العلم منهم بقوله تعالى: (ولو شاء ربك ما فعلوه) (٢).
أما نظرية الشيعة فهي تحمل المسؤولية كل من تسبب في الانحراف وكل من عصى أمر الله وكل على قدر وزره ووزر من تبع بدعته إلى يوم القيامة (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) قال تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون) (٣).

(١) سورة طه آية ١٢٣ - ١٢٦.

(٢) سورة الأنعام آية ١١٢.

(٣) سورة الصفات آية ٢٤.

الخمسة

وهو أيضا من المواضيع الذي يختلف فيه الشيعة والسنة وقبل الحكم لهم أو عليهم. لا بد لنا من بحث موجز في موضوع الخمسة: ولنبدأ بالقرآن الكريم. قال تعالى: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن الله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل...) (١).

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

" أمركم بأربع: الإيمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا لله خمس ما غنمتم " (٢).

فالشيعة - امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يخرجون خمس ما حصلوا عليه من أموال طيلة سنتهم، ويفسرون معنى الغنيمة بكل ما يكسبه الإنسان من أرباح بصفة عامة.

أما أهل السنة والجماعة فقد أجمعوا على تخصيص الخمسة بغنائم الحرب

(١) سورة الأنفال آية ٤١.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٤.

فقط، وفسروا قوله سبحانه وتعالى: (واعلموا أن ما غنمتم من شيء (يعني ما حصلتم خلال الحرب).

هذه خلاصة أقوال الفريقين في الخمس، وقد كتب علماء الفريقين عدة مقالات في المسألة.

ولست أدري كيف أقنع نفسي أو غيري بآراء أهل السنة التي اعتمدت على ما أظن أقوال الحكام من بني أمية وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان الذي استأثر بأموال المسلمين وخص نفسه وحاشيته بكل صفراء وبيضاء.

فلا غرابة في تأويلهم لآية الخمس على أنها خاصة بدار الحرب لأن سياق الآية الكريمة جاء ضمن آيات الحرب والقتال، وكم لهم من تأويل للآيات على سياق ما قبلها أو ما بعدها.

فهم يؤولون مثلا آية إذهاب الرجس والتطهير على أنها خاصة بنساء النبي لأن ما قبلها وما بعدها يتكلم عن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كما يؤولون قوله تعالى: (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) على أنها خاصة في أهل الكتاب.

وقصة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه مع معاوية وعثمان بن عفان ونفيه إلى الربذة من أجل ذلك مشهورة. إذ أنه عاب عليهم كنزهم الذهب والفضة وكان يحتج بهذه الآية عليهم - ولكن عثمان استشار كعب الأحماس فقال له بأنها

خاصة بأهل الكتاب، فشتمه أبو ذر الغفاري وقال له: ثكلتك أمك يا ابن

اليهودية أو تعلمنا ديننا؟ فغضب لذلك عثمان، ثم نفاه إلى الربذة بعدما تعاضم انزعاجه منه فمات هناك وحيدا طريدا لم تجد ابنته حتى من يغسله ويكفنه.

وأهل السنة والجماعة لهم في تأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فن معروف وفقه مشهور وذلك اقتداء بما تأوله الخلفاء الأولون والصحابة المشهورون

في خصوص النصوص الصريحة من الكتاب والسنة (١). ولو أردنا استقصاء ذلك لاستوجب كتابا خاصا، ويكفي الباحث أن يرجع إلى كتاب " النص والاجتهاد " ليعرف كيف يتلاعب المتأولون بأحكام الله سبحانه.

وأنا كباحث ليس لي أن أتأول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حسب ما أهوى أو حسب ما يميله علي المذهب الذي أميل إليه. ولكن ما حيلتي إذا كان أهل السنة والجماعة هم الذين أخرجوا في صحاحهم فرض الخمس في غير دار الحرب، ونقضوا بذلك تأويلهم ومذهبهم. فقد جاء في صحيح البخاري في باب " في الركاز الخمس " وقال مالك وابن إدريس الركاز دفن الجاهلية في قليله وكثيره الخمس، وليس المعدن بركاز وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " في المعدن جبار وفي الركاز الخمس " (٢) وجاء في باب ما يستخرج من البحر: وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس العنبر بركاز هو شئ دسره البحر وقال الحسن في العنبر واللؤلؤ الخمس فإنما جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الركاز الخمس ليس في الذي يصاب في الماء (٣).

والباحث يفهم من خلال هذه الأحاديث بأن مفهوم الغنيمة التي أوجب الله فيها الخمس لا تختص بدار الحرب لأن الركاز الذي هو كنز يستخرج من باطن الأرض وهو ملك لمن استخرجه ولكن يجب عليه دفع الخمس منه لأنه غنيمة. كما أن الذي يستخرج العنبر واللؤلؤ من البحر يجب عليه إخراج الخمس لأنه

(١) جمع الإمام شرف الدين في كتابه النص والاجتهاد أكثر من مائة مورد تأولوا فيها النصوص الصريحة فعلى الباحثين قراءة هذا الكتاب لأنه ما جمع إلا ما أخرجوه علماء السنة معترفين بصحته.

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٣٧ (باب في الركاز الخمس).

(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٣٦ (باب ما يستخرج من البحر).

غنيمة.

وبما أخرجه البخاري في صحيحه يتبين لنا أن الخمس لا يختص بغنائم الحرب.

فرأي الشيعة يبقى دائما مصداق الحقيقة التي لا تناقض فيها ولا اختلاف وذلك لأنهم يرجعون في كل أحكامهم وعقائدهم إلى أئمة الهدى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين هم عدل الكتاب لا يضل من تمسك بهم ويأمن من يلجأ إليهم.

على أنه لا يمكن لنا أن نعتمد على الحروب لإقامة دولة الإسلام، وذلك يخالف سماحة الإسلام ودعوته للسلم فالإسلام ليس دولة استعمارية تقوم على استغلال الشعوب ونهب خيراتها وهو ما يحاول الغربيون إلصاقه بنا عندما يتكلمون عن نبي الإسلام بكل ازدراء ويقولون بأنه توسع بالقوة والقهر وبالسيف لاستغلال الشعوب.

وبما أن المال هو عصب الحياة، وخصوصا إذا كانت نظرية الاقتصاد الإسلامي تقتضي إيجاد ما يسمى اليوم بالضمان الاجتماعي لتضمن للمعوزين والعاجزين معاشهم بكرامة وشهامة.

فلا يمكن لدولة الإسلام أن تعتمد على ما يخرجها أهل السنة والجماعة من الزكاة وهي تمثل في أحسن الأحوال اثنين ونصف بالمائة وهي نسبة ضعيفة لا تقوم بحاجة الدولة من إعداد القوة ومن بناء المدارس والمستشفيات وتعميد الطرقات فضلا عن أن تضمن لكل فرد دخلا يكفي معاشه ويضمن حياته، كما لا يمكن لدولة الإسلام أن تعتمد على الحروب الدامية وقتال الناس لتضمن بقاءها وتطور مؤسساتها على حساب المقتولين الذين لم يرغبوا في الإسلام.

فأئمة أهل البيت سلام الله عليهم كانوا أعلم بمقاصد القرآن، كيف لا وهم ترجمانه، وكانوا يرسمون للدولة الإسلامية معالم الاقتصاد، ومعالم الاجتماع، لو كان لهم رأي يطاع.

ولكن للأسف الشديد كانت السلطة والقيادة في يد غيرهم الذين اغتصبوا الخلافة بالقوة والقهر وبقتل الصلحاء من الصحابة واغتيالهم كما فعل ذلك معاوية، وبدلوا أحكام الله بما اقتضته مصالحهم السياسية والدينية فضلوا وأضلوا وتركوا هذه الأمة تحت الحضيض لم تقم لها قائمة حتى يومنا هذا. فبقيت تعاليم أئمة أهل البيت مجرد أفكار ونظريات يؤمن بها الشيعة ولم يجدوا لتطبيقها من سبيل إذ أنهم كانوا مطاردين في مشارق الأرض ومغاربها، وقد تتبعهم الأمويون والعباسيون عبر العصور.

وما أن انقرضت الدولتان وأوجد الشيعة مجتمعاً عملوا بأداء الخمس الذي كانوا يؤدونه للأئمة سلام الله عليهم خفية، وهم الآن يؤدونه إلى المرجع الذي يقلدونه، نيابة عن الإمام المهدي عليه السلام، وهؤلاء يقومون بصرفه في أبوابه المشروعة، من تأسيس حوزات علمية، ومبرات خيرية ومكتبات عمومية، ودور أيتام وغير ذلك من أعمال جليلة كدفع رواتب شهرية لطلبة العلوم الدينية والعلمية وغيرها.

ويكفي أن نستنتج من هذا أن علماء الشيعة مستقلون عن السلطة الحاكمة، لأن الخمس يفي بحاجاتهم ويقومون بإعطاء كل ذي حق حقه. أما علماء أهل السنة والجماعة فهم عالة على الحكام وموظفون لدى السلطة الحاكمة في البلاد، وللحاكم أن يقرب من شاء منهم أو يباعد حسب تعاملهم معه وإفائهم لمصالحه. فأصبح العالم بذلك أقرب إلى الحاكم منه إلى مجرد عالم!، وهو بعض الآثار الوخيمة التي ترتبت على ترك العمل بفريضة الخمس بمعناها الذي فهمه أهل البيت عليهم السلام.

التقليد

يقول الشيعة: أما فروع الدين وهي أحكام الشريعة المتعلقة بالأعمال العبادية: كالصلاة والصيام، والزكاة والحج فالواجب في أحكامها أحد الأمور الثلاثة:

- أ - أن يجتهد وينظر الإنسان في أدلة الأحكام إذا كان أهلاً لذلك.
 - ب - أو أن يحتاط في أعماله إذا كان يسعه الاحتياط.
 - ت - أو أن يقلد المجتهد الجامع للشرائط، بأن يكون من يقلده حياً عاقلاً، عادلاً، عالماً، صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه.
- والاجتهاد في الأحكام الفرعية واجب كفائي على جميع المسلمين، فإذا نهض به من اجتمعت فيه الشروط سقط عن باقي المسلمين، فيجوز لهم تقليده والرجوع إليه في فروع دينهم، لأن رتبة الاجتهاد ليست من الأمور الميسورة ولا هي في متناول الجميع - بل تحتاج إلى كثير من الوقت والعلوم والمعارف والاطلاع، وهذا لا يتهيأ إلا لمن جد وكد وأمضى عمره في البحث والتعلم، ولا ينال الاجتهاد إلا ذو حظ عظيم.
- قال صلى الله عليه وآله وسلم:

" من أراد الله به خيرا فقهه في الدين ".
وقول الشيعة هذا لا يختلف عن قول أهل السنة والجماعة، إلا في شرط حياة المجتهد.

غير أن الخلاف الواضح بينهم هو في العمل بالتقليد إذ أن الشيعة يعتقدون بأن المجتهد الجامع للشروط المذكورة، هو نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته فهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام.

فليس المجتهد الجامع للشروط عند الشيعة مرجعا يرجع إليه في الفتيا فحسب، بل أن له الولاية العامة على مقلديه فيرجعون إليه في الأحكام والفصل بينهم في ما اختلفوا فيه من القضاء، ويعطونه الزكاة وخمس أموالهم يتصرف بها كما تفرضه عليه الشريعة نيابة عن إمام الزمان (عليه السلام).

أما عند أهل السنة والجماعة فليس للمجتهد هذه المرتبة، ولكنهم يرجعون في المسائل الفقهية لأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب، وهم أبو حنيفة ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والمعاصرون من أهل السنة قد لا يلتزمون بتقليد واحد من هؤلاء على سبيل التعيين، فقد يأخذون بعض المسائل من أحدهم والبعض الآخر من غيره حسبما تقتضيه حاجتهم كما فعل ذلك السيد سابق الذي ألف فقها مأخوذا من الأربعة.

لأن أهل السنة والجماعة يعتقدون بأن الرحمة في اختلافهم فللمالكي مثلا أن يأخذ برأي أبي حنيفة إذا وجد حلا لمشكلته قد لا يجده عند مالك. وأضرب لذلك مثلا حتى يتبين للقارئ فيفهم المقصود كان عندنا في تونس (في وقت المحاكم القضائية) فتاة بالغة أحبت رجلا وأرادت الزواج منه، ولكن أباهما رفض أن يزوجها من هذا الشاب لسبب " الله أعلم به " فهربت الفتاة من بيت أبيها وتزوجت ذلك الشاب بدون إذن أبيها، ورفع الأب شكوى ضد الزواج.

ولما حضرت الفتاة وزوجها لدى القاضي وسألها عن السبب في الهروب من البيت والزواج بدون إذن وليها قالت: سيدي، أنا عمري خمسة وعشرون عاما وأحببت الزواج من هذا الرجل على سنة الله ورسوله، ولأن أبي يريد أن يزوجني بمن أكره، فتزوجت على رأي أبي حنيفة الذي يعطيني حق الزواج بمن أحب لأنني بالغة.

يقول القاضي رحمة الله عليه (روى لي هو بنفسه هذه القصة) " فجننا في المسألة فوجدناها على حق، وأعتقد بأن أحد العلماء المطلعين هو الذي لقنها ماذا تقول " يقول هذا القاضي فرددت دعوة الأب وأمضيت الزواج فخرج الأب غاضبا يضرب يديه على بعضها ويقول: " حنفت الكلبة " أي أن ابنته تركت مالك واتبعت أبا حنيفة، وكلمة الكلبة فيها إهانة لابنته التي قال فيما بعد بأنه يتبرأ منها. والمسألة هي اختلاف في اجتهاد المذاهب فبينما يرى مالك أن الفتاة البكر لا يصح زواجها إلا بإذن ولي الأمر وحتى إذا كانت ثيبا فهو شريكها في الزواج فلا تنفرد به وحدها ولا بد من موافقته، يرى أبو حنيفة: أن البالغة بكرا كانت أم ثيبا، لها أن تنفرد باختيار الزوج وأن تنشئ العقد بنفسها.

فهذه المسألة الفقهية فرقت بين الأب وابنته حتى تبرأ منها وكثيرا ما كان الآباء يتبرؤون من بناتهم لعدة أسباب منها الهروب من البيت مع رجل تحب الزواج منه ولهذا التبرئ عواقب وخيمة إذ أن الأب يلجأ في أغلب الأحيان إلى حرمان ابنته من الميراث وتبقى الفتاة عدوة للإخوة الذين يتبرؤون بدورهم من أختهم التي جلبت لهم العار.

فليست القضية إذن كما يقول أهل السنة بأن في اختلافهم رحمة - أو على الأقل ليست الرحمة في كل القضايا الخلافية.

ويبقى بعد هذا خلاف آخر بينهما ألا وهو تقليد الميت، فأهل السنة يقلدون أئمة ماتوا منذ قرون، وأغلق عندهم باب الاجتهاد من ذلك العهد، وكل من جاء بعدهم من العلماء اقتصروا على الشروح والمدونات شعرا ونثرا لفقهاء المذاهب الأربعة، وقد تعالت أصوات المنادين من بعض المعاصرين بفتح الباب

والرجوع للاجتهاد لما تقتضيه مصلحة الزمان ولما استجد من أمور كانت مجهولة في زمن الأئمة الأربعة.

أما الشيعة فلا يجوزون تقليد الميت ويرجعون في كل أحكامهم إلى المجتهد الحي الجامع للشروط التي ذكرناها سابقا وذلك بعد غيبة الإمام المعصوم والذي كلفهم بالرجوع إلى العلماء العدول في زمن غيبته وحتى ظهوره.

فالسني المالكي مثلا يقول: هذا حلال وهذا حرام على قول الإمام مالك: وهو ميت منذ أكثر من اثني عشر قرنا، وكذلك يقول السني الحنفي والشافعي والحنبلي لأن هؤلاء الأئمة عاشوا في عصر واحد وتلمذ بعضهم على بعض. كما لا يعتقد السني في عصمة هؤلاء الأئمة الذين لم يدعوا لأنفسهم بل جوزوا عليهم الخطأ والصواب ويقولون بأنهم مأجورون في كل اجتهاداتهم فلهم أجران إن أصابوا ولهم أجر واحد إذا أخطأوا.

والشيعي الإمامي مثلا عنده مرحلتان في التقليد:

المرحلة الأولى: وهي زمن الأئمة الاثني عشر وقد امتدت هذه المرحلة ثلاثة قرون ونصف تقريبا، وفيها كان الشيعي يقلد الإمام المعصوم الذي لا يقول برأيه واجتهاده، وإنما بعلم وروايات توارثها عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول في المسألة: روى أبي عن جدي عن جبريل عن الله عز وجل. المرحلة الثانية: وهي زمن الغيبة التي امتدت حتى اليوم فالشيعي يقول هذا حلال وهذا حرام على رأي السيد الخوئي أو السيد الخميني مثلا. وكلاهما حي ورأيهما لا يتعدى الاجتهاد في استنباط الأحكام من نصوص القرآن والسنة على روايات أئمة أهل البيت أولا ثم الصحابة العدول ثانيا وهم عندما يبحثون في روايات أئمة أهل البيت بالدرجة الأولى ذلك لأن هؤلاء الأئمة يرفضون استعمال الرأي في الشريعة ويقولون: ما من شيء إلا ولله فيه حكم، فإذا ما فقدنا حكما في مسألة ما فليس ذلك يعني أن الله سبحانه أهمله، ولكن قصورنا وجهلنا لم يصلنا بنا إلى معرفة الحكم - فالجهل بالشيء وعدم معرفته ليس دليلا على عدمه -

والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (وما فرطنا في الكتاب من شيء) (١).

(١) سورة الأنعام آية ٣٨.

العقائد التي يشنع بها
أهل السنة على الشيعة

ومن العقائد التي يشنع بها أهل السنة على الشيعة ما هو من محض التعب
المقيت الذي أولده الأمويون والعباسيون في صدر الإسلام، بما كانوا يحقدون على
الإمام علي ويغضونه حتى لعنوه على المنابر أربعين عاما.
فلا غرابة أن يشتموا كل من تشيع له ويرموه بكل عار وشنار حتى وصل
الأمر بهم أن يقال لأحدهم يهودي أحب إليه من أن يقال له شيعي. ودأب
أتباعهم على ذلك في كل عصر ومصر وأصبح الشيعي مسبة عند أهل السنة
والجماعة لأنه يخالفهم في معتقداتهم وخارج عن جماعتهم، فهم يقذفونه بما شاؤوا
ويرمونه بكل التهم وينزونه بشتى الألقاب، ويخالفونه في كل أقواله وأفعاله.
ألا ترى بأن بعض علماء أهل السنة المشهورين يقولون: " بأن لبس الخاتم
في اليد اليمنى هو سنة نبوية، ولكن يجب تركها لأن الشيعة اتخذوا ذلك شعارا
لهم " (١).

(١) مصنف " الهداية " .

كما أخرج الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار بأن أول من تختم باليسار خلاف السنة النبوية
هو معاوية بن أبي سفيان.

وهذا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي يقول: إن تسطيح القبور هو المشروع في الدين لكن لما جعلته الرافضة شعارا لهم عدلنا عنه إلى التسليم. وهذا ابن تيمية الموصوف بالمصلح المجدد عند بعضهم يقول: ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعارا لهم. أي للشيعة - فإنه وإن لم يكن الترك واجبا لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم فلا يتميز السني من الرافضي، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب (١).

وقال الحافظ العراقي عندما تساءل عن كيفية إسدال العمامة: لم أر ما يدل على تعيين الأيمن إلا في حديث ضعيف عند الطبراني، وبتقدير نبوته فعله كان يرخيها من الجانب الأيمن ثم يردّها إلى الجانب الأيسر كما يفعله بعضهم، إلا أنه صار شعارا للإمامية فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم (٢).

سبحان الله! ولا حول ولا قوة إلا بالله! أنظر أخي القارئ إلى هذا التعصب الأعمى كيف يجيز لهؤلاء " العلماء " أن يخالفوا سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن الشيعة تمسكت بتلك السنين حتى صارت شعارا لهم، ثم هم لا يتخرجون من الاعتراف بذلك صراحة، وأنا أقول الحمد لله الذي أظهر الحق لذي عينين ولكل مخلص يبحث عن الحقيقة، الحمد لله الذي أظهر لنا بأن الشيعة هم الذين يتبعون سنة رسول الله وذلك بشهادتكم أنتم! كما شهدتم على أنفسكم بأنكم تركتم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمدا لتخالفوا بذلك أئمة أهل البيت وشيعتهم المخلصين واتبعتم سنة معاوية بن أبي سفيان كما شهد بذلك الإمام الزمخشري عندما أثبت أن أول من تختم باليسار خلاف السنة النبوية هو معاوية بن أبي سفيان (٣).

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ١٤٣ (التشبه بالروافض).

(٢) شرح المواهب للزرقاني ج ٥ ص ١٣.

(٣) الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار.

واتبعتم سنة عمر في بدعته للتراويح خلافا للسنة النبوية التي أمرت المسلمين بصلاة النافلة في بيوتهم فرادى لا جماعة كما أثبت ذلك البخاري في صحيحه (١) وكما اعترف عمر نفسه بأنها بدعة (٢) ابتدعها مع أنه لم يصلها لأنه لا يؤمن بها، فقد جاء في البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر نعم البدعة هذه.. (٣).

ومن المستغرب عدها نعمة بعد نهي الرسول عنها؟ وذلك عندما رفعوا أصواتهم وحصبوا بابه ليصلي بهم نافلة رمضان، فخرج إليهم مغضبا فقال لهم صلى الله عليه وآله وسلم:
" ما زال صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة " (٤).
كما اتبعتم سنة عثمان بن عفان وهي إتمام صلاة السفر خلافا لسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي صلاها قصرا (٥).
ولو أردت أن أحصي ما خالفتم به سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاستوجب ذلك كتابا خاصا ولكن تكفي شهادتكم فيما أقررتم به على أنفسكم - وتكفي شهادتكم أيضا بإقراركم بأن الشيعة الروافض هم الذين اتخذوا سنة النبي شعارا لهم.

-
- (١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٩٩ (باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل).
(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٥٢ (كتاب صلاة التراويح).
(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٥٢ (كتاب صلاة التراويح).
(٤) صحيح البخاري: ج ٧ ص ٩٩ (باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل).
(٥) صحيح البخاري ج ٢ ص ٣٥ وكذلك تأولت عائشة فصلت أربعا ص ٣٦.

أبعد هذا يبقى دليل على قول الجهلة الذين يدعون بأن الشيعة اتبعوا علي بن أبي طالب، أما أهل السنة فإنهم اتبعوا رسول الله؟ أيريد هؤلاء أن يثبتوا بأن عليا خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابتدع دينا جديدا؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم، فعلي هو محض السنة النبوية وهو مفسرها والقائم عليها وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

" علي مني بمنزلة من ربي " (١).

أي كما أن محمد هو الوحيد الذي يبلغ عن ربه، فعلي هو الوحيد الذي يبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن ذنب علي هو أنه لم يعترف بخلافة من قبله وذنوب شيعته أنهم اتبعوه في ذلك فرفضوا أن ينضوا تحت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ولذلك سموهم " الروافض ".

فإذا أنكر هؤلاء السنة على معتقدات الشيعة وأقوالهم فهو لسببين، أولهما العداء الذي أوجج ناره حكام بين أمية بالكاذب والدعايات واختلاف الروايات المزورة.

وثانيهما: لأن معتقدات الشيعة تتنافى وما ذهبوا إليه من تأييد الخلفاء وتصحيح أخطائهم واجتهاداتهم مقابل النصوص خصوصا حكام بني أمية وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان.

ومن هنا يجد الباحث المتتبع أن الخلاف بين الشيعة وأهل السنة نشأ يوم السقيفة، وتفاقم، وكل خلاف جاء بعده فهو عيال عليه، وأكبر دليل على ذلك أن العقائد التي يشنع أهل السنة على إخوانهم من الشيعة، ترتبط ارتباطا وثيقا بموضوع الخلافة وتتفرع منه، كعدد الأئمة والنص على الإمام، والعصمة، وعلم الأئمة، والبداء، والتقية والمهدي المنتظر وغير ذلك.

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٠٦ - ذخائر العقبى ص ٦٤.
الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٥ - إحقاق الحق ج ٧ ص ٢١٧.

ونحن إذا بحثنا في أقوال الطرفين مجردين عن العاطفة فسوف لا نجد بعدا شاسعا بين معتقداتهم، ولا نجد مبررا لهذا التهويل وهذا التشنيع، لأنك عندما تقرأ كتاب السنة الذي يشتمون الشيعة، يخيل إليك بأن الشيعة ناقضوا الإسلام وخالفوه في مبادئه وتشريعه، وابتدعوا دينا آخر. بينما يجد الباحث المنصف في كل عقائد الشيعة أصلا ثابتا في القرآن والسنة وحتى في كتب من يخالفهم في تلك العقائد ويشنع بما عليهم. ثم ليس هناك في تلك العقائد ما يخالف العقل أو النقل أو الأخلاق - وليتبين لك أيها القارئ اللبيب صحة ما أدعيه سأستعرض معك تلك العقائد.

العصمة

يقول الشيعة: ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً.

كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامين عليه حالهم في ذلك حال النبي والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق (١).

نعم هذا كما نرى هو رأي الشيعة في موضوع العصمة فهل فيه ما ينافي القرآن والسنة؟ أو ما يقول العقل باستحالته؟ أو ما يشين الإسلام ويسئ إليه، أو ما ينقص قدر النبي أو الإمام؟

حاشا وكلا، لم نجد في هذا القول إلا التأييد لكتاب الله وسنة نبيه، وما يتماشى مع العقل السليم ولا يناقضه، وما يرفع من قيمة النبي والإمام ويشرفه. ولنبدأ بحثنا في استقراء القرآن الكريم.

(١) عقائد الإمامية ص ٦٧ العقيدة رقم ٢٤.

قال تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا..) (١).

فإذا كان إذهب الرجس الذي يشمل كل الخبائث، والتطهير من كل الذنوب، لا يفيد العصمة، فما هو المعنى إذا؟؟ يقول الله تعالى:

(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) (٢).

فإذا كان المؤمن التقي يعصمه الله من مكاييد الشيطان إذا حاول استفزازه وإضلاله، فيتذكر يبصر الحق فيتبعه، فما بالك بمن اصطفاهم الله سبحانه وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا؟ ويقول تعالى:

(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) (٣) والذي يصطفيه الله سبحانه يكون بلا شك معصوما من الخطأ وهذه الآية بالذات هي التي احتج بها الإمام الرضا من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على العلماء الذين جمعهم الخليفة العباسي المأمون ابن هارون الرشيد وأثبت لهم بأنهم (أي أئمة أهل البيت) هم المقصودون بهذه الآية وبأن الله اصطفاهم وأورثهم علم الكتاب، واعترفوا له بذلك (٤).

هذه بعض الأمثلة مما جاء في القرآن الكريم وهناك آيات أخرى تفيد العصمة للأئمة كقوله (أئمة يهدون بأمرنا) غيرها ولكن نكتفي بهذا القدر روما للاختصار دائما.

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠١.

(٣) سورة فاطر آية ٣٢.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٤٢.

وبعد القرآن الكريم فإليك ما ورد في السنة النبوية
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
" يا أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي
أهل بيتي " (١).

وهو كما ترى صريح بأن الأئمة من أهل البيت معصومون أولاً لأن كتاب
الله معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو كلام الله، ومن شك
فيه كفر.

ثانياً: لأن المتمسك بهما " الكتاب والعتره " يأمن من الضلالة فدل هذا
الحديث على أن الكتاب والعتره لا يجوز فيهما الخطأ.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
" إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف
عنها غرق " (٢).

وهو كما ترى صريح في أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام
معصومون، عن الخطأ ولذلك يأمن وينجو كل من ركب سفينتهم وكل من تأخر
عن ركوب سفينتهم غرق في الضلالة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
" من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي، وهي

(١) صحيح الترمذي ج ٥ ص ٣٢٨.

الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٤٨.

الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥ ص ١٨٩.

(٢) مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٤٣.

كنز العمال ج ٥ ص ٩٥.

الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٤.

جنة الخلد، فليتول عليا وذريته من بعده فإنهم لن يخرجوكم باب هدى ولن يدخلوكم باب ضلالة " (١).

وهو كما ترى صريح في أن الأئمة من أهل البيت وهم علي وذريته معصومون عن الخطأ لأنهم لن يدخلوا الناس الذين يتبعوهم في باب ضلالة، ومن البديهي أن الذي يجوز عليه الخطأ لا يمكن له هداية الناس. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

" أنا المنذر وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي " (٢). وهذا الحديث هو الآخر صريح في عصمة الإمام كما لا يخفى على أولي الألباب.

والإمام علي نفسه أثبت العصمة لنفسه وللأئمة من ولده عندما قال: " فأين تذهبون وأنى تؤفكون؟ والأعلام قائمة والآيات واضحة، والمنار منصوبة فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش، أيها الناس خذوها من خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم إنه يموت

(١) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٥. ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ١٠٨. الإصابة لابن حجر العسقلاني - الطبراني في الجامع الكبير. تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٩٩.

مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٨ حلية الأولياء ج ٤ ص ٣٤٩ - إحقاق الحق ج ٥ ص ١٠٨.

(٢) تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٠٨ تفسير الرازي ج ٥ ص ٢٧١ تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٢.

تفسير الشوكاني ج ٣ ص ٧٠ تفسير السيوطي الدر المنثور ج ٤ ص ٤٥ نور الأبصار ص ٧١.

مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٩ تفسير ابن الجوزي ج ٤ ص ٣٠٧. شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٩٣ الفصول المهمة - ينابيع المودة.

من مات منا وليس بميت، ويلى من بلي منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون، واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان... " (١).

وبعد هذا البيان من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الإمام علي الدالة كلها على عصمتهم سلام الله عليهم.

هل يرفض العقل عصمة من يصطفيه الله سبحانه للهداية؟ والجواب: كلا لا يرفض ذلك، بالعكس، العقل يقول: بوجود تلك العصمة، لأن من توكل إليه مهمة القيادة وهداية البشرية لا يمكن أن يكون إنسانا عاديا يعتريه الخطأ والنسيان وتثقل ظهره الذنوب والأوزار فيكون عرضة لانتقاص الناس ونقدتهم. بل العقل يفرض أن يكون أعلم الناس في زمانه وأعدلهم وأشجعهم وأتقاهم، وهي صفات ترفع من شأن القائد تعظمه في أعين الناس وتجلب له احترام الجميع وتقديرهم وبالتالي طاعتهم له بدون تحفظ ولا تملق. وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا كل هذا التشنيع والتهويل على من يعتقد بذلك؟

ويخيل إليك وأنت تسمع وتقرأ انتقاد أهل السنة على موضوع العصمة بأن الشيعة، هم الذين يقلدون وسام العصمة لمن أحبوا، أو أن القائل بالعصمة يقول منكرا وكفرا، فلا هذا ولا ذاك، إنما العصمة عند الشيعة هي أن يكون المعصوم محاطا بعناية إلهية ورعاية ربانية فلا يتمكن الشيطان من إغوائه، ولا تتمكن النفس الأمارة بالسوء من التغلب على عقله فتجره للمعصية وهذا الأمر لم

(١) نهج البلاغة للإمام علي ج ١ ص ١٥٥.

وقد علق الشيخ محمد عبده في شرحه لهذه الخطبة بقوله: إنه يموت الميت من أئمة أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت. لبقاء روحه ساطعة النور في عالم الظهور.

يحرم الله منه عباده المتقين كما تقدم في آية (الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون). وهذه العصمة الموقوتة لعباد الله في حالة معينة، قد تزول لفقد سببها ألا وهي التقوى، فالعبد إذا كان بعيداً عن تقوى الله لا يعصمه الله، أما الإمام الذي اصطفاه الله سبحانه فلا يحيد ولا يتزحزح عن التقوى وخشية الله سبحانه وتعالى.

وقد جاء في القرآن الحكيم حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) (٢).

ولأن سيدنا يوسف لم يهم بالزنا كما فسره بعض المفسرين فحاشا أنبياء الله من هذا الفعل القبيح، ولكنه هم بدفعها وضربها إذا اقتضت الحال ولكن الله سبحانه عصمه من ارتكاب مثل هذا الخطأ لأنه لو فعله لكان سبباً في اتهامه بالفاحشة وتكون حجتها قوية ضده فيلحقه منهم عند ذلك السوء.

(١) سورة يوسف آية ٢٤.

عدد الأئمة (الاثني عشر)
يقول الشيعة بأن عدد الأئمة المعصومين بعد النبي صلى الله عليه وآله
وسلم هو اثنا عشر إماماً لا يزيدون ولا ينقصون، وقد ذكرهم رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بأسمائهم وعددهم (١) وهم:

- ١ - الإمام علي بن أبي طالب.
- ٢ - الإمام الحسن بن علي.
- ٣ - الإمام الحسين بن علي.
- ٤ - الإمام علي بن الحسين (زين العابدين).
- ٥ - الإمام محمد بن علي (الباقر).
- ٦ - الإمام جعفر بن محمد (الصادق).
- ٧ - الإمام موسى بن جعفر (الكاظم).
- ٨ - الإمام علي بن موسى (الرضا).
- ٩ - الإمام محمد بن علي (الجواد).
- ١٠ - الإمام علي بن محمد (الهادي).

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٩٩ الجزء الثالث.

١١ - الإمام الحسن بن علي (العسكري).
١٢ - الإمام محمد بن الحسن (المهدي المنتظر).
فهؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر الذين تقول الشيعة بعصمتهم، حتى لا ينطلي
المكر على بعض المسلمين.
فالشيعة لا يعترفون قديما وحديثا بالعصمة إلا لهؤلاء الأئمة الذين سماهم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يولدوا بعد، وقد أخرج بعض علماء
السنة أسماءهم كما مر علينا وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث الأئمة
بعددهم وهم اثنا عشر كلهم من قريش (١).
وهذه الأحاديث لا تصح ولا تستقيم إلا إذا فسرناها على أئمة أهل البيت
الذين تقول بهم الشيعة الإمامية وأهل السنة والجماعة هم المطالبون بحل هذا
اللغز إذ أن عدد الأئمة الاثني عشر الذي أخرجوه في صحاحهم بقي حتى الآن
لغزا لا يجدون له جوابا.

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٢٧.
صحيح مسلم ج ٦ ص ٣.

علم الأئمة
ومما يشنع به أهل السنة والجماعة على الشيعة قولهم: بأن الأئمة من أهل
البيت سلام الله عليهم قد خصهم الله سبحانه بعلم لم يشاركهم فيه أحد من
الناس، ومن أن الإمام يكون أعلم أهل زمانه فلا يمكن أن يسأله أحد فيعجز عن
الجواب!

فهل لهذا الادعاء من دليل؟
ولنبداً كما هي عادتنا في كل بحث بالقرآن الكريم.
يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:
(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) (١) فالآية تدل دلالة
واضحة بأن الله سبحانه اصطفى عباده من بين الناس وأورثهم علم الكتاب،
فهل لنا أن نعرف هؤلاء العباد المصطفين؟
ذكرنا في ما تقدم بأن الإمام الثامن من أئمة أهل البيت علي بن موسى
الرضا استدل بنزول هذه الآية فيهم، وذلك لما جمع له المأمون أربعين قاضياً من

(١) سورة فاطر آية ٣٢.

مشاهير القضاة، وأعد له كل واحد منهم أربعين مسألة، فأجاب عليها وأفحمهم وأقروا له بالأعلمية (١).

وإذا كان هذا الإمام الثامن ولما يبلغ من العمر أربعة عشر عاما عندما وقعت هذه المحاورة بينه وبين الفقهاء الذين أقروا له بالأعلمية فكيف يستغرب بعدها قول الشيعة بأعلميتهم ما دام أن علماء السنة وأئمتهم يعترفون لهم بذلك. أما إذا أردنا تفسير القرآن بالقرآن فسوف نجد العديد من الآيات ترمي إلى معنى واحد وتبين بأنه سبحانه ولحكمة بالغة اختص الأئمة من أهل البيت النبوي بعلم من لدنه موهوب حتى يكونوا أئمة الهدى ومصايح الدجى. قال تعالى: (يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب) (٢).

وقال أيضا: (فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) (٣). أقسم سبحانه في هذه الآية بقسم عظيم بأن القرآن الكريم له أسرار ومعان باطنية مكنونة، لا يدرك معانيها وحقائقها إلا المطهرون، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. دلت الآية أيضا على أن للقرآن باطنا اختص الله سبحانه به أئمة أهل البيت ولا يمكن لغيرهم معرفتها إلا عن طريقهم. ولذلك أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الحقيقة فقال: " لا تتقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٤٢.

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٩.

(٣) سورة الواقعة آية ٧٥ - ٧٩.

أعلم منكم " (١).
وكما قال الإمام علي نفسه:
" أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا أن رفعنا
الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطي الهدى
ويستجلى العمى.... إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم
لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم " (٢).
وقال تعالى: (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (٣) وهذه الآية
أيضا نزلت في أهل البيت (عليهم السلام) (٤).
وتفيد بأن الأمة لا بد لها بعد فقد نبيها أن ترجع إلى الأئمة من أهل البيت
لمعرفة الحقائق، وقد رجع الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى الإمام علي بن أبي
طالب ليبين لهم ما أشكل عليهم، كما رجع الناس على مر السنين إلى الأئمة من
أهل البيت لمعرفة الحلال والحرام ولينهلوا من معارفهم وعلومهم وأخلاقهم.
وإذا كان أبو حنيفة يقول: لولا الستتان لهلك النعمان يقصد بذلك العامين
الذين قضاهما في التعلم من الإمام جعفر الصادق.
وإذا كان الإمام مالك بن أنس يقول: ما رأت عين، ولا سمعت أذن،
ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلا وعلما وعبادة وورعا (٥).

-
- (١) الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ١٤٨ - الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٦٠.
كنز العمال ج ١ ص ١٦٨ أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص ١٣٧.
(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٤٣ شرح محمد عبده الخطبة رقم ١٤٣.
(٣) سورة النحل آية ٤٣ وسورة الأنبياء آية ٧.
(٤) تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٣٤ تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٠ تفسير القرطبي ج ١١
ص ٢٧٢ شواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣٣٤ ينابيع المودة لإحقاق الحق للتستري
ج ٣ ص ٤٨٢.
(٥) كتاب مناقب آل أبي طالب في أحوال الإمام الصادق.

إذا كان الأمر كذلك باعتراف أئمة أهل السنة والجماعة فلماذا كل هذا التشنيع وهذا الاستنكار بعد هذه الأدلة وبعدها أثبت تاريخ المسلمين كافة بأن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا أعلم أهل زمانهم، فأبي غرابة في أن يخص الله سبحانه وتعالى أوليائه "الذين اصطفاهم" بالحكمة والعلم اللدني ويجعلهم قدوة المؤمنين وأئمة المسلمين.

ولو تتبع المسلمون أدلة بعضهم بعضا، لاقتنعوا بقول الله ورسوله، ولكانوا أمة واحدة يشد بعضها بعضا، ولم يكن هناك اختلاف ولا مذاهب متعددة!

ولكن لا بد من كل ذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا (ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم) (١).

(١) سورة الأنفال آية ٤٢.

البداء

وهو أن يبدو له شئ في أمر ما يريد فعله ثم يتغير رأيه في ذلك الشئ فيفعل فيه غير ما عزم فعله سابقا.

وأما قول الشيعة بالبداء ونسبته إلى الله تعالى والتشنيع عليهم بأنه يستوجب نسبة الجهل والنقص إلى الله سبحانه وتعالى - كما يريد أهل السنة والجماعة حمله على هذا المعنى، فهذا التفسير باطل ولا تقول به الشيعة أبدا ومن ينسب ذلك إليهم فقد افتري عليهم، وهذه أقوالهم قديما وحديثا تشهد لهم. قال الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية: " والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص وذلك محال عليه تعالى ولا تقول به الإمامية.

قال الإمام الصادق عليه السلام: " من زعم أن الله تعالى بدا له في شئ بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم "، وقال أيضا: " من زعم أن الله بدا له في شئ ولم يعلمه أمس فأبرأ منه ". إذا فالبداء الذي تقول به الشيعة، لا يتعدى حدود القرآن في قوله سبحانه

وتعالى: (يمحو الله ما يشاء يثبت وعنده أم الكتاب) (١). وهذا القول يقول به أهل السنة والجماعة كما يقول به الشيعة، فلماذا يشنع على الشيعة ولا يشنع على أهل السنة والجماعة القائلين بأن الله سبحانه يبدل الأحكام ويغير الآجال والأرزاق.

فقد أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علي رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لأقرن عينيك بتفسيرها، ولأقرن عين أمي بعدي بتفسيرها، الصدقة على وجهها وبر الوالدين، واصطناع المعروف، يحول الشقاء سعادة ويزيد في العمر ويقي مصارع السوء".

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن قيس بن عباد رضي الله عنه قال: لله أمر في كل ليلة العاشر من أشهر الحرم، أما العاشر من رجب ففيه يمحو الله ما يشاء ويثبت.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أنه قال وهو يطوف بالبيت: "اللهم إن كنت كتبت علي شقاوة أو ذنبا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة" (٢).

وأخرج البخاري في صحيحه (٣) قصة عجيبة وغريبة تحكي معراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولقاءه مع ربه، وفيما يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) سورة الرعد: آية ٣٩.

(٢) جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٤ ص ٦٦١.

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ٧٨ (كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة).

" ثم فرضت علي خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت علي خمسون صلاة. قال: أنا أعلم بالناس منك عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرا، فأتيت موسى فقال: مثله فجعلها خمسا، فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت جعلها خمسا فقال مثله، قلت: فسلمت فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزى الحسنه عشرا " (١).

وفي رواية أخرى نقلها البخاري أيضا، وبعد مراجعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه عديد المرات وبعد فرض الخمس صلوات، طلب موسى (عليه السلام) من محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يراجع ربه للتخفيف لأن أمته لا تطيق حتى خمس صلوات، ولكن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أجابه: قد استحييت من ربي (٢).

نعم اقرأ واعجب من هذه العقائد التي يقول بها رواد أهل السنة والجماعة، ومع ذلك فهم يشنعون على الشيعة أتباع أئمة أهل البيت في القول بالبداء. وهم في هذه القصة يعتقدون بأن الله سبحانه فرض على محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمسين صلاة، ثم بدا له بعد مراجعة محمد إياه أن جعلها أربعين، ثم بدا له بعد مراجعة ثانية أن جعلها ثلاثين، ثم بدا له بعد مراجعة ثالثة أن جعلها عشرين ثم بدا له بعد مراجعة رابعة أن جعلها عشرا، ثم بدا له بعد مراجعة خامسة أن جعلها خمسا.

وبغض النظر عن قبولنا لهذه الرواية وعدمه فإن القول بالبداء عقيدة سليمة

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٥٠ (باب المعراج).
صحيح مسلم ج ١ ص ١٠١ (باب الإسراء برسول الله وفرض الصلوات).
(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٥٠ (باب المعراج).
صحيح مسلم ج ١ ص ١٠١ (باب الإسراء برسول الله وفرض الصلوات).

تتماشى ومفاهيم الدين الإسلامي وروح القرآن (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولولا اعتقادنا - سنة وشيعة - بأن الله سبحانه يبدل ويغير، لما كان لصلواتنا ودعائنا من فائدة ولا تعليل ولا تفسير، كما أننا نؤمن جميعاً بأن الله سبحانه يبدل الأحكام، وينسخ الشرائع من نبي لآخر بل وحتى في شريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هناك ناسخ ومنسوخ، فالقول بالبداء ليس كفراً ولا خروجاً على الدين، وليس لأهل السنة أن يشنعوا على الشيعة من أجل هذا الاعتقاد، كما أنه ليس للشيعة أن يشنعوا على أهل السنة أيضاً.

والحقيقة أنني أرى رواية المعراج هذه مستوجبة لنسبة الجهل إلى الله عز وجل، وموجبة لانتقاص شخصية أعظم إنسان عرفه تاريخ البشرية، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ تقول الرواية بأن موسى قال لمحمد: إنا أعلم بالناس منك، وتجعل هذه الرواية الفضل والمزية لموسى الذي لولاه لما خفف الله عن أمة محمد.

ولست أدري كيف يعلم موسى بأن أمة محمد لا تطيق حتى خمس صلوات في حين أن الله لا يعلم ذلك ويكلف عباده بما لا يطيقون فيفرض عليهم خمسين صلاة؟!!

وهل تتصور معي أخي القارئ كيف تكون خمسين صلاة في اليوم الواحد، فلا شغل ولا عمل، ولا دراسة ولا طلب رزق ولا سعي ولا مسؤولية، فيصبح الإنسان كالملائكة مكلف بالصلاة والعبادة، وما عليك إلا بعملية حسابية بسيطة لتعرف كذب الرواية، فإذا ضربت عشر دقائق - وهو الوقت المعقول لأداء فريضة واحدة للصلاة جماعة - في الخمسين فسيكون الوقت المفروض بمقدار عشر ساعات، وما عليك إلا بالصبر، أو أنك ترفض هذا الدين الذي يكلف أتباعه فوق ما يتحملون ويفرض عليهم ما لا يطيقون. فإذا كان أهل السنة والجماعة يشنعون على الشيعة قولهم بالبداء، وأن الله سبحانه وتعالى يبدو له فيغير ويبدل كيف شاء فلماذا لا يشنعون على أنفسهم في

قولهم بأن الله سبحانه يبدو له فيغير ويبدل الحكم خمس مرات في فريضة واحدة وفي ليلة واحدة وهي ليلة المعراج -

لعن الله التعصب الأعمى والعناد المقيت الذي يغطي الحقائق ويقلبها ظهرا على عقب، فيتحامل المتعصب على من يخالفه في الرأي وينكر عليه الأمور الواضحة ويقوم بالتشنيع عليه وبث الإشاعات ضده، والتهويل في أبسط القضايا، التي يقول هو بأكثر منها.

وهذا يذكرني بما قاله سيدنا عيسى عليه السلام لليهود عندما قال لهم: " أنتم تنظرون إلى التينة في أعين الناس. ولا تنظرون إلى الخشبة في أعينكم ".

أو بالمثل القائل: " رمتني بدائها وانسلت " ولعل البعض يعترض بأنه لم يرد لفظ البداء عند أهل السنة وبأن هذه القصة وإن كان معناها التغيير والتبديل في الحكم ولكن لا تقطع بأنه بدا لله فيها.

وأقول هذا لأنه كثيرا ما كنت أستعرض قصة المعراج للاستدلال بها على القول بالبداء عند أهل السنة، فاعترض علي بعضهم بهذا الرأي ولكنهم سلموا بعدها عندما أوقفتهم على رواية أخرى من صحيح البخاري تذكر البداء بلفظة صراحة لا لبس فيها.

فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ فقال لون حسن وجلد حسن، قد قدرني الناس فمسحه فذهب عنه، فأعطني لونا حسنا وجلدا حسنا، ثم قال له: أي المال أحب إليك، فقال: الإبل، فأعطني ناقة عشراء، وأتى الأقرع فقال: أي شيء، أحب إليك، قال: شعر حسن ويذهب عني هذا قد قدرني الناس، فمسحه فذهب عنه وأعطني شعرا حسنا، ثم قال له: أي المال أحب إليك فقال: البقر، فأعطاه بقرة حاملا، وأتى الأعمى فقال: أي شيء

أحب إليك قال: يرد الله بصري، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأبي المال أحب إليك، قال: الغنم، فأعطاه شاء ولو دا... .

ثم رجع الملك بعد أن تكاثرت عند هؤلاء الإبل والبقر والغنم حتى أصبح يملك كل منهم قطيعا فأتى الأبرص والأقرع والأعمى كل على صورته، وطلب من كل واحد منهم أن يعطيه مما عنده فرده الأقرع والأبرص فأرجعهما الله إلى ما كانا عليه، وأعطاه الأعمى فزاده الله وأبقاه مبصرا " (١).

ولهذا أقول لإخواني قول الله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (٢).

كما أتمنى من كل قلبي أن يثوب المسلمون إلى رشدهم وينبذوا التعصب ويتركوا العاطفة لتحل العقل محلها في كل بحث، حتى مع أعدائهم وليتعلموا من القرآن الكريم أسلوب البحث والنقاش والمجادلة بالتي هي أحسن، فقد أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول للمعاندين (وإننا أو إياكم لعلی هدى أو في ضلال مبين) (٣) فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع من قيمة هؤلاء المشركين ويتنازل هو ليعطيهم النصف حتى يدلوا ببرهانهم وأدلتهم إن كانوا صادقين - فأين نحن من هذا الخلق العظيم.

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٥٩.

(٢) سورة الحجرات آية ١١.

(٣) سورة سبأ آية ٢٤.

التقية

وكما قدمنا بالنسبة إلى القول بالبداء فإن التقية هي أيضا من الأمور المستنكرة عند أهل السنة والجماعة وهم ينبزون بها إخوانهم الشيعة ويعتبرونهم منافقين إذ يظهرون ما لا يبطنون!!

وكثيرا ما حاورت البعض منهم وحاولت إقناعهم بأن التقية ليست نفاقا، ولكنهم لم يقتنعوا بل إنك تجد السامع لهذا يشمئز أحيانا، ويتعجب أحيانا أخرى، وهو يظن أن هذه العقائد مبتدعة في الإسلام وكأنها من مختلقات الشيعة وبدعهم.

ولكن إذا بحث الباحث وأنصف المنصف سيجد أن هذه العقائد كلها من صلب الإسلام وهي وليدة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بل لا تستقيم المفاهيم الإسلامية السمحاء والشريعة القويمة إلا بها.

والأمر العجيب في أهل السنة والجماعة، أنهم يستنكرون عقائد يقولون بها، وكتبهم وصحاحهم ومسانيدهم مليئة بذلك وتشهد عليهم.

فاقرأ معي ما يقوله أهل السنة والجماعة في مسألة التقية:

- أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله

تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) (١) قال: التقية باللسان، من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس، وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن ذلك لا يضره، إنما التقية باللسان (٢).

- وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في سننه من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال: التقاة هي التكلم باللسان والقلب مطمئن بالإيمان (٣).

- وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: التقية جائزة إلى يوم القيامة (٤).

- وأخرج عبد بن أبي رجا أنه كان يقرأ: (إلا أن تتقوا منه تقية) (٥).

- وأخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير، وابن أبي حاتم وابن مردويه، وصححه الحاكم في المستدرک، والبيهقي في الدلائل، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما وراءك شيء؟ قال: شر، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، قال: إن عادوا فعد، فنزلت (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (٦).

- وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقي عمارا وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه ويقول: "أخذك الكفار فغطوك في الماء فقلت كذ وكذا فإن عادوا فقل لهم ذلك" (٧).

(١) سورة آل عمران آية ٢٨.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي.

(٣) سنن البيهقي - مستدرک الحاكم.

(٤) جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦.

(٥) جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦.

(٦) سورة النحل آية ١٠٦.

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد.

- وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه من طريق علي عن ابن عباس في قوله تعالى: (من كفر بالله...) الآية قال: أخبر الله سبحانه: أن من كفر بالله من بعد إيمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، فأما من أكره، فتكلم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه، فلا حرج عليه، لأن الله سبحانه إنما يؤاخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم (١).
- وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة، أن هاجروا فإننا لا نرى أنكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق ففتنواهم، فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (٢).
- وأخرج البخاري في صحيحه في باب المداراة مع الناس ويذكر عن أبي الدرداء قال: "إنا لنكشر في وجوه أقوام وأن قلوبنا لتلعنهم" (٣).
- وأخرج الحلبي في سيرته قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدينة خيبر، قال له حجاج بن علاط: يا رسول الله إن لي بمكة مالا، وإن لي بها أهلا، وأنا أريد أن آتيهم فأنا في حل إن أنا نلت منك، وقلت شيئا؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ما يشاء" (٤).
- وجاء في كتاب إحياء العلوم للإمام الغزالي قوله: "إن عصمة دم المسلم واجبة، فمهما كان القصد سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب (٥).

(١) سنن البيهقي.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ج ٢ ص ١٧٨.

(٣) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٠٢.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦١.

(٥) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي.

- وأخرج جلال الدين السيوطي في كتاب الأشباه والنظائر. قال: " ويجوز أكل الميتة في المخمصة، وإساعة اللقمة في الخمر والتلفظ بكلمة الكفر، ولو عم الحرام قطرا بحيث لا يوجد فيه حلال إلا نادرا فإنه يجوز استعمال ما يحتاج إليه ".
- وأخرج أبو بكر الرازي في كتابه أحكام القرآن في تفسير قوله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال يعني أن تخافوا تلف النفس أو بعض الأعضاء، فتنقوهم بإظهار الموالاة من غير اعتقاده لها، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ، وعليه الجمهور من أهل العلم، كما جاء عن قتادة في قوله تعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله) قال: لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافرا وليا في دينه، وقوله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) يقتضي جواز إظهار الكفر عند التقية " (١).

- وأخرج البخاري في صحيحه عن قتبية بن سعيد عن سفيان عن ابن المكندر حدثه عن عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته أنه استأذن علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل، فقال: إئذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت: يا رسول الله قلت ما قلت ثم أنت له في القول؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه " (٢).

وهذا يكفي دلالة بعد استعراض ما سبق على أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بجواز التقية إلى أبعد حدودها من أنها جائزة إلى يوم القيامة كما مر عليك ومن وجوب الكذب كما قال الغزالي، ومن إظهار الكفر وهو مذهب الجمهور من أهل العلم كما اعترف بذلك الرازي ومن جواز الابتسام في الظاهر واللعن في

(١) أحكام القرآن للرازي ج ٢ ص ١٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٨١ (باب لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاحشا ولا متفحشا).

الباطن كما اعترف بذلك البخاري ومن جواز أن يقول الإنسان ما يشاء وينال من رسول الله خوفا على ماله كما صرح بذلك صاحب السيرة الحلبية، وأن يتكلم بما فيه معصية الله مخافة الناس كما اعترف به السيوطي.

فلا مبرر لأهل السنة والجماعة في التشنيع والإنكار على الشيعة من أجل عقيدة يقولون بها هم أنفسهم ويروونها في صحاحهم ومسانيدهم بأنها جائزة بل واجبة، ولم يزد الشيعة على ما قاله أهل السنة شيئا، سوى أنهم اشتهروا بالعمل بها أكثر من غيرهم لما لاقوه من الأمويين والعباسيين من ظلم واضطهاد، فكان يكفي في تلك العصور أن يقال: هذا رجل يتشيع لأهل البيت ليلاقى حتفه ويقتل شر قتلة على يد أعداء أهل البيت النبوي.

فكان لا بد لهم من العمل بالتقية اقتداء بما أشار عليهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال " التقية ديني ودين آبائي " وقال: " من لا تقية له لا دين له " وقد كانت التقية شعارا لأئمة أهل البيت أنفسهم دفعا للضرر عنهم وعن أتباعهم ومحبيهم، وحقنا لدمائهم واستصلاحا لحال المسلمين الذين فتنوا في دينهم كما فتن عمار بن ياسر رضي الله عنه وحتى أكثر.

أما أهل السنة والجماعة فقد كانوا بعيدين عن ذلك البلاء لأنهم كانوا في معظم عهودهم على وفاق تام مع الحكام فلم يتعرضوا لا لقتل ولا لنهب ولا لظلم، فكان من الطبيعي جدا أن ينكروا التقية ويشنعون على العاملين بها وقد لعب الحكام من بني أمية وبني العباس دورا كبيرا في التشهير بالشيعة من أجل التقية.

وبما أن الله سبحانه أنزل فيها قرآنا يتلى وأحكاما تقضى، وبما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمل هو نفسه بها كما مر عليك في صحيح البخاري، وأنه أجاز لعمار بن ياسر أن يسبه ويكفر إذا عاوده الكفار بالتعذيب، وبما أن علماء المسلمين أجازوا ذلك اقتداء بكتاب الله وسنة رسوله فأى تشنيع وأي استنكار بعد هذا يصح أن يوجه إلى الشيعة؟!

وقد عمل بالتقية الصحابة الكرام في عهد الحكام الظالمين أمثال معاوية الذي كان يقتل كل من امتنع عن لعن علي بن أبي طالب، وقصة حجر بن عدي الكندي وأصحابه مشهورة وأمثال يزيد وابن زياد والحجاج و عبد الملك بن مروان وأضرابهم ولو شئت جمع الشواهد على عمل الصحابة بالتقية لاستوجب كتابا كاملا، ولكن ما أوردته من أدلة أهل السنة والجماعة كاف بحمد الله. ولا أترك هذه الفرصة تفوت لأروي قصة طريفة وقعت لي شخصيا مع عالم من علماء أهل السنة التقينا في الطائرة وكنا من المدعوين لحضور مؤتمر إسلامي في بريطانيا وتحادثنا خلال ساعتين عن الشيعة والسنة وكان من دعاة الوحدة وأعجبت به غير أنه ساءني قوله بأن على الشيعة الآن أن تترك بعض المعتقدات التي تسبب اختلاف المسلمين والطعن على بعضهم البعض، وسألته مثل ماذا؟ وأجاب على الفور: مثل المتعة والتقية، وحاولت جهدي إقناعه بأن المتعة هي زواج مشروع والتقية رخصة من الله، ولكنه أصر على رأيه ولم يقنعه قولي ولا أدلتي مدعيا أن ما أوردته كله صحيح ولكن يجب تركه من أجل مصلحة أهم ألا وهي وحدة المسلمين.

واستغربت منه هذا المنطق الذي يأمر بترك أحكام الله من أجل وحدة المسلمين وقلت له مجاملة: لو توقفت وحدة المسلمين على هذا الأمر لكنت أول من أجاب.

ونزلنا في مطار لندن وكنت أمشي خلفه ولما تقدمنا إلى شرطة المطار سئل عن سبب قدومه إلى بريطانيا فأجابهم بأنه جاء للمعالجة، وادعيت أنا بأنني جئت لزيارة بعض أصدقائي، ومررنا بسلام وبدون تعطيل إلى قاعة استلام الحقائب، عند ذلك همست له: رأيت كيف أن التقية صالحة في كل زمان؟ قال: كيف؟ قلت لأننا كذبنا على الشرطة، أنا بقولي جئت لزيارة أصدقائي، وأنت بقولك جئت للعلاج، في حين أننا قدمنا للمؤتمر.

ابتسم وعرف بأنه كذب على مسمع مني فقال: أليس في المؤتمرات الإسلامية علاج لنفوسنا؟ ضحكت قائلا: أليس فيها زيارة لإخواننا؟

أعود إلى الموضوع فأقول بأن التقية ليست كما يدعي أهل السنة - بأنها ضرب من النفاق، فالعكس هو الصحيح، لأن النفاق هو إظهار الإيمان وكتمان الكفر بينما التقية هو إظهار الكفر وكتمان الإيمان وشتان ما بين الموقفين، هذا الموقف أعني النفاق الذي قال في شأنه سبحانه وتعالى:

(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) فهذا يعني إيمان ظاهر + كفر باطن = نفاق.

أما الموقف الثاني أعني التقية التي قال في شأنها سبحانه وتعالى:

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) فهذا يعني كفر ظاهر إيمان باطن = تقية.

فإن مؤمن آل فرعون كان يكتم في الباطن إيمانه ولا يعلم به إلا الله ويتظاهر لفرعون وللناس جميعا أنه على دين فرعون - (وقد ذكره الله في محكم كتابه تعظيما لقدره).

وتعالى معي الآن أيها القارئ الكريم لتعرف قول الشيعة في التقية حتى لا تغتر بما يقال فيهم كذبا وبهتاناً -

يقول الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه (عقائد الإمامية) ما هذا نصه:

" وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر، مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية، وليست هي بواجبه على كل حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال، كما إذا كان في إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام وجهاد في سبيله، فإنه عند ذلك يستهان بالأموال ولا تعز النفوس. وقد تحرم التقية في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة أو رواجا للباطل، أو فسادا في الدين أو ضررا بالغا على المسلمين. بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم.

وعلى كل حال ليس معنى التقية عند الإمامية أنها تجعل منهم جمعية سرية

لغاية الهدم والتخريب - كما يريد أن يصورها بعض أعدائهم غير المتورعين في إدراك الأمور على وجهها ولا يكلفون أنفسهم فهم الرأي الصحيح عندنا. كما أنه ليس معناها أنها تجعل الدين وأحكامه سرا من الأسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به، كيف وكتب الإمامية ومؤلفاتهم فيما يخص الفقه والأحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين وتجاوزت الحد الذي ينتظر من أية أمة تدين بدينها ". انتهى كلامه.

وأنت ترى أنه ليس هناك نفاق ولا غش ولا دس ولا كذب ولا خداع كما يدعيه أعداؤهم.

المتعة

(أو الزواج المؤقت)

والمقصود بها نكاح المتعة، أو الزواج المنقطع، أو الزواج المؤقت إلى أجل مسمى، وهي كالزواج الدائم لا تصح إلا بعقد يشتمل على قبول وإيجاب، كأن تقول المرأة للرجل زوجتك نفسي بمهر قدره كذا ولمدة كذا فيقول الرجل قبلت. ولهذا الزواج شروطه المذكورة في كتب الفقه عند الإمامية كوجوب تعيين المهر والمدة، فيصح بكل ما يترضى عليه الطرفان، وكحرمة التمتع بذات محرم كما في الزواج الدائم.

وعلى المرأة المتمتع بها أن تعتد بعد انتهاء الأجل بحيضتين وبأربعة أشهر وعشرة أيام في حالة وفاة زوجها.

وليس بين المتمتعين إرث ولا نفقة فلا ترثه ولا يرثها والولد من الزواج المؤقت كالولد من الزواج الدائم تماما في حقوق الميراث والنفقة وكل الحقوق الأدبية والمادية، ويلحق بأبيه.

هذه هي المتعة بشروطها وحدودها وهي كما ترى ليست من السفاح في شيء كما يدعيه الناس.

وأهل السنة والجماعة كإخوانهم الشيعة متفقون على تشريع هذا الزواج من الله سبحانه وتعالى في الآية ٢٤ من سورة النساء بقوله: (فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة، إن

الله كان عليما حكيما).
كما أنها متفقون في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذن بها واستمتع
الصحابة على عهده.

إلا أنهم يختلفون في نسخها أو عدم نسخها فأهل السنة والجماعة يقولون
بنسخها وأنها حرمت بعد أن كانت حلالا، وأن النسخ وقع بالسنة. لا
بالقرآن.

والشيعة يقولون بعدم النسخ وأنها حلال إلى يوم القيامة.
إذن فالبحث يتعلق فقط في نسخها أو عدمه والنظر في أقوال الفريقين حتى
يتبين للقارئ حلية الأمر وأين يوجد الحق فيتبعه بدون تعصب ولا عاطفة.
أما من ناحية الشيعة القائلين بعدم النسخ وحليتها إلى يوم القيامة فحجتهم
هي: لم يثبت عندنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها، وأئمتنا
من العترة الطاهرة يقولون بحليتها ولو كان هناك نسخ من رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لعلمه الأئمة من أهل البيت وعلى رأسهم الإمام علي فأهل البيت
أدرى بما فيه، ولكن الثابت عندنا أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو الذي
نهى عنها وحرمها اجتهادا منه كما يشهد بذلك علماء السنة أنفسهم، ونحن لا
نترك أحكام الله ورسوله لرأي واجتهاد عمر بن الخطاب! هذا ملخص ما يقوله
الشيعة في حلية المتعة، وهو قول سديد ورأي رشيد، لأن كل المسلمين مطالبون
باتباع أحكام الله ورسوله ورفض ما سواهما مهما علت مكانته إذا كان في اجتهاده
مخالفة للنصوص القرآنية أو النبوية.

أما أهل السنة والجماعة فيقولون بأن المتعة كانت حلالا، ونزل فيها القرآن
ورخص فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفعالها الصحابة، ثم بعد ذلك
نسخت. يختلفون في الناسخ لها. فمنهم من يقول بأن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم نهى عنها قبل موته، ومنهم من يقول بأن عمر بن الخطاب هو الذي
حرمها، وقوله حجة عندنا لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

" عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي عضوا عليها بالنواجذ ".
أما القائلين بتحريمها لأن عمر بن الخطاب حرمها وأن فعله سنة ملزمة،
فهؤلاء لا كلام لنا معهم ولا بحث لأنه محض التعصب والتكلف، وإلا كيف
يترك المسلم قول الله وقول الرسول ويخالفهما ويتبع قول بشر مجتهد يخطئ
ويصيب - هذا إذا كان اجتهاده في مسألة ليس فيها نص من الكتاب والسنة - أما
إذا كان هناك نص (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون
لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضللا مبينا) (١).
ومن لا يتفق معي على هذه القاعدة فعليه بمراجعة معلوماته في مفاهيم
التشريع الإسلامي ودراسة القرآن الكريم والسنة النبوية - فالقرآن دل بذاته في
الآية المذكورة أعلاه ومثلها في القرآن كثير يدل على كفر وضلال من لا يتمسك
بالقرآن والسنة النبوية.

أما الدليل من السنة النبوية الشريفة فكثير أيضا، ولكن نكتفي بقول
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:
" حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ".
فليس من حق أحد أن يحلل أو يحرم في مسألة ثبت فيها نص وحكم من الله
أو من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.
ولكل ذلك نقول لهؤلاء الذين يريدون اقناعنا بأن أفعال الخلفاء الراشدين
واجتهاداتهم ملزمة لنا، نقول: (أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا
ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) (٢).
على أن هؤلاء القائلين بهذا الدليل يوافقون الشيعة على دعواهم ويكونون
حجة على إخوانهم من أهل السنة والجماعة.

(١) سورة الأحزاب آية ٣٦.

(٢) سورة البقرة آية ١٣٩.

فبحثنا يتعلق فقط مع الفريق القائل بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي حرمها ونسخ القرآن بالحديث. وهؤلاء مضطربون في أقوالهم وحجتهم واهية لا تقوم على أساس متين ولو روى النهي عنه مسلم في صحيحه لأنه لو كان هناك نهى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما غاب عن الصحابة الذين تمتعوا في عهد أبي بكر وشطر من عهد عمر نفسه كما روى ذلك مسلم في صحيحه (١). قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجننا في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة: فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر - فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن المتعة لما جاز للصحابة أن يتمتعوا على عهد أبي بكر وعمر كما سمعت. فالواقع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينهاها ولا حرمها وإنما وقع النهي من عمر بن الخطاب كما جاء ذلك في صحيح البخاري. - عن مسدد حدثنا يحيى عن عمران أبي بكر حدثنا أبو رجاء عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينهاها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء قال محمد يقال إنه عمر (٢). فأنت ترى أيها القارئ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينهاها حتى مات كما صرح به هذا الصحابي وتراه ينسب التحريم إلى عمر صراحة وبدون غموض ويضيف أنه قال برأيه ما شاء.

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٥٨.

(٢) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٥٨.

وهاهو جابر بن عبد الله الأنصاري يقول صراحة: كما نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث (١).

ومما يدلنا على أن بعض الصحابة كانوا على رأي عمر وهذا ليس غريب إذ تقدم في بحثنا خلال رزية يوم الخميس أن بعض الصحابة كانوا على رأي عمر في قوله بأن رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله! وإذا ساندوه في مثل ذلك الموقف الخطير بما فيه من طعن على الرسول فكيف لا يوافقوه في بعض اجتهاداته، فلنستمع إلى قول أحدهم: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما (٢).

ولذلك أعتقد شخصيا بأن بعض الصحابة نسب النهي عن المتعة وتحريمها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتبرير موقف عمر بن الخطاب وتصويب رأيه. وإلا فما يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحرم ما أحل القرآن لأننا لا نجد حكما واحدا في كل الأحكام الإسلامية أحله الله سبحانه وحرمه رسوله، ولا قائل بذلك إلا معاندا ومتعصبا، ولو سلمنا جدلا بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها فما كان للإمام علي وهو أقرب الناس للنبي وأعلمهم بالأحكام أن يقول:

"إن المتعة رحمة رحم الله بها عباده. ولولا نهى عمر ما زنا إلا شقي" (٣).
على أن عمر بن الخطاب نفسه لم ينسب التحريم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل قال قولته المشهورة بكل صراحة:

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٣١.

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٣١.

(٣) الثعلبي في التفسير الكبير والطبري عند تفسير آية المتعة في تفسيره الكبير أيضا.

" متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما، متعة الحج ومتعة النساء " (١).

وهذا مسند الإمام أحمد بن حنبل خير شاهد على أن أهل السنة والجماعة مختلفون في هذه المسألة اختلافا كبيرا فمنهم من يتبع قول الرسول فيحللها، ومنهم من يتبع قول عمر بن الخطاب فيحرمها، أخرج الإمام أحمد:

- عن ابن عباس قال: تمتع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عروة ابن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: ما يقول عروة؟ (تصغير لعروة) قال: يقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون أقول: قال النبي ويقولون نهى أبو بكر وعمر (٢).

وجاء في صحيح الترمذي أن عبد الله بن عمر سئل عن متعة الحج، قال: هي حلال. فقال له السائل إن أباك قد نهى عنها. فقال: رأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله أم أمر أبي أتبع أم أمر رسول الله؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

وأهل السنة والجماعة أطاعوا عمر في متعة النساء وخالفوه في متعة الحج - على أن النهي عنهما وقع منه في موقف واحد كما قدمنا.

والمهم في كل هذا أن الأئمة من أهل البيت وشيعتهم خالفوه وأنكروا عليه وقالوا بحلتهما إلى يوم القيامة. وهناك من علماء أهل السنة والجماعة من تبعهم في ذلك أيضا وأذكر من بينهم عالم تونس الجليل وزعيم الجامع الزيتوني فضيلة الشيخ الطاهر بن عاشور رحمة الله عليه، فقد قال بحليتها في تفسيره المشهور عند ذكره آية (فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة) (٤).

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي في تفسير قوله تعالى (فما استمتعتم به منهن).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٣٧.

(٣) صحيح الترمذي ج ١ ص ١٥٧.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج ٣ ص ٥.

وهكذا يجب أن يكون العلماء أحرارا في عقيدتهم لا يتأثرون بالعاطفة ولا بالعصبية ولا تأخذهم في الله لومة لائم
وبعد هذا البحث الموجز، لا يبقى لتشنيع أهل السنة والجماعة وطعنهم على الشيعة في إباحتهم نكاح المتعة مبرر ولا حجة، فضلا عن أن الدليل القاطع والحجة الناصعة مع الشيعة
وللمسلم أن يتصور قول الإمام علي عليه السلام: بأن المتعة رحمة رحم الله بها عباده، وفعلا آية رحمة هي أكبر منها وهي تطفي نار شهوة جامحة قد تطفى على الإنسان ذكرا كان أم أنثى فيصبح كالحيوان المفترس.
وللمسلمين عامة وللشبان خاصة أن يعرفوا بأن الله سبحانه أوجب على الزاني عقوبة القتل رجما بالحجارة على المحصنين ذكورا وإناثا، فلا يمكن أن يترك عباده بغير رحمة وهو خالقهم وخالق غرائزهم ويعرف ما يصلحهم، وإذا كان الله الرحمن الرحيم رحم عباده بأن رخص لهم في المتعة فلا يدخل في الزنا بعدها إلا الشقي تماما كالحكم بقطع يد السارق، فما دام هناك بيت ما لم للمعوزين والمحتاجين، فلا يسرق إلا الشقي.

القول بتحريف القرآن
هذا القول في حد ذاته شنيع لا يتحملة مسلم آمن برسالة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم، سواء كان شيعيا أم سنيا.
لأن القرآن الكريم تكفل رب العزة والجلالة بحفظه فقال عز من قائل
(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فلا يمكن لأحد أن ينقص منه أو يزيد
فيه حرفا واحدا وهو معجزة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الخالدة، والذي لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.
والواقع العملي للمسلمين يرفض تحريف القرآن لأن كثيرا من الصحابة
كانوا يحفظونه عن ظهر قلب، وكانوا يتسابقون في حفظه وتحفيظه إلى أولادهم
على مر الأزمنة حتى يومنا الحاضر، فلا يمكن لإنسان ولا لجماعة ولا لدولة أن
يحرفوه أو يبدلوه -
ولو جبننا بلاد المسلمين شرقا وغربا شمالا وجنوبا وفي كل بقاع الدنيا
فسوف نجد نفس القرآن بدون زيادة ولا نقصان. وإن اختلف المسلمون إلى
مذاهب وفرق، وملل ونحل فالقرآن هو الحافظ الوحيد الذي يجمعهم ولا يختلف
فيه من الأمة اثنان، إلا ما كان من التفسير أو التأويل فكل حزب بما لديهم

فرحون.

وما ينسب إلى الشيعة من القول بالتحريف هو مجرد تشنيع وتهويل وليس له في معتقدات الشيعة وجود.

وإذا ما قرأنا عقيدة الشيعة في القرآن الكريم، فسوف نجد إجماعهم على تنزيه كتاب الله من كل تحريف.

يقول صاحب كتاب عقائد الإمامية الشيخ المظفر: " نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم فيه تبيان كل شيء، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة وفيما إحتوى من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه، وكلهم على غير هدى، فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - (انتهى كلامه).

وبعد هذا فكل بلاد الشيعة معروفة وأحكامهم في الفقه معلومة لدى الجميع، فلو كان عندهم قرآن غير الذي عندنا لعلمه الناس، وأتذكر أنني عندما زرت بلاد الشيعة للمرة الأولى كان في ذهني بعض هذه الإشاعات، فكنت كلما رأيت مجلدا ضخما تناولته علني أعثر على هذا القرآن المزعوم، ولكن سرعان ما تبخر هذا الوهم، وعرفت فيما بعد أنها إحدى التشنيعات المكذوبة لينفروا الناس من الشيعة ولكن يبقى هناك دائما من يشنع ويحتج على الشيعة بكتاب اسمه " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " ومؤلفه محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠ هجري وهو شيعي ويريد هؤلاء المتحاملون أن يحملوا الشيعة مسؤولية هذا الكتاب! وهذا مخالف للإنصاف.

فكم من كتب كتبت وهي لا تعبر في الحقيقة إلا عن رأي كاتبها ومؤلفها، ويكون فيها الغث والسمين وفيها الحق والباطل وتحمل في طيها الخطأ والصواب ونجد ذلك عند كل الفرق الإسلامية ولا يختص بالشيعة دون سواها. أفيحوز لنا

أن نحمل أهل السنة والجماعة مسؤولية ما كتبه وزير الثقافة المصري وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين بخصوص القرآن والشعر الجاهلي؟
أو ما رواه البخاري وهو صحيح عندهم، من نقص في القرآن وزيادة،
وكذلك صحيح مسلم، وغيره (١).

ولكن لنضرب عن ذلك صفحا ونقابل السيئة بالحسنة ولنعم ما قاله في هذا الموضوع الأستاذ محمد المدني عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية إذ كتب يقول:

" وأما أن الإمامية يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله وإنما هي روايات رويت في كتبهم، كما روي مثلها في كتبنا، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيفوها، وبينوا بطلانها وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك، كما أنه ليس في السنة من يعتقدده.

ويستطيع من شاء أن يرجع إلى مثل كتاب الإتيان للسيوطي ليرى فيه أمثال هذه الروايات التي نضرب عنها صفحا.

وقد ألف أحد المصريين في سنة ١٤٩٨ م كتابا اسمه " الفرقان " حشاه بكثير من أمثال هذه الروايات السقيمة المدخولة المرفوضة، ناقلا لها عن الكتب والمصادر عند أهل السنة، وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بين بالدليل والبحث العلمي أوجه البطلان والفساد فيه. فاستجابت الحكومة لهذا الطلب وصادرت الكتاب، فرفع صاحبه دعوى يطلب فيها تعويضا، فحكم القضاء الإداري في مجلس الدولة برفضها.

أفيقال أن أهل السنة ينكرون قداسة القرآن؟ أو يعتقدون نقص القرآن لرواية رواها فلان؟ أو لكتاب ألفه فلان؟

(١) إذ إن كتاب (فصل الخطاب) لا يعد شيئا عند الشيعة، بينما روايات نقص القرآن والزيادة فيه أخرجها صحاح أهل السنة والجماعة أمثال البخاري ومسلم ومسنده الإمام أحمد.

فكذلك الشيعة الإمامية، إنما هي روايات في بعض كتبهم كالروايات التي في بعض كتبنا، وفي ذلك يقول الإمام العلامة السعيد أبو الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري في كتاب "مجمع البيان لعلوم القرآن".

" فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه فقد روي جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية أهل السنة أن في القرآن تغييرا ونقصانا، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب "مسائل الطرابلسيات" وذكر في مواضع: أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته غاية حتى عرفوا كل شئ اختلف فيه من إعرابه. وقراءته، وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد " (١).

وحتى يتبين لك أيها القارئ أن هذه التهمة، (نقص القرآن والزيادة فيه) هي أقرب لأهل السنة منها إلى الشيعة، وذلك من الدواعي التي دعنتني إلى أن أراجع كل معتقداتي لأنني كلما حاولت انتقاد الشيعة في شئ والاستنكار عليهم إلا وأثبتوا براءتهم منه إلصاقه بي، وعرفت أنهم يقولون صدقا وعلى مر الأيام ومن خلال البحث اقتنعت والحمد لله، وها أنا مقدم لك ما يثبت ذلك في هذا الموضوع:

(١) مقال الأستاذ محمد المدني عميد كلية الشريعة في الجامع الأزهر مجلة رسالة الإسلام العدد الرابع من السنة الحادية عشر ص ٣٨٢ و ٣٨٣.

أخرج الطبراني والبيهقي
إن من القرآن سورتين - إحداهما هي:
بسم الله الرحمن الرحيم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير كله ولا
نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك.
والسورة الثانية هي:

بسم الله الرحمن الرحيم - اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك
نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجدد إن عذابك بالكافرين ملحق.
وهاتان السورتان سماهما الراغب في المحاضرات سورتي القنوت وهما مما كان
يقنت بهما سيدنا عمر بن الخطاب وهما موجودتان في مصحف ابن عباس ومصحف
زيد بن ثابت (١).

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده.
عن أبي بن كعب قال: كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قال: بضعا وسبعين
آية، قال: لقد قرأتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل البقرة أو أكثر
منها وإن فيها آية الرجم (٢).

وأنت ترى أيها القارئ اللبيب، أن السورتين المذكورتين في كتابي الإتيان
والدر المنثور للسيوطي واللتين أخرجهما الطبراني والبيهقي واللتين تسميان بسورتي
القنوت لا وجود لهما في كتاب الله تعالى.

وهذا يعني أن القرآن الذي بين أيدينا ينقص هاتين السورتين الثابتتين في
مصحف ابن عباس ومصحف زيد بن ثابت كما يدل أيضا بأن هناك مصاحف
أخرى غير التي عندنا، وهو يذكرني أيضا بالتشيع على أن للشيعة مصحف
فاطمة، فافهم!

(١) جلال الدين السيوطي في الإتيان وكذلك في الدر المنثور.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٣٢.

وإن أهل السنة والجماعة يقرؤون هاتين السورتين في دعاء القنوت كل صباح، وكنت شخصياً أحفظهما وأقرأ بهما في قنوت الفجر.

أما الرواية الثانية التي أخرجها الإمام أحمد في مسنده والتي تقول بأن سورة الأحزاب ناقصة ثلاثة أرباع، لأن سورة البقرة فيها ٢٨٦ آية بينما لا تتعدى سورة الأحزاب ٧٣ آية. وإذا اعتبرنا عد القرآن بالحزب فإن سورة البقرة فيها أكثر من خمسة أحزاب بينما لا تعد سورة الأحزاب إلا حزبا واحدا.

وقول أبي بن كعب: " كنت أقرأها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل البقرة أو أكثر " وهو من أشهر القراء الذين كانوا يحفظون القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي اختاره عمر (١) ليصلي بالناس صلاة التراويح. فقولُه هذا يبعث الشك والحيرة كما لا يخفى.

- وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢) عن أبي بن كعب قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

" إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقال فقراً: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب، فقراً فيها: " ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه لسأل ثانياً فلو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيراً فلن يكفره ".

- وأخرج الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي بن كعب أن أبا الدرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق فقراً فيها على عمر بن الخطاب هذه الآية:

(إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتهم كما حموا لفسد المسجد الحرام) فقال عمر بن الخطاب من أقرأكم هذه القراءة؟ فقالوا:

(١) البخاري ج ٢ ص ٢٥٢.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٣١.

أبي بن كعب، فدعاه فقال لهم عمر اقرأوا، فقرأوا: (ولو حميتهم كما حموا لفسد المسجد الحرام) فقال أبي بن كعب لعمر بن الخطاب، نعم أنا أقرأتهم فقال عمر لزيد بن ثابت اقرأ يا زيد، فقرأ زيد قراءة العامة فقال عمر: اللهم لا أعرف إلا هذا! فقال أبي بن كعب:

والله يا عمر إنك لتعلم أني كنت أحضر ويغيبون وأدنو ويحجبون، ووالله لئن أحببت لألزم من بيتي فلا أحدث أحدا ولا أقرئ أحدا حتى أموت، فقال عمر اللهم غفرا، إنك لتعلم أن الله قد جعل عندك علما فعلم الناس ما علمت.

قال ومر عمر بسلام وهو يقرأ في المصحف:

(النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) فقال: يا سلام حكها، فقال هذا مصحف أبي بن كعب فذهب إليه فسأله فقال له: إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصنف بالأسواق (١).

وروى مثل هذا ابن الأثير في جامع الأصول وأبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه.

وأترك لك أخي القارئ أن تعلق في هذه المرة بنفسك على أمثال هذه الروايات التي ملأت كتب أهل السنة والجماعة، وهم غافلون عنها ويشنعون على الشيعة الذين لا يوجد عندهم عشر هذا.

ولكن لعل بعض المعاندين من أهل السنة والجماعة ينفر من هذه الروايات فيرفضها كعادته وينكر على الإمام أحمد تخريجه مثل هذه الخرافات فيضعف أسانيدنا ويعتبر أن مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود ليسا عند أهل السنة بمستوى صحيح البخاري ومسلم، ولكن مثل هذه الروايات موجودة في صحيح البخاري وصحيح مسلم أيضا.

(١) تاريخ دمشق للحافظ بن عساكر ج ٢ ص ٢٢٨.

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه (١) في باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما عن علقمة قال: قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت: اللهم يسر لي جليسا صالحا، فأتيت قوما فجلست إليهم فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي قلت من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء، قلت إني دعوت الله أن يسر لي جليسا صالحا فيسرك لي، قال ممن أنت، فقلت من أهل الكوفة، قال: أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد والمطهرة، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، أوليس فيكم صاحب سر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا يعلم أحد غيره، ثم قال كيف يقرأ عبد الله (والليل إذا يغشى) فقرأت عليه (الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنتى) قال والله لقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فيه إلى في.

ثم زاد في رواية أخرى قال ما زال بي هؤلاء حتى كادوا يستنزلونني عن شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢). وفي رواية قال: (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنتى) قال: أقرأنيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاه إلى في فما زال هؤلاء حتى كادوا يردوني (٣).

فهذه الروايات كلها تفيد بأن القرآن الذي عندنا زيد فيه كلمة " وما خلق "

- وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول الله

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٥.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٦.

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٨ (باب مناقب عبد الله بن مسعود).

صلى الله عليه وآله وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أين يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل والاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم (١).

- وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (٢) (في باب لو أن لابن آدم واديين لا متغى؟ ثالثاً).

قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراءهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها (لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى واديا ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب). وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة) (٣).

وهاتان السورتان المزعومتان اللتان نسيهما أبو موسى الأشعري إحداهما تشبه براءة يعني ١٢٩ آية والثانية تشبه إحدى المسبحات يعني عشرون آية. لا وجود لهما إلا في خيال أبي موسى، فاقراً واعجب فإني أترك لك الخيار - أيها الباحث المنصف.

فإذا كانت كتب أهل السنة والجماعة ومسانيدهم وصحاحهم مشحونة بمثل

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦ (باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت).

(٢) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٠ (باب لو أن لابن آدم واديان لا بتغى ثالثاً).

(٣) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٠ (باب لو أن لابن آدم واديان لا بتغى ثالثاً).

هذه الروايات التي تدعي بأن القرآن ناقص مرة، وزائد أخرى، فلماذا هذا التشنيع على الشيعة الذين أجمعوا على بطلان هذا الادعاء. وإذا كان الشيعي صاحب كتاب " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " وهو المتوفى سنة ١٣٢٠ هجرية كتب كتابه منذ ما يقرب مائة عام، فقد سبقه السني في مصر صاحب كتاب " الفرقان " بما يقارب أربعة قرون كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة بالأزهر (١).

والمهم في كل هذا أن علماء السنة وعلماء الشيعة من المحققين قد أبطلوا مثل هذه الروايات واعتبروها شاذة وأثبتوا بالأدلة المقنعة بأن القرآن الذي بين أيدينا هو نفس القرآن الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس فيه زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تغيير.

فكيف يشنع أهل السنة والجماعة على الشيعة من أجل روايات ساقطة عندهم، ويروون أنفسهم، بينما صحاحهم تثبت صحة تلك الروايات؟ وإني إذ أذكر مثل هذه الروايات بمرارة كبيرة وأسف شديد، فما أغنانا اليوم عن السكوت عنها وطبها في سلة المهملات، لولا الحملة الشعواء التي شنّها بعض الكتاب والمؤلفين ممن يدعون التمسك بالسنة النبوية ومن ورائهم دوائر معروفة تمولهم وتشجعهم على الطعن وتكفير الشيعة خصوصا بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، فإلى هؤلاء أقول: اتقوا الله في إخوانكم، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا.

(١) رسالة الإسلام العدد الرابع من السنة الحادية عشر ص ٣٨٢ و ٣٨٣.

الجمع بين الصلاتين
ومما يشنع به على الشيعة أيضا جمعهم بين صلاة الظهر والعصر وبين صلاة
المغرب والعشاء.
وأهل السنة والجماعة إذ يشنعون على الشيعة فإنهم يؤكدون في المقابل بأنهم
يحافظون على الصلاة لأن الله سبحانه وتعالى يقول: (إن الصلاة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا).
وقبل أن نحكم لهم أو عليهم يجب علينا أن نبحث في الموضوع من جميع
جوانبه ونرى أقوال الطرفين:
أما أهل السنة والجماعة فهم متفقون على جواز الجمع يعرفه بين الظهر
والعصر ويسمى جمع تقديم، وجواز الجمع بالمزدلفة وقت العشاء بينها وبين
فريضة المغرب ويسمى جمع تأخير، وهذا ما يتفق عليه كل المسلمون شيعة وسنة
بل كل الفرق الإسلامية بدون استثناء.
والخلاف بين الشيعة وأهل السنة هو في جواز الجمع بين الفريضتين الظهر
والعصر، والمغرب والعشاء في كل أيام السنة بدون عذر السفر.
أما الحنفية فيقولون بعدم الجواز حتى في السفر وذلك مع وجود النصوص

الصريحة بجوازه لا سيما في السفر وخالفوا بذلك إجماع الأمة سنة وشيعة. وأما المالكية والشافعية والحنبلية فيقولون بجواز الجمع بين الفريضتين في السفر، ويختلفون بينهم في جوازه لعذر الخوف والمرض والمطر والطين. وأما الشيعة الإمامية فمتفقون على جوازه مطلقا في غير سفر ولا مطر ولا مرض ولا خوف، وذلك اقتداء بما رووه عن أئمة أهل البيت من العترة الطاهرة (عليهم السلام).

وهنا يجب علينا أن نقف منهم موقف الاتهام والتشكيك، لأنه كلما احتج أهل السنة والجماعة عليهم بحجة، إلا ويردونها بأن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام علموهم وبينوا لهم كل ما أشكل عليهم ويفتخرون بأنهم يقتدون بأئمة معصومين يعلمون القرآن والسنة!

وأنا أتذكر بأن أول صلاة جمعت فيها بين الظهر والعصر كانت بإمامة الشهيد محمد باقر الصدر عليه رضوان الله إذ كنت وأنا في النجف أفرق بين الظهر والعصر حتى كان ذلك اليوم السعيد الذي خرجت فيه مع السيد محمد باقر الصدر من بيته إلى المسجد الذي يؤم فيه مقلديه الذين احتراموني وتركوا لي مكانا خلفه بالضبط ولما انتهت صلاة الظهر وأقيمت صلاة العصر، حدثتني نفسي بالانسحاب ولكن بقيت لسببين أولهما هيبة السيد الصدر وخشوعه في الصلاة حتى تمنيت أن تطول - وثانيهما وجودي في ذلك المكان وأنا أقرب المصلين إليه وأحسست

بقوة القاهرة تشدني إليه ولما فرغنا من أداء فريضة العصر وانهاه عليه الناس يسألونه بقيت خلفه أسمع الأسئلة والإجابة عليها إلا ما كان خفيا، ثم أخذني معه إلى بيته للغداء وهناك وجدت نفسي ضيف الشرف، واغتنتم فرصة ذلك المجلس وسألته عن الجمع بين الصلاتين.

- سيدي! أيمن للمسلم أن يجمع بين الفريضتين في حالة الضرورة؟
قال: يمكن له أن يجمع بين الفريضتين في جميع الحالات وبدون ضرورة.
قلت: وما هي حجتكم؟

قال: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الفريضتين في المدينة في غير سفر ولا خوف ولا مطر ولا ضرورة، وإنها فقط؟ لدفع الحرج عنا، وهذا بحمد الله ثابت عندنا من طريق الأئمة الأطهار وثابت أيضا عندكم. - استغربت كيف يكون ثابتا عندنا ولم أسمع به قبل ذلك اليوم ولا رأيت أحدا من أهل السنة والجماعة يعمل به بل بالعكس يقولون ببطان الصلاة إذا وقعت حتى دقيقة قبل الأذان فكيف بمن يصلها قبل ساعات مع الظهر، أو يصلي صلاة العشاء مع المغرب فهذا يبدوا عندنا منكرا وباطلا.

وفهم السيد محمد باقر الصدر حيرتي واستغرابي وهمس إلى بعض الحاضرين فقام مسرعا وجاءه بكتابين عرفت بأنهما صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكلف السيد الصدر ذلك الطالب بأن يطلعني على الأحاديث التي تتعلق بالجمع بين الفريضتين. وقرأت بنفسي في صحيح البخاري كيف جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فريضة الظهر والعصر وكذلك فريضة المغرب والعشاء كما قرأت في صحيح مسلم بابا كاملا في الجمع بين الصلاتين في الحضر في غير خوف ولا مطر ولا سفر.

ولم أخف تعجبي ودهشتي وإن كان الشك داخلني بأن البخاري ومسلم اللذين عندهم قد يكونان محرفين وأخفيت في نفسي أن أراجع هذين الكتابين في تونس.

وسألني السيد محمد باقر الصدر عن رأيي بعد هذا الدليل. - قلت: أنتم على الحق، وأنتم صادقون في ما تقولون، وبودي أن أسألكم سؤالا آخر.

قال: تفضل.

قلت: هل يجوز الجمع بين الصلوات الأربع كما يفعل كثير من الناس عندنا لما يرجعوا في الليل يصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء قضاء. قال: هذا لا يجوز.

قلت: إنك قلت لي فيما سبق بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرق وجمع وبذلك فهمنا مواقيت الصلاة التي ارتضاها الله سبحانه.

- قال: إن لفريضتي الظهر والعصر وقت مشترك وبيتدئ من زوال الشمس إلى الغروب، ولفريضتي المغرب والعشاء أيضا وقت مشترك وبيتدئ من غروب الشمس إلى منتصف الليل ولفريضة الصبح وقت واحد بيتدئ من طلوع الفجر إلى شروق الشمس فمن خالف هذه المواقيت يكون خالف الآية الكريمة (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فلا يمكن لنا مثلا أن نصلي الصبح قبل الفجر ولا بعد شروق الشمس كما لا يمكن لنا أن نصلي فريضتي الظهر والعصر قبل الزوال أو بعد الغروب كما لا يجوز لنا أن نصلي فريضتي المغرب والعشاء قبل الغروب ولا بعد منتصف الليل.

وشكرت السيد محمد باقر الصدر، وإن كنت اقتنعت بكل أقواله غير أنني لم أجمع بين الفريضتين بعد مغادرته إلا عندما رجعت إلى تونس وانهمكت في البحث واستبصرت.

هذه قصتي مع الشهيد الصدر رحمة الله عليه في خصوص الجمع بين الفريضتين أرويهما ليتبين إخواني من أهل السنة والجماعة أولا، كيف تكون أخلاق العلماء الذين تواضعوا حتى كانوا بحق ورثة الأنبياء في العلم والأخلاق. وثانيا: كيف نجعل ما في صحاحنا ونشنع على غيرنا بأمر نعتقد نحن بصحتها، وقد وردت في صحاحنا.

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (١) عن ابن عباس قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة مقيما غير مسافر سبعا وثمانيا. وأخرج الإمام مالك في الموطأ (٢). عن ابن عباس قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعا في غير خوف

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٢١.

(٢) موطأ الإمام مالك (شرح الحوالك) ج ١ ص ١٦١.

ولا سفر.
وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (١) في باب الجمع بين الصلاتين في الحضر
قال: عن ابن عباس قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر
والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر.
كما أخرج عن ابن عباس أيضاً قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر - قال
قلت لابن عباس لم فعل ذلك قال: كي لا يحرّج أمته (٢).
ومما يدلّك أخي القارئ أن هذه السنة النبوية كانت مشهورة لدى الصحابة
ويعملون بها، ما رواه مسلم أيضاً في صحيحه في نفس الباب قال: خطبنا ابن
عباس يوماً بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وجعل الناس يقولون
الصلاة الصلاة، قال فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني الصلاة الصلاة،
فقال ابن عباس: أتعلمني بالسنة لا أم لك ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وفي رواية أخرى قال ابن
عباس للرجل: لا أم لك أتعلمنا بالصلاة وكنا نجمع بين الصلاتين على عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٣).
وأخرج الإمام البخاري في صحيحه (٤) في باب وقت المغرب قال: حدثنا
آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن زيد عن ابن
عباس قال: صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعا جميعاً وثمانياً جميعاً.
كما أخرج البخاري في صحيحه (٥) في باب وقت العصر قال سمعت أبا

-
- (١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٥١ (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر).
(٢) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٥٢.
(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٥٣ (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر).
(٤) صحيح البخاري ج ١ ص ١٤٠ (باب وقت المغرب).
(٥) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٨ (باب وقت العصر).

أمامة يقول: صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلي العصر فقلت يا عم ما هذه الصلاة التي صليت قال العصر وهذه صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي كنا نصلي معه. ومع وضوح هذه الأحاديث فإنك لا تزال تجد من يشنع بذلك على الشيعة، وقد حدث ذلك مرة في تونس، فقد قام الإمام عندنا في مدينة قفصة ليشنع علينا ويشهر بنا وسط المصلين قائلا: رأيتم هذا الدين الذي جاؤوا به إنهم بعد صلاة الظهر يقومون ويصلون العصر، إنه دين جديد ليس هو دين محمد رسول الله، هؤلاء يخالفون القرآن الذي يقول (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) وما ترك شيئا إلا وشتم به المستبصرين. وجاءني أحد المستبصرين وهو شاب على درجة كبيرة من الثقافة وحكي لي ما قاله الإمام بألم ومرارة، فأعطيته صحيح البخاري وصحيح مسلم وطلبت منه أن يطلع علي صحة الجمع وهو من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنني لا أريد الجدل معه فقد سبق لي أن جادلته بالتي هي أحسن فقابلني بالشتم والسب والتهمة الباطلة - والمهم أن صديقي لم ينقطع من الصلاة خلفه فبعد انتهاء الصلاة جلس الإمام كعادته للدرس فتقدم إليه صديقي بالسؤال عن الجمع بين الفريضتين فقال: إنها من بدع الشيعة، فقال له صديقي: ولكنها ثابتة في صحيح البخاري ومسلم، فقال له: غير صحيح فأخرج له صحيح البخاري وصحيح مسلم وأعطاه فقرأ باب الجمع بين الصلاتين - يقول صديقي فلما صدمته الحقيقة أمام المصلين الذين يستمعون لدروسه، أغلق الكتب وأرجعها إلي قائلا: هذه خاصة برسول الله وحتى تصبح أنت رسول الله فيامكانك أن تصلبها، يقول هذا الصديق فعرفت أنه جاهل متعصب وأقسمت من يومها أن لا أصلي خلفه (١).

(١) يحكى أن رجلين خرجا للصيد ولقيا سوادا، بعيدا فقال الأول إنه غراب وعانده الثاني بأنه عنزة وتعاندا وأصر كل منهما على رأيه ولكنهما عندما اقتربا من السواد فإذا به غراب انزعج وطار هاربا. فقال الأول: ألم أقل لك بأنه غراب هل اقتنعت الآن ولكن صديقه أصر على رأيه وقال: سبحان الله عنزة تطير؟

بعد ذلك طلبت من صديقي بأن يرجع إليه ليطلعه على أن ابن عباس كان يصلي تلك الصلاة وكذلك أنس بن مالك وكثير من الصحابة فلماذا يريد هو تخصيصها برسول الله، أو لم يكن لنا في رسول الله أسوة حسنة؟ ولكن صديقي إعتذر لي قائلاً: لا داعي لذلك وإنه لا يقتنع ولو جاءه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وإنه والحمد لله بعد أن عرف كثير من الشباب هذه الحقيقة وهي الجمع بين الصلاتين رجع أغلبهم إلى الصلاة بعد تركها لأنهم كانوا يعانون من فوات الصلاة في وقتها ويجمعون الأوقات الأربعة في الليل فتمل قلوبهم، وأدركوا الحكمة في الجمع بين الفريضتين لأن كل الموظفين والطلبة وعامة الناس يقدرون على أداء الصلوات في أوقاتها وهم مطمئنون، وفهموا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كي لا أخرج أمتي.

السجود على التربة
أجمع علماء الشيعة على القول بأفضلية السجود على الأرض لما يروونه عن
أئمة أهل البيت عليهم السلام قول جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
" أفضل السجود على الأرض ".
وفي رواية أخرى:
" لا يجوز السجود إلا على الأرض أو ما أنتت الأرض غير مأكول ولا
ملبوس ".

وقد روى صاحب وسائل الشيعة عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن
هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السجود على الأرض أفضل
لأنه أبلغ في التواضع، والخضوع لله عز وجل - وفي رواية أخرى عن محمد بن
الحسن بإسناده عن إسحاق بن الفضل: أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن
السجود على الحصر والبواري المنسوجة من القصب فقال: لا بأس، وأن يسجد
على الأرض أحب إلي، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب
ذلك، أن يمكن جبهته من الأرض، فأنا أحب لك ما كان يحبه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم.

أما علماء أهل السنة والجماعة فلا يرون بأسا في السجود على الزرابي والفرش وإن كان عندهم أفضلية في الحصر.

وهناك بعض الروايات التي يخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما تؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت له خمرة مصنوعة من سعف يسجد عليها فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحيض عن يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية عن الأعمش عن ثابت بن عبيد عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قالت فقلت إني حائض فقال: إن حيضتك ليست في يدك (١) (يقول مسلم: والخمرة هي السجادة الصغيرة مقدار ما يسجد عليها).

ومما يدلنا على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب السجود على الأرض، ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان فاعتكف عاما حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبيحتها من اعتكافه قال: من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتني أمجد في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر، فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين (٢).

ومما يدلنا أيضا على أن الصحابة كانوا يفضلون السجود على الأرض. وذلك بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أخرجه الإمام النسائي في سننه في باب تبريد الحصى للسجود عليه - قال: أخبرنا قتيبة قال حدثنا عباد عن

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٨ (باب جواز غسل الحائض رأس زوجها).

سنن أبي داود ج ١ ص ٦٨ (باب الحائض تناول من المسجد).

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٥٦ (باب الاعتكاف في العشر الأواخر).

محمد بن عمرو عن سعيد بن الحرث عن جابر بن عبد الله قال: كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر فأخذ قبضة من حصي في كفي أبرده ثم أحوله في كفي الآخر فإذا سجدت وضعت له لجهتي (١).
أضف إلى كل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:
" جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا (٢).
وقال أيضا:

" جعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا " (٣).
فكيف يتعصب المسلمون ضد الشيعة لأنهم يسجدون على الأرض بدلا من السجود على الزرابي.

وكيف يصل بهم الأمر إلى تكفيرهم والتشنيع عليهم وقذفهم زورا وبهتانا بأنهم عباد الأصنام.

وكيف يضربونهم في السعودية لمجرد وجود التربة في جيوبهم أو في حقائبهم.

أهذا هو الإسلام الذي يأمرنا باحترام بعضنا وعدم إهانة المسلم الموحد الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله و يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت وهل يعقل عاقل بأن الشيعي يتكبد تلك الأتعاب ويخسر تلك الخسائر ويأتي لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعبد الحجارة كما يحلو للبعض أن يصوروه؟
أفلا يقتنع أهل السنة والجماعة بقول الشهيد محمد باقر الصدر الذي نقلته في كتابي الأول " ثم اهتديت " عندما سألته عن التربة فقال: نحن نسجد لله على

(١) سنن الإمام النسائي ج ٢ ص ٢٠٤ (باب تبريد الحصى للسجود عليه).

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٨٦. (كتاب التيمم).

(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٤ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة).

الأرض، فهناك فرق بين السجود على التراب. والسجود للتراب!
وإذا كان الشيعي يحتاط ليكون سجوده طاهرا ومقبولا عند الله فيمثل أوامر
رسول الله والأئمة الأطهار من أهل البيت وخصوصا في زماننا هذا الذي أصبحت
فيه كل المساجد مفروشة بالزرابي الوثيرة وفي البعض بما يسمى (Moquette)
وهي

مادة مجهولة الصنع لدى عامة المسلمين ولم تصنع في بلاد إسلامية ولعل البعض
منها فيها ما لا يجوز السجود عليه، أفحق لنا أن ننبذ هذا الشيعي الذي يهتم
بصحة صلاته، ونتهمه بالكفر والشرك لمجرد شبهة زائفة؟

والشيعي الذي يهتم بأمور دينه وخصوصا بصلاته التي هي عمود الدين
فتراه ينزع حزامه وينزع ساعته لأن فيها حزاما من الجلد الذي لا يعلم منشأه وفي
بعض الأوقات ينزع سرواله الإفرنجي ليصلي في سروال فضفاض كل ذلك
احتياطا واهتماما بتلك الوقفة العظيمة بين يدي الله لكي لا يقابل ربه بشئ
يكرهه، أيستحق هذا منا الاستهزاء والنفور، أم يستحق الاحترام والإكبار؟
لأنه عظم شعائر الله (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب).
يا عباد الله اتقوا الله وقولوا قولا سديدا.

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتكم فيه
عذاب عظيم، إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم
وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) (١).

(١) سورة النور آية ١٥.

الرجعة

(العودة إلى الحياة)

هذه المسألة مما إختصت الشيعة بالقول بها، وأنا بحثت في كتب السنة فلم أجد لها أثرا يذكر.

وهم يعتمدون في ذلك على أخبار وروايات رووها عن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم في أن الله سبحانه وتعالى سيحيي بعض المؤمنين وبعض المجرمين المفسدين لينتقم المؤمنون من أعدائهم أعداء الله في الدنيا قبل الآخرة. ولو صحت هذه الروايات وهي صحيحة ومتواترة عند الشيعة فلا تلزم أهل السنة والجماعة إذا لم يثقوا بصحتها، ومن ثم فإنهم غير ملزمين بوجوب الاعتقاد بها، لأن أئمة أهل البيت حدثوا بها عن جدتهم صلى الله عليه وآله وسلم! كلا لأننا ألزمتنا أنفسنا بالإنصاف في البحث وعدم التعصب، فلا نكلفهم إلا ما ألزموا به أنفسهم وأخرجوه في صحاحهم، ولأن روايات الرجعة لم ترد عندهم، فهم أحرار في عدم الأخذ بها، ورفضها هذا في صورة ما إذا أراد أحد الشيعة أن يفرض عليهم تلك الروايات.

أما وأن الشيعة لم يفرضوا على أحد أن يقول بالرجعة ولا أنهم يقولون بكفر من يكذبها، فلا داعي لكل هذا التشنيع والتهويل على الشيعة سيما وأنهم

يفسرون بعض الآيات بنحو يوافق ذلك، وذلك كما في قوله تعالى: (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) (١).
فقد جاء في تفسير القمي عن ابن أبي عمير عن حماد عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: ما يقول الناس في هذه الآية (ويوم نحشر من كل أمة فوجا)؟ قلت: يقولون إنه في يوم القيامة، قال: ليس كما يقولون إنها في الرجعة، أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجا ويدع الباقيين؟ إنما آية القيامة (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) (٢).

كما جاء في كتاب عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر قوله: إن الذي تذهب إليه الإمامية أخذها بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقا ويذل فريقا آخر ويديل المحققين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون من بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمنى هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله، أن يخرجوا ثالثا لعلهم يصلحون: (قالوا؟ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) (سورة المؤمن آية ١١) (٣).

أقول إذا كان أهل السنة والجماعة لا يؤمنون بالرجعة فلهم كامل الحق: ولكن ليس من حقهم أن يشنعوا على من يقول بها، لثبوت النصوص عنده. فليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ولا حجة للجاهل على العالم وليس عدم

(١) سورة النمل آية ٨٣.

(٢) سورة الكهف آية ٤٧.

(٣) كتاب عقائد الإمامية للمظفر ص ٨٠ (العقيدة الثانية والثلاثون).

الإيمان بالشئ دليل على بطلانه فكم من حجة دامغة عند المسلمين لا يؤمن بها أهل الكتاب من يهود ونصارى.

وكم من اعتقادات وروايات عند أهل السنة والجماعة بخصوص الأولياء والصالحين وأصحاب الطرق الصوفية تبدوا مستحيلة ومنكرة ولكن لا تستدعي التشنيع والتهويل على عقيدة أهل السنة والجماعة.

وإذا كانت الرجعة لها سند في القرآن والسنة النبوية وهي ليست مستحيلة على الله الذي ضرب لنا أمثلة منها في القرآن كقوله تعالى:

(أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) (١).

أو كقوله سبحانه وتعالى:

(ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) (٢).

وقد أمات الله قوما من بني إسرائيل ثم أحياهم قال تعالى.

(وإذ قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة

وأنتم تنظرون، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) (٣).

وقال في أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم موتى أكثر من ثلاثمائة عام

(ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) (٤).

فهذا كتاب الله يحكي أن الرجعة وقعت في الأمم السابقة فلا يستحيل

وقوعها في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصا إذا روى ذلك أئمة أهل

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩.

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٣.

(٣) سورة البقرة آية ٥٦.

(٤) سورة الكهف آية ١٢.

البيت سلام الله عليهم. فهم الصادقون، العالمون.
أما قول بعض المتطقلين بأن القول بالرجعة هو القول بالتناسخ الذي يقول
به بعض الملحدين.
فهو قول ظاهر الفساد والبطلان، ويقصدون من ورائه التشنيع والتهويل
على الشيعة.
إذ أن القائلين بالتناسخ لا يقولون بأن الإنسان يرجع إلى الدنيا بجسمه
وروحه وصورته وكنهه.
إنما يقولون بأن الروح تنتقل من إنسان مات إلى جسد إنسان آخر يولد من
جديد أو حتى إلى حيوان.
وهذا كما نعلم بعيد كل البعد عن عقيدة المسلمين القائلين بأن الله يبعث
من في القبور بأجسامهم وأرواحهم.
فليست الرجعة من التناسخ في شيء وهو قول الجهلة الذين لا يفقهون أو
المغرضين غير الورعين.

الغلو

(في حب الأئمة)

لا نقصد بالغلو هنا هو الخروج عن الحق واتباع الهوى حتى يصبح المحبوب هو الإله المعبود فهذا كفر وشرك لا يقول به أي مسلم يعتقد برسالة الإسلامي ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حدودا لهذا الحب عندما قال للإمام علي عليه السلام:

" هلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال "

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

" يا علي إن فيك مثالا من عيسى بن مريم أبغضته اليهود حتى بهتوا أمة، وأحبه النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها " (١).

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٣ تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٢٣٤.
التاريخ الكبير للبخاري ج ٢ ص ٢٨١ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٣.
خصائص النسائي ص ٢٧ ذخائر العقبى ص ٩٢ - الصواعق المحرقة لابن بحر ص ٧٤.

وهو المعنى المرفوض للغلو أن يطغى الحب حتى يؤله المحبوب وينزله منزلة ليس فيها أو أن يطغى البغض حتى يصل إلى درجة البهت والاتهام الباطل. والشيعية في حب علي والأئمة من ولده لم يغالوا بل أنزلوهم المنزلة المعقولة التي بوأهم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي أنهم أوصياء النبي وخلفاؤه ولم يقل أحد بنبوتهم فضلا عن ألوهيتهم، ودع عنك قول المشاغبيين الذين يدعون بأن الشيعة ألهاوا عليا وقالوا بربوبيته، فهؤلاء إن صح الخبر لم يكونوا فرقة ولا مذهبا ولا شيعة ولا خوارج.

وما هو ذنب الشيعة إذا كان رب العزة والجلالة يقول: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) والمودة كما هو معلوم أكبر من الحب وإذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه فإن المودة تفرض عليك أن تحرم نفسك من شيء لتود به غيرك "

وما هو ذنب الشيعة إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:
" يا علي أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني وحبيبك حبيب الله وبغضك بغض الله والويل لمن أبغضك " (١).

ويقول أيضا: " حب علي إيمان وبغضه نفاق " (٢).
ويقول:

" من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا ومن مات على حب

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٨ قال حديث صحيح على شرط الشيخين نور الأبصار للشبلنجي ص ٧٣ ينابيع المودة ص ٢٠٥ الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٥.
(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٨ - الصواعق المحرقة ص ٧٣ كنز العمال ج ١٥ ص ١٠٥.

آل محمد مات مغفورا له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا، ألا
ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ألا ومن مات على
حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة... " (١).

وما هو ذنب الشيعة إذا كانوا يحبون رجلا قال فيه رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم:

" غدا لأعطين رايتي إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله " (٢).
فحبيب علي هو حبيب الله ورسوله وهو مؤمن وبغض علي هو بغض الله
ورسوله وهو منافق.

وقد قال الإمام الشافعي في حبه:

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفضل أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له
وقد قال فيهم وفي حبهم الفرزدق في ميمته؟ المشهورة.

من معشر حبه دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
فالشيعة أحبوا الله ورسوله، وحبهم لله ورسوله هو الذي فرض حب أهل
البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين والأحاديث في هذا المعنى كثيرة لا تحصى وقد
أخرجها علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم وقد ذكرنا البعض منها دوما
للاختصار.

وإذا كان حب علي وأهل البيت بصفة عامة هو حب لرسول الله صلى الله

(١) تفسير الثعلبي " الكبير " في آية المودة وكذلك تفسير الزمخشري " الكشاف " تفسير الفخر
الرازي ج ٧ ص ٤٠٥ - إحقاق الحق للتستري ج ٩ ص ٤٨٦.
(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠ و ج ٥ ص ٧٦.
صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠ (باب فضائل علي بن أبي طالب).

عليه وآله وسلم، فعلينا أن نعرف مدى هذا الحب المطلوب من المسلمين حتى نعرف إن كان هناك غلو كما يزعمون.
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " (١).

وعلى هذا الأساس فلا بد أن يحب المسلم عليا وأولاده الأئمة الطاهرين أكثر من الناس أجمعين بما في ذلك الأهل والأولاد ولا يتم الإيمان إلا بذلك لأن رسول الله قال: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه... الحديث.
فالشيعية إذن لا يغالون وإنما يعطون كل ذي حق حقه وقد أمرهم رسول الله أن ينزلوا عليا بمنزلة الرأس من الجسد وبمنزلة العينين من الرأس فهل هناك من الناس من يتنازل عن عينيه أو عن رأسه؟
ولكن في المقابل هناك مغالاة عند أهل السنة والجماعة في حب الصحابة وتقديسهم في غير محله، وإنما يبدو أنها رد فعل على الشيعة الذين لم يقولوا بعدالة الصحابة أجمعين فكان الأمويون يرفعون من شأن الصحابة ويحطون من قيمة وشأن أهل البيت النبوي حتى إذا صلوا على محمد وآله أضافوا إليهم، وعلى أصحابه أجمعين لأن في الصلاة على أهل البيت فضل لم يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق فأرادوا أن يرفعوا الصحابة إلى تلك الدرجة العلية وغفلوا عن أن الله سبحانه أمر المسلمين وعلى رأسهم الصحابة أجمعين أن يصلوا على محمد وعلي وفاطمة والحسين ومن لم يصل عليهم فصلاته مردودة لا يقبلها الله إذا اقتضت على محمد وحده كما هو ثابت في صحيح البخاري ومسلم.
وإذا قلنا بأنه غلو في الصحابة ذلك لأن أهل السنة يتعدون حدود المنطق

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٩ (باب حب الرسول من الإيمان).
صحيح مسلم ج ١ ص ٤٩ (باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) وكذلك في صحيح الترمذي.

عندما يقولون بعد التهم أجمعين وقد شهد الله ورسوله بأن فيهم الفاسقين والمارقين والقاسطين والمنافقين.
والغلو ظاهر عندما يقولون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطئ ويصوبه صحابي. أو أن الشيطان يلعب ويمرح بحضرة النبي ولكنه يهرب من عمر، والغلو واضح في قولهم لو أصاب الله المسلمين بمصيبة بما فيهم رسول الله، لم يكن ينح منها إلا ابن الخطاب، والغلو أوضح في إغائهم لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتباع سنة الصحابة وبالخصوص الخلفاء الراشدين وقد أوقفناك على البعض من ذلك وإذا أردت المزيد فعليك بالبحث والتأمل للوقوف على مزيد من هذه المفارقات.

المهدي المنتظر

وهو أيضا من المواضيع التي يشنع بها أهل السنة والجماعة على الشيعة. وذهب البعض منهم إلى حد السخرية والاستهزاء، إذ أنهم يستبعدون أو قل يعتقدون استحالة أن يبقى بشر طيلة اثني عشر قرنا حيا ومخفيا عن أنظار الناس. حتى قال بعض الكتاب المعاصرين " بأن الشيعة اختلقوا فكرة الإمام الغائب الذي سينقذهم وذلك لكثرة ما لا قوة من ظلم الحكام وجورهم على مر الأزمان، فسلوا أنفسهم بأمنية المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا وينتقم لهم من أعدائهم ".

وقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عن المهدي المنتظر فأصبح المسلمون وبالخصوص الشباب المثقف في كل مكان يتساءلون عن حقيقة المهدي، وهل هي حقيقة وله وجود في العقائد الإسلامية أم هو من مختلقات الشيعة؟

ورغم ما كتبه علماء الشيعة قديما وحديثا (١) بخصوص المهدي من موسوعات وأبحاث، ورغم اتصال كثير من السنين بإخوانهم من الشيعة في مؤتمرات عديدة ومحادثاتهم في شتى المواضيع العقائدية، يبقى هذا الموضوع من

(١) كالشهيد محمد باقر الصدر في كتابه " بحث حول المهدي " .

الألغاز عند الكثير منهم، لأنهم ما تعودوا سماع أمثال هذه الروايات. فما هي حقيقة المهدي المنتظر في العقائد الإسلامية؟ والبحث في هذا الموضوع ينقسم إلى قسمين: -

القسم الأول يتعلق بالبحث عن المهدي من خلال الكتاب والسنة. والقسم الثاني يتعلق بالبحث عن حياته وغيبته وظهوره.

أما في البحث الأول: فالشيعة والسنة متفقون على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر به وأعلم أصحابه بأنه سيظهره الله سبحانه وتعالى في آخر الزمان، وقد أخرج أحاديث المهدي عليه السلام كل من الشيعة والسنة في صحاحهم ومسانيدهم.

وأنا بدوري وكالعادة حسبما تعهدت به في كل أبحاث الكتاب لا أستدل إلا بما هو ثابت وصحيح عند أهل السنة والجماعة.

فقد جاء في سنن أبي داود (١).
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
" لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ".
وجاء في سنن ابن ماجة (٢):
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
" إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء شديدا، وتطريدا، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٤٢٢.

(٢) سنن ابن ماجة ج ٢ رقم الحديث ٤٠٨٢ و ٤٠٨٧.

سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينتصرون، فيعطون ما سألوها: فلا يقبلونه، حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملئت جورا".

وقال ابن ماجة في سننه:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"المهدي منا أهل البيت، المهدي من ولد فاطمة".

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

"يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع، وإلا فتسع تنعم فيها أمتي نعمة لم تنعم مثلها قط تأتي أكلها، ولا تدخر منه شيئا، والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول: خذ" (١).

وجاء في صحيح الترمذي (٢):

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك ليوم حتى يلي".

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي".

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه (٣).

قال: حدثنا بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع

(١) سنن ابن ماجة ج ٢ رقم الحديث ٤٠٨٦.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي ج ٩ ص ٧٤ - ٧٥.

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٣ (باب نزول عيسى بن مريم).

مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم. وقال صاحب غاية المأمول: اشتهر بين العلماء سلفا وخلفا أنه لا بد من ظهور رجل من أهل البيت في آخر الزمان يسمى المهدي، وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة وخرجها أكابر المحدثين: كأبي داود، والترمذي، وابن ماجه والطبراني وأبي يعلى، والبزاز، والإمام أحمد بن حنبل، والحاكم رضي الله عنهم أجمعين، ولقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلها. قال الحافظ في فتح الباري: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى بن مريم سينزل ويصلي خلفه " (١).

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة (٢).

وقال الشوكاني في رسالة المسماة " التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح " وبعد سرده أحاديث المهدي قال: " وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع ".

وقال الشيخ عبد الحق في اللمعات:

" قد تضافرت الأحاديث البالغة حد التواتر في كون المهدي من أهل البيت من أولاد فاطمة " (٣).

وقال الصبان في كتابه إسعاف الراغبين:

" وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخروجه وأنه من

(١) فتح الباري ج ٥ ص ٣٦٢.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ج ٢ ص ٢١١.

(٣) حاشية صحيح الترمذي ج ٢ ص ٤٦.

أهل البيت، وأنه يملأ الأرض عدلاً " (١).
وقال السويدي في كتابه المسمى " سبائك الذهب " :
" الذي اتفق عليه العلماء أن المهدي هو القائم في آخر الوقت وأنه يملأ
الأرض عدلاً، والأحاديث في ظهوره كثيرة " (٢).
وقال ابن خلدون في مقدمته:
" أعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد
في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويسمى
بالمهدي " (٣).
كما أخرج أحاديث المهدي من المعاصرين مفتي الإخوان المسلمين السيد
سابق في كتابه " العقائد الإسلامية " واعتبر أن فكرة المهدي من العقائد الإسلامية
التي يجب التصديق بها.
وكتب الشيعة أيضاً أخرجت أحاديث المهدي على كثرتها حتى قيل أنه لم يرو
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر مما روي عنه في أحاديث المهدي.
وقد استخرج الباحث لطف الله الصافي في موسوعته " منتخب الأثر "
أحاديث المهدي عليه السلام من أكثر من ستين مصدراً من كتب أهل السنة
والجماعة من ضمنها الصحاح الستة وأكثر من تسعين مصدراً من كتب الشيعة من
ضمنها الكتب الأربعة.
أما بخصوص البحث الثاني والذي يتعلق بولادة المهدي وحياته وغيبته
وعدم وفاته عليه السلام فهذا القسم أيضاً لم ينكره بعض علماء أهل السنة الذين
لا يستهان بهم، والذين يعتقدون بأن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري

(١) إسعاف الراغبين ج ٢ ص ١٤٠.

(٢) سبائك الذهب ص ٧٨.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٧.

الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، ولد، وأنه لا يزال حيا وسيظهر في آخر الزمان فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً وينصر الله به دينه، وهم بذلك يوافقون أقوال الشيعة الإمامية، ومن هؤلاء:

- ١ - محي الدين بن العربي في فتوحاته المكية.
 - ٢ - سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص.
 - ٣ - عبد الوهاب الشعراني في كتابه عقائد الأكابر.
 - ٤ - ابن الخشاب في كتابه تواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم.
 - ٥ - محمد البخاري الحنفي في كتابه فصل الخطاب.
 - ٦ - أحمد بن إبراهيم البلاذري في كتابه الحديث المتسلسل.
 - ٧ - ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة.
 - ٨ - العارف عبد الرحمن في كتابه مرآة الأسرار.
 - ٩ - كمال الدين بن طلحة في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسول.
 - ١٠ - القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة.
- ولو تتبع الباحث لوجد في علماء السنة والجماعة أضعاف من ذكرنا يقولون بولادة المهدي وبقائه حيا حتى يظهره الله تعالى. وبعد هذا لم يبق معنا من أهل السنة والجماعة إلا المنكرون لولادته وبقائه حيا، بعد اعترافهم بصحة الأحاديث. وهؤلاء ليسوا حجة على غيرهم من القائلين بها.

والقرآن الكريم لا ينفي مثل هذا الافتراض، وكم ضرب الله من مثل على ذلك لأهل العقول الجامدة لكي يتحرروا ويطلقوا العنان لأفكارهم وعقولهم حتى تستيقن وتسلم بأن الله سبحانه قادر على كل شيء. لذا فإن المسلم الذي ملأ الإيمان قلبه فلا يستغرب أن يميت الله عزيزاً مائة عام، ثم يبعثه فينظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنه، وإلى حماره كيف ينشز الله عظامه ويكسوها لحماً فيرجع كما كان بعد أن كانت عظامه رميماً فلما تبين له قال:

إعلم أن الله على كل شئ قدير. سبحان الله ما أسرع تحوله، بينما قبل الحادثة استغرب واستبعد عند مروره على قرية خاوية على عروشها. قال أنى يحيي الله هذه بعد موتها؟؟

والمسلم الذي يصدق القرآن الكريم لا يستغرب أن يقطع سيدنا إبراهيم الطير ويبعثر أجزائه وأشلاءه على الجبال ثم يدعوهم فيأتينه سعيًا. والمسلم لا يستغرب أن تصبح النار باردة فلا تحرق ولا تؤذي سيدنا إبراهيم عندما ألقى فيها فقال لها الله يا نار كوني بردًا وسلامًا والمسلم لا يستغرب بأن سيدنا عيسى ولد من غير نطفة الذكر أي من غير أب. وأنه حي لم يمت وسيعود إلى الأرض.

والمسلم لا يستغرب بأن سيدنا عيسى كان يحيي الموتى ويرى الأكمه والأبرص والأعمى ولا يستغرب أن ينقلب البحر لسيدنا موسى ولبنى إسرائيل فيمشوا فيه بدون بلل وتنقلب عصاه ثعبانًا ويحول ماء النيل إلى دم. كذلك فإن المسلم لا يستغرب أن سيدنا سليمان كان يتكلم مع الطير ومع الجن ومع النمل ويحمل عرشه على بساط الريح. ويستقيم عرش بلقيس في لحظات.

ولا يستغرب بأن الله أمات أصحاب الكهف ثلاثة قرون وازدادوا تسعًا ثم بعثهم فكان حفيد الحفيد أكبر سنا من جد الجد. ولا يستغرب بأن سيدنا الخضر عليه السلام حي لم يمت وقد التقى مع سيدنا موسى عليه السلام.

ولا يستغرب بأن إبليس لعنه الله حي لم يمت وهو مخلوق قبل آدم عليه السلام، وما زال يواكب مسيرة البشر من أول خلقته إلى يوم فناءه، ومع ذلك فهو مخفي لم ولن يراه أحد رغم أعماله الشنيعة وأفعاله الذميمة، وهو يرى كل الناس.

إن المسلم يؤمن بكل هذا ولا يستغرب وقوعه، أفيستغرب وجود المهدي مخفيا لفترة من الزمان لحكمة يريد بها الله سبحانه فكل ما ذكره القرآن وهو أضعاف ما ذكرنا في هذه العجالة ليس هو مما جرت به العادة ولا هو معهود لدى الناس، ولا يقدر على ولو اجتمعوا له. وإنما هو من صنع الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ويصدق به المسلمون لأنهم آمنوا بكل ما جاء في القرآن الكريم وبدون استثناء وبدون تحفظ.

على أن الشيعة هم أدري بأمور المهدي عليه السلام لأنه إمامهم وقد عاصروه وعاشوا معه ومع آبائه، وأهل مكة أدري بشعابها. والشيعة يحترمون أئمتهم ويعظمونهم وقد اتخذوا لأئمة أهل البيت قبورا شيدوها والتزموا بزيارتها والتبرك بها، فلو كان الإمام الثاني عشر وهو المهدي سلام الله عليه قد توفي لكان له قبر معروف، ولأمكنهم أن يقولوا بجواز بعثه بعد الموت ما دام هذا الأمر ممكنا كما ذكره القرآن الكريم وخاصة أنهم يقولون " بالرجعة " .

بل تراهم يصرون على أن المهدي سلام الله عليه حي يرزق وهو مخفي لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى قد يعرفها الراسخون في العلم وأولياءهم. وهم يدعون في صلواتهم أن يجعل الله فرجه الشريف لأن في ظهوره عز المسلمين وسعادتهم وانتصارهم ولأن به يتم الله نوره ولو كره الكافرون. على أن الخلاف بين السنة والشيعة في أمر المهدي عليه السلام ليس هو خلاف جوهرى ما داموا يعتقدون بظهوره في آخر الزمان، وأن عيسى عليه السلام يصلى خلفه، وأنه سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك المسلمون الأرض كلها في زمانه ويعم الرخاء حتى لا يبقى فقير. ويبقى الخلاف فقط في قول الشيعة بولادته وفي قول السنة بأنه سيولد،

ويجتمع قول الفريقين على ظهوره آخر الزمان -
فليتوحد السنة والشيعة على كلمة الحق وعلى جمع شمل الأمة والممزقة ولم
شتاتها وليدعوا الله جميعا مخلصين في دعائهم وفي كل صلواتهم بأن يعجل ظهوره
لأن في ظهوره الفرج والنصر لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء
 والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.
محمد التيجاني السماوي والسلام عليكم والرحمة الله بركاته